

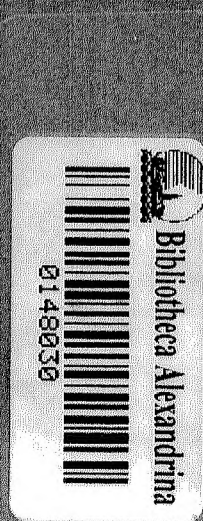
ادونيس

الأمم المتحدة

٢

هذا هو اسمي

وقصائد أخرى



للشاعر

(١) شعر

قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛

ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛

ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛

طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛

ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛

ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛

ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛

طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛

ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛

ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛

طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،

ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥

ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛

طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛

طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقبي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :

الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري .

(دار الساقي ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وأفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
 - مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- (الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكايية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
- سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
- منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

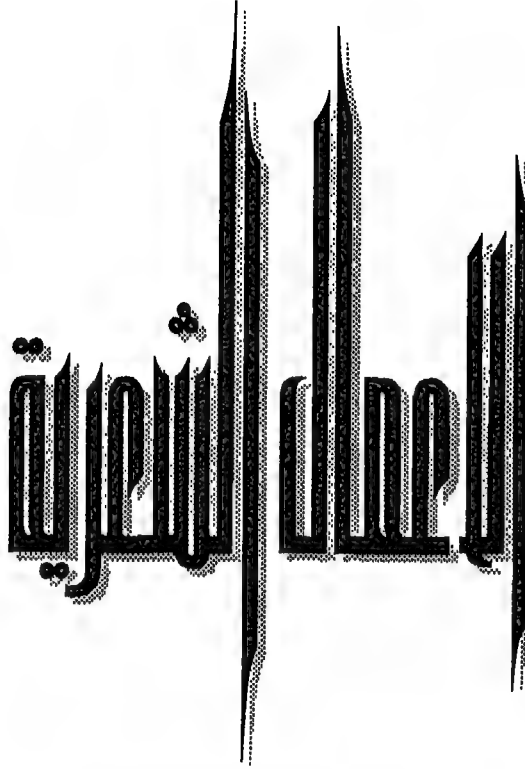
مسرح راسين

- فيلدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



هذا هو اسمي
وقصائد أخرى

أدونيس



هذا هو اسمي

وقصائد أخرى

منشورات



Author: ADONIS

اسم المؤلف : أدونيس

Title : The Poetical Works, II

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية /

هذا هو اسمي وقصائد أخرى

Al Mada : Publishing Company

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

First Published in 1996

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

Copyright © Al mada

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلون : ٧٧٢٠١٩ - ٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in aretrieval system , or transmited in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرت أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر: القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي - الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمّدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦

أدونيس

الفراغ

1

حطام الفراغ على جبهتي
يمدّ المدى ويُهَيِّلُ الترابا
يُغْلِغِلُ في خطواتي ظلاماً
ويمتدّ في ناظريّ سرايا .
هنا ، عبرَ دربي ، يموت ربيعٌ ويصفرّ ريفُ
هنا ، في عروقي ، صدىٌ للجفافِ ودمدمةٌ وصريفُ
هنا ، في دمي يولد الخريفُ
وفي حاضري يَتمرأى ،
وتبعد عنيّ ، تبعد شمس المصير ، وتناهى .
وينخطو الخريف وينمو هوىٌ ويحنُ
ويكبرُ : في خطوه حالمون ،
وفي صدره ساحرونَ وجنُّ .
حطام الفراغ يغيّب نجمي ، يجمّد أرضي
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي ،
ويجعلنا كالفراغِ

حطامُ الفراغِ .

2

وفي أرضنا شبحٌ يتمطى
 سراباً ورملاً
 ويملاً أعماقنا يباساً
 ويملوها دُكْنَةً ومخلاً .
 وفي أرضنا مللٌ يُبدع المقابرَ
 وينثرها ، عبرَ أيامنا ، أنيناً وعبرَ خُطانا ، مجاززُ .
 هنا الحقد ركزَ راياته
 وشرعها قِمةً وطريقاً
 يحطّ على توقنا صقيعاً
 ويَصْرُمُ في حُبنا حريقاً .
 وللحقد في شعبنا
 بلادٌ وشعبٌ
 له ساحةٌ واصطنابٌ وحربٌ
 يوسخُ أجواءنا
 ويحفرُ أبناءنا
 كهوفَ ضلالٍ وقبحِ ،
 ويصفع في وجههم كلَّ نجمٍ
 ويخنق في جفنههم كلَّ صبحٍ .

نوافذ أَيْامِنَا حُطِّمَتْ
 ولم يبق فيها ستارٌ
 وفجر أساطيرنا مغلقٌ
 يخيط أجفانه الغبارُ .
 وأطفالنا بهجةٌ تتمحى
 ومقبرةٌ وانتحابٌ
 لهم تتلَهَّفُ حتى القبورُ
 لهم يتلَهَّفُ حتى الترابُ
 فأمسِ ، الفراغُ ، فراغ المتاهاتِ ، ضيِّع أحلامهم
 وضيِّع آمالهم
 وأنبتَ فيهم بذور المواتِ
 وأطفأَ فيهم ضياءَ الحياةِ
 وأمس فراغ المتاهاتِ أحرق بلداننا
 وخرَّب عمراننا
 وبالأمس ، كان يجوِّبُ في شعبنا
 ويرذل ما عزَّ من حَبْنَا
 وكان يُطوِّفُ عِبرَ المدينةِ
 ويطرد منها السكينةِ
 وعاملها في يديه ، يشلُّ يديه...
 ويسلبُ حتى جبينه

ويمضي ، وخلف خطأً تثنً وتندب أبوابها الحزينه .

4

فراعُ زمان بلادي فراعُ
وتلك المقاهي
وتلك الملاهي
فراعُ
وهذا الذي ذلّ في أرضه وأنكرها واستكانا
ولوّث أنهارنا وربانا ،
فراعُ
وذاك الذي ملّ من شعبه
ومن حبه
وغمّس باليأس أعماقه
وأحداقه ،
فراعُ
وذاك الذي لا يرى غيره
ولا يجد النخير خيراً ، إذا لم يكن خيره ،
فراعُ فراعُ .
فراعُ يعيشُ فيه الدمازُ
ويسكنه الفاتحون التتارُ
هنا ، حرمٌ يوطأ ،

هنا شرفٌ يصدأ
هنا عالمٌ يهدأ
ويوقف عن سيره ويردُّ .

لِمَن جيلُنا يحرقُ البخورَ لمن يسجدُ
وأَيِّ إلهٍ تُرى يعبدُ؟
لِمَن ينتمي ويشدُّ يديه اعتدادا
ويحيا له صيحةٌ وجهادا؟
لِمَن فصلُ اليوم ليلاً وشمسا
وسوى له العمر أنا وأمسا ،
لِمَن يتربى ، لمن يكبرُ؟
تكاد ، على عقمه ، الآلهةُ
تعاف قرابينه الوالهةُ
وتركلهم واحداً واحداً
وتكبر عنهم وتستكبرُ .

5

فراعُ فراعُ . . . ألا ثورةُ
تشيد لنا بيتنا
وتُجري معاصرُها زيتنا
وتملأ بالحاصدين الحقولا

وتملاً بالخلق ، بالثورة العقولا؟
ألا ثورة في الصميم تُنشئنا من جديد
وتمحقُ فينا هوانَ العبيدِ؟
ألا ثورة في الصميم تُبدع من أولِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفاننا أبنائنا على الزمن الأجملي
على العالم الأفضلي ،
ألا ثورة ، ثورة في الصميم تُبدع من أولِ؟

6

أفي موطني يُولد الفراخ أفي عمره؟
ونحن المليثون من فطرة الوجود ومن سره؟
بنا يفرح الزهر والماء
يفرح حتى الحجرُ
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجرُ
فنحن ثراها ونحن شذاها
ونحن تفتّحها المنتظر .

7

بلى في بلادي أنا ثورة
تُنور أزهارها

ويهدر إعصارها
وفيها دمٌ نائرٌ
يُعمّر دنيا ويهدم دنيا
على كبره تستفيق الحياةُ
وفي دَفَقِه تتعالى وتحيا .
بلى في بلادي أنا خالقونَ
وساعٌ كأفاقها الواسعه
نقيون كالشمس في عُرْيها
فتيون كالأ نجم الطالعه .
يُحبون في أرضهم كلّ شيءٍ
ولا ييأسون ولا يحقدونَ
ويبنون من جرحهم صرحها
ويروون من دمهم صبحها
ويستقرون ويستخلصونَ
همُ المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلاً
هم الواقفون على مجدها الزمان الطويلاً .

بلى في بلادي أنا خالقونَ
بنبض سرايينهم عمروها
محو عتمة اليأس واليائسين بأجفانهم
بفرحتهم لا متلاك الوجود ، بأحزانهم

هنا دَفَقُوا دَمَهُمْ فِي الزَّمَانِ
هنا اختصروا عمرهم في ثواني
هنا ملأوا كلَّ شيءٍ يقينا

ولم يبق في شعبنا فراغُ
ولم يبق في أرضنا فراغُ
وها في بلادِي ، بلاد الفراغ ، يموت الفراغُ .

8

بلى في بلادِي لكلَّ الزمان لكلَّ المصير اكتناهُ
وإن شوَّهوهُ
وفيها لخلق ، لصيرورة الحياة إلهُ
وإن أنكروهُ .
سنملاً أَيَّامَنَا بالمحبَّة ، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً ونودا
ونجعل من كِبْرنا اللّهب ونجعل من حبِّنا الوقودا
وتفتح أجفانها الحقيقةُ
على الطلَّة الأصبيلة فينا على الصبيحة العميقة
ويلقى الزمان الجديد طريقهُ

9

صغار بلادِي شموعٌ مضيئةُ

صغار بلادي يفتوننا
أغانهم البريئة
يقولون : «في أرضنا ثورةٌ
تُفجّر من أولِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفاننا
على الزمان الأجملي» .
يقولون : «في أرضنا
يموت الذين أزاغوا وزاغوا
يموت الفراغ» .

(دمشق ، 1954)

العمل

للعمل
شمراً زئد الأمل
وانطلقا ،
يزرع في ساعده
يَزْرَعُ فِيهِ الْأَقْصَا .
عمراً في ضميره
معمله ومصنعه
وحقله وجنة
في حقله مضيئه
بالشوك بالدمع بنى
مسكنه ووصعه
كأنه من أول
ينمو به ويكبر
في وعيه ، في صدره
مستقبلاً يختمر .

أصله الكفاح في الصخور
من أول العصور
فهو على امتدادها كالنسخ ، كالجذور .
ها زرعُهُ ، ينبت في جفونه ويورفُ
كأنه أجنحةُ ترفرف .
وفي غدٍ على ضفاف حبه يطوف
له السماء جبهةً وقامةً ومعطفُ .
ها زرعُهُ ، مثل فيه مسكنهُ
مثل فيه شعبه وموطنه .
حقولهُ المحروثةُ المخلدةُ
له ، لكل شعبه مجنّده
يلمح في نموها
أجياله المخلّده
يلمح فيها بيته
وناره وموقده
وشمعةُ راهبةً مبتهله
ترقد عند رأسه
راعشةُ مشتعله
وتهدأ
يُولد في رمادها
كفاحهُ ويبدأ .

في بيته حكاية طويلة تُتسرّدُ
يكمنُ فيها الأبدُ
يرغفها الرّغيفُ ،
والمعجن النّظيف
وهي وراء البيدرِ
تَلهّفُ ، وطفلة صغيرة لم تكبرِ
وهي أمام المصطبة
عباءة مقصّبه
شائخة مهذبّه
وهي ، على الحصير
والتخت والنخوانِ
وفي لهيب المدفأه
زوّعةً مختبئه
تسكبُ في الزمانِ
حرارة المصير .
يا زند يا مشمرُ
يا ثورةً في أرضنا ، في عمرنا تُفجّرُ
يا عرقاً يندفقُ
يغرق فيه الشفقُ
مطرزاً بالحلمِ
محملاً بالألم

ويا دمأ تفحَمَا
في السَاعِدِ المَشْرِعِ
وَبِرْعَمَا
يا زَنْدِ يا مَشْمَرُ
يا ثُورَةَ في أَرْضِنَا في عَمْرِنَا تُفَجِّرُ
أَنْتَ لَنَا التَّجِدُّدُ
والكَبِيرُ والتَّمَرُّدُ
أَنْتَ لَنَا الحَيَاةُ والبِنَاءُ
والأَرْضُ والسَّمَاءُ
يا لَهَبِ المِجَامِرِ
يا زَنْدِ يا مَمْرَدُ
أَبْدِعْ لَنَا أَرْضَ الأَمَلِ
أَرْضَ العَمَلِ
وَأُزْمِ عَلَيْنَا ظِلَّهَا
وَطَلَّهَا
وَعُنَّنا
سَقْسَقَةَ الجِداوِلِ
وَحَلَّنا
نَكْبِرُ مَعَ السَّنابِلِ
والتَّوْتِ والنَّخِيلِ
والفَجْرِ والأَصِيلِ

وخلنا
نشرع زند الأملِ
للعملِ .

في الأرض في حقولها
في صدرها المشقق
في سرها المفتق
نكشف عن نفوسنا
وننتمي ونرتقي
نَبْسَطُ فِيهَا الخُمْرَا
خمائلاً وأنهرًا .
يا عَمَلُ
يا واضعاً حدودها
يا مشرعاً بنودها
قل نحنُ نحنُ العملُ
نحيا له ونُجِبِلُ
وقلْ على فؤوسنا
ينتظمُ المكانُ
وقلْ على زنودنا
يتبدئُ الزَّمانُ .

الثانو

(مقاطع)

1

شُدُّ يا ثائرُ ، يا عاصف ، زندكُ
فالأعالي تشتهي ، تعشق بندكُ
ما هو العالم بعدكُ؟

هذه زلزلةُ ترنو إليك
نُشئت تحت يديكا ،
فأثرها
وأدرها
وليكُ اللاّ حدّ حدكُ .
وسّع الدنيا إذا شئت ،
وإن شئت اختصرها :
جُمع التاريخ عندكُ .

2

لك غنيتُ حياتي

لكَ رَيْبٌ عَلَى الثَّوْرَةِ ذَاتِي .
كَلَّ حَرْفٍ فِي نَشِيدِي
طِينُ إِنْسَانٍ جَدِيدِ
يَتَغَذَّى بِكَ بِالشَّمْسِ الْعَتِيقَةِ
يَتَغَذَّى بِالْحَقِيقَةِ...

3

يُولَدُ التَّارِيخُ فِي شَمْخَةِ صَدْرِي
فِي انْتِفَاضَةٍ
وَيَلَاقِي فِي دَجَى الْمَوْتِ بِيَاضَةً
كَلُّ فَجْرِ .

4

سِرٌّ مَعِي يُحْفَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْيَقِينُ
وَالْحَنِينُ .
سِرٌّ مَعِي نَفْتَحُ عَلَى الْمَغْلَقِ بَابَا
وَكِتَابَا .
سِرٌّ مَعِي تُشْبِكُ عَلَى الْحَلْمِ الْجَفُونَ
وَيَكُونُ
كَلُّ مَا لَيْسَ يَكُونُ .

5

في رواينا نداءات تروُدُ
موطناً بكَراً جديداً ،
إنَّ في التيه شريدا
سيعوُدُ .

6

حولك العالمُ تَعْبَانُ وفي عينيه ظُلْمَةٌ
لا يرى ، لا ينقش اللَّفْتة في المغمض نجمه .
وهو لا ينسجُ للصبح رداءةً
وبهائه .
لا تَسْلُهُ
رملُهُ نَشْفَ نَبْعَهُ
وانتشلُهُ ،
تحرِقُ العُثمَةَ شمعةً .

7

عَبْرَ أيامك في المستقبلِ
موعدٌ لم ينجل .
لكَ فيه طفلةٌ ترضع ، كالثدي ، السُّنينا
وتُسَوِّي لك يسراها ، من الحبِّ ، يمينا .

لك فيه قلقٌ مدُّ يديهِ
وطوى الكونَ إليه ،
لك فيه قصةٌ لم تكملِ
قصةُ المستقبلِ .

8

زندك المتعبُ يجري نَهراً ، يرفع بيتنا
وهو في قنديلنا الشَّاحِب يساقط زيتنا .
ها هنا يسبح غيمه
وتعاريش وخيمه
أنتَ صليتَ عليها وانحنيتَ :
زندُ ، يا مُتعبُ ، يا خالقُ ، من أين أتيتَ؟

9

في سواد الأفقِ
تتهاوى صاعقهُ
حُمِلت بالشَّقِّقِ
بالفصول العاشقةُ .

10

عندنا تنبتُ للصخر جفونُ

وعيونُ
عندنا يُنْسَجُ للغيمِ سريرُ
وحصيرُ
عندنا تشعر كالناسِ الجبالُ
والتلالُ
كلُّ شيءٍ عندنا يحملُ فأسَهُ
ويُغَيِّرُ ،
ينتضي كالاحتِمِ بأَسَهُ
ويسيرُ .
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صدرَهُ
بيديهِ
ناغهِ واخُنُّ عليهِ
يُكشِفُ المجهولِ عبرَهُ .

11

كلُّ جرحِ
هو في آفاقنا طلَّةُ صَبْحِ .

12

يُحُّ صوتُهُ
هو كالشرنقةِ الصفراءِ ، يحيا فيه موثُهُ .

شاردٌ حَطَّ خطاهُ فوق زلَّةٍ
وهوى ، إلا أقلَّه
ليس يدري ، أهو القبر ، أم القبر سواه؟

13

يا أغاني في حناياه تمورُ
وتثورُ...
زَّئريه
واغمريه ،
واكتبي فوق ترابه
بعضَ ما به ؛
فهو الآن ، كما صوّر ، فحمة ،
وغداً يطلع نجمة .

14

أين ذنبي ،
حينما أوقظ للثورة قلبي
وأصلي لدواليه ، لريفه
لخريفه ،
وأنقيهِ ، أنقي خفقاته
من سباته

من دياجير حياته ...
أين ذنبي
حينما أفتح للعالم قلبي؟

15

في بلادي تشرق الشمس المضيئه
كالخطيئه .

16

أيّ نار
لم تصلصل: «قلبه اللاهيبُ جمري وأواري»
أيّ فرقذ
لم يقل: «عيناه معبذ» .

(صوت)

أنا ، هذا الضحى لَمَمْتُ أُنْبَعَاثَاتِي
وسوَيْتُهَا لشعبي عيدا -
فليكنْ بعدي الضحى تقليدا .

مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب ، وقد أصيب بخلل عقلي وتشوّه في أن معاً . فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رأهم ، يملء عينيه ، يقتلون حوله : ذلك انفلقت جبهته ، وهذا تفرّزت أحشاؤه ، والأخر يحشرج ، وغيره فتت نثرة ، نثرة) .

الأشخاص

الجندي المجنون المشوه ، أصوات ، الصدى

المشهد الأول

الجندي ، الصدى

[الليل هادئ ، صافٍ . يشرف الجندي ، في وقفته ، قريباً من بيته
المنعزل في طرف القرية ، على وادٍ سحيق] .

الجندي : (ينغي وهو يربط خيط حلائه العسكري الذي بقي معه لسبب ما) .

تنهض بي وترتمي
مطرقةً من الدم
كأنما طنينها
يجبسني في قُقم .

الصدى : م . . . مي . . .

الجندي : (لم ينته من ربط حلائه)

بي الروابي تُمهّدُ
بي الزمانُ يُحصّدُ
خرافة الحياةِ
والبدء والممات
مرسومةً بشكلي
محفورةً بذاتي .

الصدى : تي . . . تي . . .

الجندي : (متابعاً غناه) .

كنتُ وما برحتُ
شيئاً من الكفاحِ
والياسِ والجراحِ
لو متَّ لاسترحتُ .

الصدى : ت . . . ت . . .

الجندي : (يجلس وهو يغني)

لأيِّ جمالٍ وحبٍّ وخيرٍ
أحاربُ غيري؟
لأيِّ قضيةٍ
أوسخُّ بالحقِّ ، فيّ ، عروقي وكلِّ شعوري
وكلِّ خليّةٍ؟

(يتوقف لحظة ثم يتابع)

لِلاشيءٍ أصبغُ بالأفكِ عيني ،
وجبهة أرضي
وأخنقُ نبضي ،
وأفصلُ بين الوجودِ وبينني .

الصدى : ني . . . ني . . .

الجندي : (يتابع غناه وهو يفك من جديد سيور حدائه) .

خَرَسُ الأصداءِ في سمعي تَفوّة

أنني صرتُ مشوَّة
يَضْمَرُ الممكنُ في نفسيَ والشكلُ الصحيحُ
كلَّ ما شئتُ سرابٌ كلَّ ما جمعتُ ريحُ .

(ينهض ، ثم يتابع بشيء من الرعدة)

في عروقي قلقُ

في جفوني أرقُ

ولكم أكره في القلقا

والأرقا

ونجوم الليل ، والليل وهذا الأفقا .

الصدى : (ويسمع طويلاً حاداً)

قا ... قا ...

المشهد الثاني

أصوات ، الجندي ، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب ، كأنه يريد أن ينام ، يزداد لمعان النجوم
تألقاً ، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى) .

صوت : يا عابر الطريق

مُرّ على شقيقي

وابحثْ خلال بيتي

عن كفنٍ لميتٍ :

عباءةٍ طُرزتها بقصب العقيقِ

يا عابر الطريق

الصدى : ق ... قبي ...

صوت آخر : يا أيها الخيالُ

عنيّ ما يقالُ؟

مَن مات ، مَن تبقى؟

من سادّ واسترقأ؟

بعدي ، بعد موتي ما قيل؟ ما يُقالُ؟

هل بطل السؤالُ

هل أمكن المحالُ؟

يا أيها الخيالُ

الصدى : قا... ما... لو... لو... لو...

صوت آخر : كان في جيبِي الصغير قصيدته

كاتبها مفاصلي وشراييني وأودعتها الحياةَ

الجديده

كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أني غائبٌ ، همَّ

ضوءُها أن يُعيدهُ .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أسمع همس طفلٍ غُمس بالدموعِ

يلعبُ في ضلوعي ،

أحسّه أمامي ضرعاً من الضروع ،

يطفر في الرؤابي يضيع في الزروع .

الصدى : عي... عي... عي...

الجندي : (يتنفض مدحوراً ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويحدق أمامه) .

ماذا يُريد الصدى مِنِّي... ماذا يُريد؟

وفي من رَجَعه ألفُ فمٍ أو يزيدُ... .

(يتابع محدقاً ، يده خشبتان ، وصدرة مغارة) .

ما العارُ ، ما الغارُ؟

ما الفرقُ ، في موتي ، إن ضمّني

نَبْعٌ ، أو اجتثنتني النارُ؟

وجودنا محض سديميةٌ

ونحن في السديم أقدارُ
ليس مع الموت جديدٌ يرى
وليس في الحياة أسرارُ .

الصدى : (أقوى هذه المرة ، وأكثر حدة)

رُؤ... رؤ... رؤ...

[ينهض الجندي ، سيور حدائه محلولة ، حاسر الرأس... يده اليمنى
تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها
تحتضن خاصرته] .

المشهد الثالث

أصوات ، الجندي ، الصدى

[لا يزال الجندي واقفاً . يجلس قريباً من مكانه الأول . في هذه اللحظة يسقط شهاب من السماء ، ويعكر الهدوء الشامل عواء ابن أوى . هاتان الحادثتان تثيران فيه ، كما يبدو ، مشاعر مبهمه غريبة تنطق بها قسماات وجهه . يعاود تمدده ، ويود لو ينام] .

صوت : عِشْ لِلْحِظَّةِ

واقْتَحِمْهَا

واغْتَنِمْهَا

كُلْ شَيْءٌ ، بعدها ، وهمٌّ ولفظةٌ .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : قُلْ لطفلي

أن يرى العالم والأشياء مثلي .

الصدى : (لا يكاد يسمع) ل . . .

صوت آخر : سوّ صدري وبقايا اللحم فيه وصليبه

أغنياتٍ للحبيبه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أكره الناس والحياة
أي شيء يخافه من تخطأهم ، ومات؟
الصدى : يا ... حات ...
صوت آخر : كنت أحييا كالغراب البرص
نثرة في قفص .
الصدى : ص ... صي ...
صوت آخر : كحذائي
يبرق العالم شمسي الرّواء
وكوجهي كل كنه .
الصدى : ني ... هي ...
صوت آخر : عند جيبني .
تنتهي الدنيا ويبدو كل غيب .
الصدى : بي ... بي ...
الجندي : (وكانه يتحدث بلا وعيه)
من أنا ... أي عصفافه
تخلدت شكل خرافه؟
الجندي : (متابعا وكانه لم يسمع شيئا)
كالحجره
لا أشعر
لا أقدر
جسد عمري في حذاء هري ، في مطرة .

صوت : (يصعد قوياً ، حاداً)

قم انهضِ

واهربُ من الموت وشمّر واركضِ .

الجندي : (ينتفض ، ويجلس ، قدماء ومدودتان ، ودلائل الخبيل على وجهه) .

يا . . . كيف ، كيف أنهضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي ، ويُغمضُ .

(يتوقف برهة ، ثم يقول متابعاً) :

في جسدي ثقلُ الزمنُ

ثقل الخراب والدمنُ

في جسدي يدُ الكفنُ

يدُ العفنُ .

(بعد فترة وجيزة ، وبلا مبالاة)

فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانُ

كالموج ، في الصراع ، لا يهدأن

لا الأمس من عُمرِي ولا أيّ أنُ .

المشهد الرابع

الجندي ، الأصوات ، الصدى

[ينهض الجندي ، ويتمشى بخطوات وثيدة في منحدر الوادي ، حاسر الرأس ، ولا تزال سيور حدائيه محلولة] .

الجندي : (متمتماً) ما المصير؟

صوت : (عميقاً ، مديداً ، يبدو كأنه صدى) .

سَلَلٌ ، طَرَحٌ . . . يطيرُ .

الجندي : (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الإله؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما كانَ سواه .

الجندي : (متطلعاً إلى فوق) .

ما المغيب؟

الصوت والصدى معاً : حاضرٌ بالظنِّ ، بالخوفِ يُطَيَّبُ .

الجندي : (غاضباً بصره) ما البدايه؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما صارَ نهايه .

الجندي : (وهو يضغظ على جبينه بأصابع يده اليسرى ، ويده اليمنى في جيبه) .

ما الحقيقه؟

الصوت ، فقط : شرطي شقّ بالسوط ، طريقة .

الجندي : (ملتفتاً وراءه ، نحو بيته)

ما الزمان؟

الصوت والصدى معاً : ضفدع نقّ ، ورملاً ودخاناً

الجندي : (متوقفاً عن سيره الوثيد)

ما الحياة؟

الصوت والصدى معاً : سرب أطفالٍ صغارٍ .

عمّروا كوخاً من العشب وماتوا .

[يحاول الجندي أن يتابع سيره ، فيعثر ، ويسقط ، ويتدحرج على

المنحدر... في هذه اللحظة ، يختلط كل شيء ، الأصوات والأصداه

وصوت الجندي وصوت تدحرجه... ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القنيطرة ، 1956/2/2)

السديهم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مجانيين العالم

(تعبر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها . حين كتبتها كنت
أجلس ، فعلاً ، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانيين ، وكنت أشعر أن
العالم يبدو لي من خلالهم) .

الحياة قصة يرويها أبله .

شكبير

يمكن للحقيقيّ أحياناً ، ألاّ يشابه الحق .

بوالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول .

أغاتون

الأشخاص

المجنون الأول ، المجنون الثاني ، المجنون الثالث

الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة ، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق ، سقفها أشبه ببيت عنكبوت ، خيوطه من الخشب ، فيها أربع طاقات ، ثلاث منها مغلقة – والأصح مسدودة – . تكسوها حصرُ التصقت بصحنها ، نتنه ، يقبع في إحدى زواياها ثلاثة أشخاص : رأس الأول محلوق يلمع كالزيت ، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم ، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة ، في يده خِرْقٌ أخرى ، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم» ، ويعني القمل .

يتكوى الثاني إلى العدار ، يلتحف بغطاء أسود ممزق ، على رأسه شملة معقودة حول عنقه . مثبتة بحزام أحمر عُقد عقدة ذات شعبتين ، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً .

ويحضن الثالث مِرْقَة جريدة علق بها شيء من السكر يلحسها بحركة من لسانه ، معتوهة ، له لحية طويلة يختلط فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخاذاً .

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي ، رغم أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في مثل هذا الحديث . كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم] .

المجننون الأول : في داخلي تتكوّن

أشياء هذا العالم

وبأضلعي تتلوّن

وبخاتمي :

هي كالمآسي ، بالخديعة والضلال

تُهوّن .

المجننون الثاني : (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)

ماذا؟ أليس عن القدر

نسخ البشر

سيفر الوقائع والمصير

وتفكروا

وتبصروا :

فهنا الحقيقة كالتفاضلة لوّثت طرف

الحصير

وهنا الضحى يتحلزن

فوضى : صباح لا يرى وألوهة تتوئن .

المجننون الثالث : (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)

يا شمس لونك حائل

يا أرض أسك مائل :

للصخر أرداف تهز وللتراب جدائل .

المجننون الأول : (بسرعة) ماذا تقول؟

المجنون الثالث : حبلت بقاتلها العقولُ .

[تخيّم فترة من الصمت يعكّر هدوءها المجنون الثاني ، وهو

يلكز المجنون الثالث قائلاً] .

المجنون الثاني : حدّق ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث : (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني : ينطقُ

في مقلتيه زئبقُ

يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزّقُ .

حدّق ، أراه يُحدّق .

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ .

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدّق فيه)

تلك فُتْحَه

عندها خبأ ليل العمر صبيحَه .

والزوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (ببرودة) للجدارِ

عنقُ لفّ بغارِ

وشرارِ

سطحه كَأْسٍ وخمرٌ وثناياه جوارِي .

(يلتفت إلى المجنون الصامت ويتابع)

لبس الحائط خُفَّةً

مَدَّ كَفَّهُ

وعلى العالم سلَّم

(يتابع مقهقها)

يا . . . تكلم .

الدور الثاني

[المكان ذاته . المجنون الأول يجلس القرفصاء ، يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه . عيناه ضائعتان . يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه . يجلس الثاني ويده اليمنى تسند ذقنه ، واليسرى لا مكان ثابت لها . أما الثالث فعيناه إلى الأرض] .

المجنون الثالث : (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ ، ما سوانا؟

المجنون الأول : (بلهفة) دودٌ على خطانا

ومنخرا ذبابه ،

ملساء كالسحابة .

المجنون الثالث : (بسرعة) وحُفْرٌ مليئة

بالقيء والخطيئة .

الدور الثالث

[المجنون الثلاثة يتصاحكون ويتهامسون بحركة لا تفتقر . قام الأول
وخطا بضع خطوات ، ثم عاد وجلس . وتمدد الثاني وهو يتشاءب . ثم رجع
إلى وضعه الأول . والثالث يفرك يديه] .

المجنون الثالث : (مشيراً إلى تزاويق على الجدار)

في مدى هذي الحديقة

ألفُ بحرٍ وحريقه

المجنون الأول : (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقة

هذه خيطان سحرٍ فُزَحِيَّاتٌ رقيقة

صاغت السَلْمَ طيرا

وبياضَ الكلسِ ديرا .

المجنون الثاني : (متطلعا من الطاقة المفتوحة ، مشيراً إلى ما يبدو منها ، من الفضاء) .

أيّ شيء هو هذا

ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعقل الشينوخة)

هو بحرٌ من هواءٍ صبيغٍ للشمس مَلَاذا ،

وهو للعميان مرسمٌ
ولجرح الموت بلسم .
المجنون الأول : والطيورُ
أُكْرَف فيه تدورُ .

المجنون الثالث : (يُفَاجأ بفراشة تدخل من الطاقة ، فيصيح)
ها فراشة ،
بجناحيها كَسَا الأفقُ فراشة .

المجنون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو ، فيصيح وكأنه لم يسمع ما قاله المجنون
الثالث) .

ها ، سنونو
أه لو أني كالطير أكونُ
أه ، لو أني حمامه
أو غمامه .

[يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم المجنون الثالث قائلاً
وهو يشير إلى جملة الأشياء ، حواليتهم] .

المجنون الثالث : هذه الأشياء سوداء غريبة
المجنون الثاني : (بلهجة مكتشفة)

هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه
لم تُبَيِّن .

المجنون الثالث : هي في الخلق سديمٌ بعده لم يتعيَّن .
(يصمت ثم يتابع ، وكأنه يضرب أمثلة)

الرّوايى

صلوات وخوايى .

والجدارُ

قفصُ يىكى وناؤ .

المجنون الأول : (مقلدا لهجة المجنون الثالث)

والحصاةُ

شهدُ نحلٍ لا يُسمى

قطرت منه الحياةُ

هى فى النشأة أفعى

وهى فى الرجعى صلاة .

والمأذن .

المجنون الثالث : (مقاطعاً) هى للصوت مخازنُ .

(بصمت ، ثم يتابع بلهجة الحكيم)

كلُّ عُرْفٍ .

محض إشكالٍ وخُلفٍ .

المجنون الثانى : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ

وحجرٌ يخاطُ

وموجة تهندسُ

وهو ، أو أن يُدرَسُ

كتابةٌ منيهمه

تُزرى بكلِّ ترجمه .

المجننون الأول : (بشيء من العيوس)

من محال الكون أن تمحو

في الكون النخطيته

فهي للحق بناء

ورداء

وهي بالحق مليته .

المجننون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)

ومن الباطل أن تُقصَى عن الباطل أرض

فهو في العالم قرض .

المجننون الثاني : (بنبرة موافقة)

نظف الأرض من الشر ، فلن تلمح خيرا

واحذف الأفق يصير كل ديبب فيه طيرا .

المجننون الأول : (بابتسامة خفيفة)

لتكونا

لتصير الجوهر العالي على كل حياة

وممات ،

عد سكونا

صير ترابا

أو كتابا .

(تمر فترة صمت ، يضحك المجنون الثالث فجاءة ، وهو يقول)

ألق النهار وسادة

وبداية الليل امرأة
والموت أول شاعرٍ
تخذ النهايةً مبدأه .

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى ، أو بغيرها ، نوبة كبيرة من
الضحك ، فيرقصون ويغنون] .
ليس في العالم إمكانٌ للغزِ
أو لرمزٍ
فلقد يختبئ العالم في كِسرة خُبْزٍ .

(القنيطرة ، سورية ، السجن العسكري ، أواخر آذار ، 1956)

سمعته وفمه حجارة

- ١ -

سمعته وفمه حجارة :

«خَطَايَ لَا أُرِيدُهَا ،

ثَقِيلَةٌ ، رَتِيبَةٌ .

وهذه سلاسلِي

أَموتُ فِي رَنِينِهَا ، -

سلاسلِي حديدُهَا إِلَهٌ .»

وقال والترابُ فِي جفونِهِ ، وصوتهُ غوايَةٌ :

«السَّاعَةُ الَّتِي تَجِيءُ ، لَمْ تَجِيءُ» .

- ٢ -

نافذتِي الَّتِي رَبَطْتُ نَاطِرِي بِصَوِّئِهَا

مَغْلَقَةٌ ،

وَبَصْرِي مَكْفُونٌ

وَحَاضِرِي دَمٌ - مَصَائِرُ رَهِينَةٍ وَوَطَنٌ مَسُورٌ بِمَوْتِهِ ،

والآخرون - الكونُ في بيوتهم
والله فوق طبقي من العقول مُترَفٍ .

- ٣ -

أغَيَّرَ الحَيَاةَ : شَكَلَ سِيرَهَا
وَأَدْمِيًّا مَوْثِقًا بِخَيْزِهِ
يَقْصُصُ بِالهُوَاءِ - يَبْقَى اللهُ فِي حَلْقَوْمِهِ مَعْلَقًا ؛
وَلَا يَزَالُ صَوْتُهُ
يَجْتَاحُنِي ، وَفَمِهِ حَجَارَةٌ ؛
«خُطَايَ لَا أُرِيدُهَا . . .»

- ٤ -

«تُرَى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟
وَهَلْ يَكُونُ مَوْتِي أَنْبَعَاثَةً؟
وَهَذِهِ حَيَاتُنَا :
مُتَرْتَلُونَ مَوْسِقُوا سِرَابِهِمْ ،
وَبَيْنَ كُلِّ خَطْوَةٍ وَخَطْوَةٍ
مَغَاوِرٌ تَأَلَّهَتْ ، وَنُصِبٌ .
وَمَاتَ قَبْلِي الْمَسِيحُ ، مَاتَ آخَرُونَ ، بَعْدَهُ...
تُرَى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟» .

- ٥ -

سمعتہ ، وفمه حجارۃ ، يقول : «بَعْدُ ، لا نرى
والساعةُ التي يقال إنها آتيةٌ ، توقفتُ» .
وقيلَ ، أمسِ غابَ . غابَ صوتُه
وقيلَ ماتَ : وجهه غوايۃً
وناظراه أُفُقٌ ، نوافذٌ جديدةٌ ،
وساعدها جدولاً شقائقٍ .
وقيلَ : مَنْ خَفَّوا إلى وداعه
تَهَامَسُوا وتَمَتَّمُوا :
«أبَالِدَمِ انْتَهَى الدَّمُ؟» .

(بيروت ، 1957/3/15)

البعث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)

١- الحلم

أحلمُ أنْ في يدي جمرةً
آتيةً على جناح طائرٍ
من أفقٍ مغامرٍ
أشَمَ فيها لهباً - قرطاجةَ العُصُورِ ،
ألمح فيها امرأةً
يُقال صار شعرُها سفينةً ؛
ألمح فيها امرأةً - ذبيحةَ المصيرِ .

أحلمُ أنْ رثيَّ جمرةً
يخطفني بخورُها يطيرُ بي لِبعلَبِكَ ،
بَعَلَبِكَ مَدْبِجٌ ،
يُقال فيه طائرٌ مولءٌ بموتهِ
وقيل باسمِ غدهِ الجديدِ باسمِ بعثهِ
يحترقُ
والشمسُ من حصادهِ والأفقُ .

٢ - نشيد الغربة

فينيقُ ، إذ يحضنك اللهبُ أيّ أفقٍ ترودهُ؟
والزَّغَبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثله؟
وحينما يغمركَ الرمادُ ، أيّ عالمٍ تحسهُ
وما هو الثوب الذي تريدهُ - اللونُ الذي تحبه؟
وما تُعاني حينما تهمدُ كل خلجة؟
والسُّحرُ الذي امتلكتَ شمسهُ الأميرة
فينيقُ ، ما يكونُ؟
وما تكون الكَلِمَةُ الأخيرةُ - الإشارةُ الأخيرة؟

غُربتكَ التي تُميت ، غُرتي
غُربتكَ التي تُحبُّ ، تنتشي
غُربتكَ التي تموتُ هَلعاً لغيرها
غُربتكَ التي تموتُ ولعاً بغيرها
غُربتكَ التي تُميت ، غُرتي - لا أمُّ فوق صدركَ الموثقِ
باختناقه
لا أبٌ يُحييكَ حنوُّ قلبه .

غربتك ، الوحيد فيها ، غربتي
غربة كل خالق يحترق
يُولدُ فيه الأفقُ .

أغنيتي ، يقال عن أغنيتي ،
غريبة ،

ليس بها من الركام وتر ولا صدى
وجبهتي ، كما يقال ، مثلها غريبة .
غربتك التي تُميتُ غربتي

أزحتُ عن وجودي الركام والفراغ والدُجى
بلهفتي إلى السوى - بحبي العظيم ؛ لا تزال خلفي البوابة
الكبيرة ، السلاسلُ - الفراغ والركام والدُجى ،
ترصدني ، تُعلقُ التفاتها بخطوتي .

مُشرَّد أحبُّ حتى المالمين جبهتي سلاسلًا
الكامنين في الدروب غيلةً
مُشرَّد أحسنني طفولةً

أحسني أرفعُ بعلبكي العاشقة ، الوالهة الحجاز
أحترق ،

يكبر في الأفقُ - يُولدُ في الأفقُ
وحينما يستيقظُ الصباحُ
يطلعُ لي ، من أول ، جناحُ

مثلك يا فينيق
يا أيها الرفيق .

للموت ، يا فينيق ، في شبابتنا
للموت في حياتنا
منايع ، بيادر
ليس رياح وحدة ،
ولا صدى القبور في خطوره .
وأمس مات واحد
خبا وعاد وهجه
كان يرى بحيرة من كرز
حريقة من الضياء ، موعداً .
خبا وعاد وهجه
من الرماد والدجى
تأججاً .

وها ، له أجنحة بعدد الزهور في بلادنا
بعدد الأيام والسنين والحصى
مثلك يا فينيق فاض حبه
علا ، أحس جوعنا له ، فمات - مات باسطاً
جناحه ، محتضناً حتى الذي رمده .

مثلك يا فينيقُ
يا حاضنَ الربيعِ واللَّهَبِ
يا طيرِيّ الوديعِ كالتعبِ ،
يا رائدَ الطريقِ .

٣ - رماد عائشة

سمعتُ أنْ عندنا
سمعتُ أنْ بيننا
ثلاثةٌ من الركامِ يعشقون موتهم
واحدهم مغارةٌ
والآخران صدناً :
«رَبَاهُ ، لو نموتُ ، صار لحمنا
شرائحاً من الحمصى .
رياه ، لو نموت . كان عمرنا عبادةً
فجدُّ لنا بداركُ
بأبدٍ يدومُ في جواركُ» .

ثلاثةٌ من الفراغِ -
واحدٌ مغارةٌ
والآخران صدناً :
«رَبَاهُ ، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأ السراج والصَّبَّاحُ في عيوننا

وجمدت صلواتنا على اسمك القديم
ونسيت قلوبنا اللذائذ الخطايا
أمله بوعدك الكريم .

ثلاثة من الركام ، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكرون ، واحد مغارة
والآخران صدأ ، صدى لها :
« يا رب صرتُ آخراً :
مفاصلي مسامراً
وركبتاي خشباً .

رَبِّي هَيَّئْ مَوْضِعاً مَبَارِكاً لِعَبْدِكَ اللَّذِيلِ
هَبْنِي مَقْعِداً مَنَعِماً أَكْوَابِهِ مِنْ ذَهَبٍ
وَفِضَّةٍ ، وَلِدَائِهِ مَخْلُودُونَ -
هَبْنِي الخلود في جوارك الحبيب ، يا إلهي .
ثلاثة من الفراغ يكرهون عمرهم
فالفراغ عندنا

مجامرٌ كبلبلك ؛ للفراغ ناره وموته وبعثه :
ما أروع الحريق ، ما أجله
ما أعظم العراك ، أي بطل سينتهي
لمن يكون الزمن الذي يجيء ،
والعراك هل يموت ، هل يخف ، هل يظل قائماً؟

عائشةُ جارتنا العجوز مثل قفصٍ مُعلّقٍ
تؤمن بالركام والفراغ والطُرزُ
وبالقضاء والقدَرُ

أهدابها منازل النجوم ، كلّ نجمةٍ خبِرُ
عائشةُ تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرٍ
تقول إنّ الأرض أبشعُ الأكرُ
صورها الإله تحت عرشه

ومن علّ دخرجها

خطيئةً كأنها البشرُ :

«يا ويلَ ، ويلَ من كفرُ

يا سَعْدُهُ من اعتبرُ» .

عائشةُ جارتنا تقيّةُ ،

يحبّها القريبُ والبعيدُ

والمدُنُ الكثيرة الشوارع المزيّينات بالطُرزُ .

يحبّها الحاضرُ في بلادنا ، الكامنُ فيها ورمأُ

ولافتاتِ زينة

وقفصاً من الذباب أخضرأ .

عائشةُ جارتنا تقيّةُ ،

حياتها جلودُ صوفٍ وخرافُ ورعٍ

وحكمةُ تعودُ بالأرض إلى سديمها

تحتجز الحياة في تكيّةٍ

من ورقِ الرمالِ
وطُخَلبِ الليالي .
عائشةُ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا
كبيرةُ فارعة القوام تأخذ البصرُ
وتأخذ القلوب ، يا فينيق ، والفِكرُ
كأنها القمرُ .

٤ - ترتيب البعث

فينيقُ ، يا فينيقُ
يا طائرَ الحنين والحريقِ
يا ريشةً
ساحبةً وراءها الظلام والبريقِ
مُسافرٌ خُطاكِ عُمُرَ زهرةٍ
لفتتكَ انخفاقةٌ وناظركِ منجمٌ ،
مُسافرٌ زمانكِ الغدُ الذي خلقتهُ
زمانكِ الغدُ - الحضورُ السرمدِيُّ في الغدِ
لموعِدِ :

به تصير خالقاً ، به تصير طينةً
تتحدُّ السماء فيك والثرى
فينيقُ في طريقك التفتُ لنا
فينيقُ حُنٌّ وأثثدُ
فينيقُ مُتٌ ، فينيقُ مُتٌ
فينيقُ ، ولتبدأ بك الحرائقُ
لتبدأ الشقائقُ

لَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ

فِينِيقُ ، يَا رَمَادُ ، يَا صَلَاةُ .

نِيرَانُنَا جَامِحَةَ الْأَوَارِكِ كِي يُوَلِّدَ فِينَا بَطْلًا
مَدِينَةً جَدِيدَةً

نيراننا الخفية الحدودِ في جذورنا
تمجد الهنيهة التي بها

يحترق العالم كي يصيرَ عالماً مثلاً

اسمك - الرماد والتجددِ

مثل اسمك - الحياة ، والمحبة التي تموت فديةً ،

تحرقنا ، تربطنا بريشك المرمدِ

لنتهدي .

فِينِيقُ ، أَنْتِ مِنْ يَرَى ظِلَامَنَا

يَحْسُ كَيْفَ نَمُحِي

فِينِيقُ مَتَّ فَدَى لَنَا

فِينِيقُ وَلْتَبْدَأُ بِكَ الْحَرَائِقُ

لَتَبْدَأُ الشَّقَائِقُ

لَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ ،

يَا أَنْتِ ، يَا رَمَادُ يَا صَلَاةُ .

فِينِيقُ ، يَا فِينِيقُ

في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى ،
أرى إليك تجمع الزمان - هذا الحطب الحلوبَ

مثل منبع

ترفعه حريقاً

أرى إلى جناحك انتشى ، علا ، هوى

أرى إليك في اللهب غارقاً

في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى

أرى إليك لهباً ، أرى إليك جمرة غريبة

أليفة صاحكة إلى الضحى

في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى

أرى أرى رمادك

كأنه استعادك

كأنه أعادك .

فينيقُ خلٌ بصري عليك ، خلٌ بصري :

ألمحُ خلال نارك الغيب الذي يختبئ - الذي

يلفُّ جرحنا ،

وألمح الركام والرمال والدجى

والله في قماطه ، الله الذي تلبسه أيامنا

حراثتاً وعصماً وجذراً

تلبسه ولا ترى .

وأفرحاً . . .

«سيدتي ، يا كتفَ الاسمنت ، يا خواصر الحديد ، يا تكيّة
تهدّمت ، ولا تزال حيّة عامرة .
سيدتي أنا اسمي التجدّد
أنا اسمي الغدّ
الغدّ الذي يقتربُ - الغد الذي يبتعدُ .
في مهجتي حريقة ذبيحة
فينيق سرّ مهجتي
وُحْد بي ، وباسمه عرفت شكلَ حاضري
وباسمه أعيش نار حاضري ،
سيدتي العجوز لستُ شاعراً
بالخطر الذي ترين ، ها يدي مليئة بلحمها
هادرة بدمها
وها أنا أسيرُ ، دائماً أسيرُ ، خطوتي
تحبّني ، وقدمي عاشقة غبارها ، نافضة غبارها
ولا أزال شاعراً بقوتي
صدرتي في علوه ،
وجبهتي كأرزة» .

وأفرحاً ...

«يُفْتَحُ صدر عالم أهدابه المحبّة
البساطة ، الغدّ الذي لا تضمّر الشمس احتمالَ مثله .

تحضننا الألوهُةُ الرَّائِمةُ التي تحسّ مثلنا - التي تحسّ معنا .
فِينِيقُ خلّ بصري عليك ، خلّ بصري ،
فِينِيقُ مُتٌ ، فِينِيقُ مُتٌ
فِينِيقُ ، تلك لحظة انبعاثك الجديدِ :
صار شَبَهُ الرمادِ ، صار شرراً
والغابرُ استفاق من سُبَاتِهِ
ودبّ في حضورنا :
«أَبْطَلُ استدار صوب خصمه
للوحشِ أَلْفُ خُنْجِرٍ
أَنِيَابُهُ مطاحنٌ
والظَّفَرُ السَّنِينُ سُمٌّ حَيَّةٍ .
والبطلُ القويُّ مثلُ حَمَلٍ
تَمَوَّزُ مثلُ حَمَلٍ - مع الربيع طافرٌ
مع الزهور والحقول والجداولِ
النَّجْمِيَّةِ العاشقة المياهِ ،
تموز نهرٌ شررٍ تغوص في قرارهِ
السَّمَاءُ . تموزُ عُصْنُ كَرْمَةٍ
تُخْبِثُهُ الطيورُ في أعشاشِها ،
تموزُ كالإلهِ .

أَبْطَلُ استدار صوب خصمه

تموز يستدير نحو خصمه :

أحشاؤه نابعة شقائقاً
ووجهه غمائمٌ ، حدائقٌ من المطر .
ودمه ، ها دمّه جرى
سواقياً صغيرةً تجمّعت وكبرت
وأصبحت نهرٌ
ولا يزال جارياً - ليس بعيداً من هنا -
أحمرٌ يخطف البصر .
واندثر الوحشُ وظلُّ خصمه الإلهُ
ظلٌّ معنا شقائقاً
جداولاً من الزهر
وظلٌّ في النهر» .

البطل اهتدى ، مضى لموته
لا ، لن أرى جبينه الغريقَ في غيومه
الغريقَ في بدوره
ولن أخيط صدره ببؤبؤي
لا ، لن أراه مطراً وجثّةً من الرياح
مطراً وجثّةً من الحقولِ والحصادِ
لن أرى صوانةَ الحياة في رماده
ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يُحبّه

وفي غدٍ أسمعهُ أغنيةً حزينةً مفرحةً .

فينيقُ ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديد ؛
صار شبةُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبياً
والربيعُ دبُّ في الجذور ، في الثرى ،
أزاح رملَ أمسنا - المعجوزَ والثلاثة :
الركام والفراغ والدُّجى ،
فينيقُ خلَّ جبهتي أسيرةً لَدَيْكَ في علوِّكَ البعيدِ عن جفوننا ،
البعيدِ عن أكفنا
وخلَّني لمرَّةٍ أخيرةً ، الأمس الترابَ في جناحك الرَّمِيمِ -
خلَّني
لمرَّةٍ أخيرةً
أحلمُ أن رثتي جمرَّةً
أتيةً على جناح طائرٍ
من أفقٍ مغامرٍ ،
وخلَّني أشمُّ فيها اللهب الهياكلي ، - ربَّما لُصُورٌ فيها سِمةٌ
وربَّما تجسدت قرطاجةُ :
دقائقُ الغبار فيها لهبٌ
وخلَّني لمرَّةٍ أخيرةً
أحلمُ أن رثتي جمرَّةً
يأخذني بخورها ، يطيرُ بي ؛

وخلّني لمرّة أخيرةٍ :
ها ركبتني حنيتّها
وها جلست خاشعاً
فخلّني لمرّة أخيرةٍ أحلم يا فينيق
أحتضن الحريق
أغيب في الحريق
فينيق ، يا فينيق
يا رائدَ الطريق .

(بيروت ، 1957/5/10)

الصقر

«وأقبلت النخيل فصاحوا علينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكم ، فسبحت ، وسبح
الغلام أخي ، فالتفت إليه لأقوي من قلبه ، فلم يسمعني واغتر بأمانهم وخشي الفرق ،
فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، ثم قدموا الصبي أخي الذي صار
إليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه ، وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،
ومضيت إلى وجهي : أحسب أنني طائر وأنا ساع على قدمي» .

عبد الرحمن الداخل

(صقر قريش)

١- أيام الصقر

هدأت فوق وجهي بين الفريسة والفارس الرماحُ
جسدي يتدخرجُ والموت حوذيهُ والرياحُ
جُثثُ تتدلى ومرثيةٌ ، -

وكانَ النهارُ

حجرٌ يثقبُ الحياةَ

وكانَ النهارُ

عَرَباتٌ من الدَّمعِ ،

عَيْرُ رنينك يا صوتُ ،

أسمعُ صوتَ الفراتِ :

- «قريش ...»

قافلةٌ تُبحرُ صوبَ الهندِ

تحملُ نارَ المجدِ .»

... والسَّماءُ على الجُرحِ ممدودةٌ ، والضُفافُ

تتهامسُ ، تَمْتَدُّ :

بيني وبين الضُفافِ

لُغَةً ، بَيْنَنَا حِوَارُ
حَضَنَتْهُ الْكَرَاكِيُّ ، طَافَتْ بِهِ كَالشَّرَاغِ
بَيْنَنَا ، -

وَأَفْرَاتَاهُ ، كُنْ لِي جَسْرًا ، وَكُنْ لِي قِنَاعًا .

وَتَرَسَّبْتُ ،

غَيْرَ رَنِينِكَ يَا صَوْتُ ، أَسْمَعُ صَوْتَ الْفِرَاتِ :

- «فَرِيشُ» ...

لُؤْلُؤَةٌ تَشَعُّ مِنْ دِمَشْقِ
يُخَبِّئُهَا الصَّنْدَلُ وَاللَّبَانُ
أَرْقُ مَا رَقَّ لَهُ لِبْنَانُ
أَجْمَلُ مَا حَدَّثَ عَنْهُ الشَّرْقُ . . .»

... وَأَنَا فِي فِضَاءِ الْجِنَادِبِ تَحْتَ الْغَيْومِ الْجَرِيحَةِ

حِجْرٌ مَيِّتٌ الْقَوَادِمُ ،
وَالْمَوْتُ يُسْرِحُ أَفْرَاسَهُ ،
وَالذَّبِيحَةُ
بَجْعٌ يَتَخَبَّطُ ،

غَيْرِ دَوِّيكَ يَا صَوْتُ

أَسْمَعُ صَوْتَ الْفِرَاتِ :

- «قْرِيشٌ ...»

لم يَبْقَ من قْرِيش
غير الدِّمِّ النَّافرِ مثلَ الرُّمَحِ
لم يَبْقَ غيرُ الجُرْحِ»

إفْتَحِي يا بَراري مِصاريحَ أبوابِكِ الصِّدِّياتِ :
مَلِكٌ والفِضاءُ خِراجِي ومِملكتِي خُطواتِي
مَلِكٌ أتَقَدِّمُ أبني فُتوحِي
فوقَ هذا الجَلِيدِ المَوْصِلِ ، فوقَ الجِموحِ
أَعرفُ أنْ أجرِحَ الرَّمْلَ ، أزرعُ في جِرحِهِ النُّخَيْلا
أَعرفُ أنْ أبعثَ الفِضاءَ القَتَيْلا ،
والطَّرِيقُ يُدْخِرُجُ أهوالَهُ وَيَضيقُ
والطَّرِيقُ مُرايا
كُتِبَ ومِرايا
أَتَقَرِّي تجاوِيفِها
أَتَفَرِّسُ
المِسُّ فيها بَقايا
فارِسِ عاشِقِ النُّخْطى
أقرأُ الخُطوةَ والعِشْبَ والنُّخَيْلَ ، وأُفَقِّأُ
نَسَجَتَهُ التَّنْهَداتِ القِصِيرِ
حيثُ لا يهدأُ الحَرِيقُ

حيث لا تنتهي الخطوات الأميرة .

في الشقوق تفيأت
كنت أجسُ الدقائق
أمنخصُ نذِي القفار
سرتُ أمضى من السهم أمضى
عقرتُ الحصى والعُبار
كانت الأرضُ أضيقَ من ظلِّ رُمحي - مُتُ
سمعتُ العقاربَ كيف تصيءُ ، هديتُ القَطَا في المجاهلِ -
مُتُ ، أنحنيتُ على الأرضِ أكثرَ صبراً من الأرض - مُتُ
أنكبتتُ على كاهلِ الريحِ
صلبتُ
وشوشنتُ حتى الحجازِ
وقراتُ النجومَ ، كتبتُ عناوينها ومعوتُ
راسماً شهوتي خريطةً
ودمي حبرها وأعمقي البسيطة .

ساهرٌ بين جذري وأغصانه والمياه
نصبتُ ،
والتوايعُ مملوءةُ الجباهِ
زهرًا يابسًا وقبوراً وديعةً ،

صاعدٌ لِبُروجِ التحولِ حيثَ الفَجيعَةُ
حيثَ يساقطُ الرَّمادُ
حيثَ يستيقظُ النُشيجُ ويتنطفئُ السُنْدبادُ .

لو أنني أعرفُ كالشاعرِ أن أُغيّرَ الفصولَ
لو أنني أعرفُ أن أكلَمَ الأشياءَ ،
سحرتُ قبرَ الفارسِ الطُفلِ على الفراتِ
قبرَ أخي في شاطئِ الفراتِ
(ماتَ بلا غسْلِ ولا قَبْرِ ولا صَلَاةِ)
وقلتُ للأشياءِ والفُصولِ
تواصلِي كهذهِ الأجواءِ
مُدِّي لي الفُراتِ
خَلِيهِ ماءً دافِقاً أخضَرَ كالزيتونِ
في دَمِي العاشقِ في تاريخيِ المسنونِ .

لو أنني أعرفُ كالشاعرِ أن أشاركَ النُباتِ
أعراسَهُ ،
فَنَعَتُ هذا الشَجَرَ العاريَ بالأطفالِ ،
لو أنني أعرفُ كالشاعرِ أن أُدجِّنَ العَرابَهُ
سَوَّيتُ كلَّ حَجَرٍ سحابةً

تُمْطَرُ فَوْقَ الشَّامِ وَالْفِرَاتِ ،
لَوْ أَنَّي أَعْرَفُ كَالشَّاعِرِ أَنْ أُغَيِّرَ الْأَجَالَ
لَوْ أَنَّي أَعْرَفُ أَنْ أَكُونَ
نَبُوءَةً تُنذِرُ أَوْ عَلَامَةً ،
لَصِيحْتُ يَا غَمَامَةً
تَكَائِفِي وَأَمْطِرِي
بِاسْمِي فَوْقَ الشَّامِ وَالْفِرَاتِ
بِاللَّهِ يَا غَمَامَةً . . .

السَّمَاءُ انْفَتَحَتْ ،
صَارَ التَّرَابُ
كُتُبًا ، وَاللَّهُ فِي كُلِّ كِتَابٍ
سَاهِرٌ
لَمْ يَبْقَ فِي عَيْنِي سَرَابٌ ، -
عَلَامَةٌ تَأْتِي مِنَ الْفِرَاتِ :
أَنَا هُوَ السَّاكِنُ فِي طَوْفِكَ يَا حَمَامَةً
فِي سَرْبِكَ الرَّاحِلِ يَا خَطَّافُ
أَنَا هُوَ الْوَاضِعُ كَالْعَرَافِ
رُؤْيَاهُ وَالْعَلَامَةُ
فِي الْأَفْقِ فِي لُغَاتِهِ الْكَثِيرَةِ
أَنَا هُوَ الْفِرَاتُ وَالْجَزِيرَةُ .

علامة ...

مهلك يا حنيني ...

الصقر في بادية العروق في مدائن السريّة

الصقر كالهالة مرسوم على بوابة الجزيرة

والصقر تطريز على عباءة الصحراء

والصقر في الحنين في الحيرة بين الحلم والبكاء

والصقر في متاهه ، في يأسه الخلاق

يبني على الذروة في نهاية الأعماق

أندلس الأعماق

أندلس الطالع من دمشق

يحمل للغرب حصاد الشرق .

يكتب الصقر للفضاء لمجهوله السخي

سائلاً عن مكان ، كشرائه نقي

يومي الصقر للصقور -

مُتعب ، حملته متاهاته ، حملته الصخور

فحنا فوقها ، يغذي متاهاته ويغذي الصخور

وجهه يتقدم والشمس حوذيّه ،

والفضاء

موقد ،

والرياح عجوز تقص حكاياتها ،

والصقور
موكبٌ يفتحُ السماءَ ؛

يرفَعُ كالعاشقِ في تفجّرِ مريدِ
في وِلَه الصبوةِ والإشراقِ
يرفَعُها للكونِ - هذا الهيكلِ الجديدِ
كلُّ فضاءٍ باسمه كتابٌ
وكلُّ ريحٍ باسمه نَشيدٌ .

(بيروت ، ربيع 1962)

تحولات الصقر

كادت الغافة أن تكون كفراً .

حديث شريف

عجبت ممن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس

شاهراً سيفه .

أبو ذر الغفاري

١- فصلك الدمع

هذأت صبيحةُ البراري :
الغيومُ تسير على النخل
تجنح في آخر النخل وزديّة الصوّاري ؛

هذأت صبيحةُ الرجوع :
أسألهَا - دمشقُ لا تُجيب
لا تُنقذُ الغريب
- «هل مرّ؟ إن يمرّ»
ماتَ بلا صوتٍ هنا أو سرّ .»

ساكنٌ حيثُ تغفو تُطيل الزفيرُ
في حقول البكاء
في السرير الذي فرشتهُ الدّموعُ
في الممرّ الصّغيرِ
بين أجفانها والسّماء .

... هذأت صبيحةُ الرجوع :

ليس في عيني شيء من حياتي
غير أشباح حزينه
غير أن الشجر الباكي على أرض المدينه
عاشق يسكن قلبي ويغني أغنياتي ؛ -

يا مرايا الضياع الطويل
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
أمس كنا على القمر
فرأيناه عارياً
ورأيناه في الشباب
وصبعنا من النظر:
كان وجهاً من التراب .
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
يا مرايا الضياع الطويل ...

هدأت صيحة الرجوع :

أمضي ويمضي معي الفرات
تتبعني الأشجار كالرايات

تتبعني عينان من مجامر السنين -
أرقصُ في خواصر التَّنينِ
مع نجمةٍ سوداءِ .

غيرَ أنُ الصُّوري
نعمَّ جارحُ القرارِ :
«إن جسمي ومالكيه بأرضِ
وفؤادي ومالكيه بأرضِ» (١) .
هدأت صبيحة الرجوعِ
غير أنُ الصُّوري وطنٌ للدموعِ :

« . . . وكوأنها عقلت ، إذن لبكت
ماءَ الفراتِ ومنبتَ النَّخلِ » (٢) .

هدأت صبيحة الرجوعِ :
حائرٌ حائرٌ ، ولي لغةٌ تهدرُ منخوقةٌ ولي أبراجُ
حائرٌ أصلبُ النهارِ ويُغويني رعبٌ في صلبيه وهياجُ
حائرٌ تأخذ الشواطئُ ميراثي وتحمي صباحي الأمواجُ ،

« . . . غنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقِ
بالقفر ، والإيطانِ في السرادقِ
فقل لمن نامَ على النمارقِ

إِنَّ العُلَى شُدَّتْ بِهِمْ طَارِق
فَارَكَبْ إِلَيْهَا شَبَّحَ المَضَائِقِ
أُولَا ، فَأَنْتَ أَرْدَلُ الخَلَائِقِ» (٣) .

هدأت صبيحة الرجوع :
طاغ ، أَدَخِرْجُ تَارِيخِي وَأَذْبِجُهُ
عَلَى يَدِي ، وَأَحْيِيهِ ،
وَلِي زَمَنٌ أَقْوَدُهُ ، وَصِبَاخَاتُ أُعْذِبُهَا
أَعْطِي لَهَا اللَّيْلَ ، أَعْطِيهَا السَّرَابَ ، وَلِي
ظِلٌّ مَلَأْتُ بِهِ أَرْضِي
يَطُولُ ، يَرَى ، يَخْضُرُ ، يَحْرَقُ مَاضِيَهُ وَيَحْتَرِقُ
مِثْلِي
وَنَحْيَا مَعًا نَمْشِي مَعًا وَعَلَى
شِفَاهِنَا لُغَةً خَضِرَاءُ وَاحِدَةً
لَكِنَ أَمَامَ الضَّحَى وَالمَوْتِ نَفْتَرِقُ .

هدأت صبيحة الرجوع :
أَحْلُمُ يَا دِمَشْقُ
بِالرَّعْبِ فِي ظِلَالِ قَاسِيُونَ
بِالزَّمَنِ المَاضِي بِلا عِيُونَ
بِالجَسَدِ اليَاسِ ، بِالمَقَابِرِ الخَرَسَاءُ

تَصْبِيحُ : يا دمشقُ
موتي هنا واحترقي وعودي
تَصْبِيحُ : لا ، مُوتي ولا تَعودي
أَيْتَهَا الطَّرِيدَةُ المَلِيئَةُ الفُخْذِينَ يا دَمَشْقُ .
يا امْرَأَةً مَنْذُورَةً لِكُلِّ مَنْ يَجِيءُ
لِلْحِظِّ ، أو لِلعَابِرِ الجَرِيِّ
تَرَقَّدُ فِي حُمَى وَفِي ارْتِخَاءِ
تَحْتَ ذِرَاعِ الشَّرْقِ
رَسَمْتُ عَيْنِيكَ عَلَى كِتَابِي
حَمَلْتُ مِيرَاثِكَ فِي شَبَابِي
فِي العُوطَةِ النُخْضَاءِ فِي سَفُوحِ قَاسِيُونَ
يا امْرَأَةً لِلوَحْلِ والنَّحِيطَةِ
أَيْتَهَا العُوَايَةُ المَضِيئَةُ
يا بَلَدًا كَانَ اسْمُهُ دَمَشْقُ . . .

أَمْسِ ،
أنا والشَّعْرُ والنَّهَازُ
جئنا إلى العُوطَةِ واقتَحَمْنَا
بِوَابَةِ الرَّجَاءِ
نَسْتَصْرِخُ الأشْجَارُ
نَسْتَصْرِخُ الحُقُولَ والمِيَاهُ

ننسج منها رايةً وجيشاً
نغزو به سماءكِ السوداءً
ولم نزلْ ننسج يا دمشقُ
لا الموتُ يُلهينا ولا سِواهُ
أنتى لنا الموتُ أو الرّاحةُ يا دمشقُ؟

وأمسى في نومي يا دمشقُ
سَوَيْتُ تمثالاً من الصّلبانِ
حفرتُ في خطوطه البيضاءً
تاريخكِ الأسودِ يا دمشقُ
ورحتُ في رُعبٍ وفي ابتهاجِ
أسقط كالزّلزالِ
على روابي جلقَ الجميلةِ
أحضنُها أضربها أغني - هاها هلا هلالُ
وقلتُ : لا ، فلتَبقَ في حنيني
وفي دمي دمشقُ
وقلتُ : لا ، فلتَحترقِ دمشقُ
واستيقظتُ أعماقي القتيلةِ
مدعورةٌ تصيحُ : وأدمشقُ ...
يا امرأةَ الرّفصِ بلا يقينِ
يا امرأةَ القَبولِ

يا امرأة الضوضاء والدهون
يا امرأة مليئة العروق بالغابات والوحول
آيتها العارية الضائعة الفخزين يا دمشق ،
تصغين للموتى وللقبور والتكايا
تصغين في خشوع
وتعشقين الجثث الصفراء والضحايا
وتأكلين الطين والدموع
آيتها المنهومة القاضمة القشور يا دمشق ...

يا حُبُّ ، لا ...
عفوك يا دمشق
لولاك ، لم أهبط إلى الأغواز
لم أهدم الأسوار ،
لم أعرف النار التي تُنادي
تضج في تاريخنا ، تُضيء
سفينته الكون الذي يجيء ؛
عفوك يا دمشق
آيتها الخاطئة القديسة الخطايا ...

١ ، ٢ ، ٣ أبيات تنسب إلى صقر قريش ، (عبد الرحمن الداخل) .

٢ - فصلك الصعود إلحا أبراج الموت

مَرَّ عَلِيٌّ اللَّهَبُ الطَّلَعُ بَعْدَ الرَّجْمِ
وَالْتَحَمَتْ فِي خَطْوَيِ الْجُسُورِ
أَعْرَفُ أَنْ أَجْرِي مِثْلَ الْمَاءِ
فِي رِثَةِ الصَّحْرَاءِ
أَعْرَفُ بَعْدَ الْآنِ أَنْ أَغْيَرَ الْعَصُورِ
أَنْ أَمْزَجَ الْعَصُورَ بِالْعَصُورِ
أَعْرَفُ أَنْ أُعِيدَهَا
قَصِيدَةً أَوْ ثُورَةً أَوْ حَلْمًا . . .

أَسْرِعِي يَا سَحَابَةَ
أَيِّ أَغْنِيَّةٍ تُنْشِدِينَ؟
أَسْرِعِي أَسْرِعِي يَا سَحَابَةَ
مَا الَّذِي تَحْمَلِينَ
أَيِّ جَبَانَةٍ أَوْ رَبَابَةٍ؟

أَلْمَحْ نَهْرًا يُسَافِرُ، يَكْبُو وَيَنْهَضُ فِي رَأْسِي الْبَعِيدِ

عاشقاً يتقصى رُوَايَا
 جالباً أخذاً بريدي
 حفرته المسافة بيني وبين خطايا ...

خيمتي زوجة تلين كأطرافي
 وتحنو ، وتنحني ، وتضيقُ
 صدئت ، والبريقُ
 حجرٌ جالس على طرف الوجه نبي لدمعه وصديق .

ما الذي تحملين
 أي أغنية تشدين؟
 أسرعي أسرعي يا سحابه ...
 جسدي ضائع ، صار قبري كالخيط في كفة العباءة
 في الدجى ،
 والشباك التي تصيدُ أشباحه ، ووهم الإضاءه .

أسمع صوتاً يعجر على الرمل أيامه الثقيلة
 أسمع أحلامه القتيله
 كل حلم قبيلة
 والخيام حناجر مشدودة والحبال صلاة:
 — «علّقينا هنالك ، بالنخل بالعشب

حيث الحياةُ

وأزبطينا إلى الماء ...

– «لا ماءً ، لا عاصمٌ ، والنبیون ماتوا» .

أسمعُ تحتَ المناديلِ بينَ الرُكَّامِ

في الضَّحَى ، في انكسارِ السَّماءِ على الأرضِ ،

في دَرَجَاتِ الظَّلَامِ

وهي تَعْلُو وتَسْقُطُ ، بينَ المدينةِ والشمسِ ،

بينَ الصَّدى والأينِ

أسمعُ مثلَ الحنينِ

مثلَ نُبْضِ اللَّيونةِ في صخرةٍ لا تَلينُ

مثلَ دَفْقِ الينابيعِ مثلَ الكلامِ :

– «نحنُ يا جائعُ كُنَّا مُتَّخَمينُ

لم يكنِ موكبنا يمشي وراءَكَ

لم يكفِّكَ ولا صلَّى عليكِ

نحنُ يا جائعُ لم نسمعِ نداءَكَ ...

نحنُ صرنا جائعينُ

فتقبَّلنا لَدَيْكَ ،

أمس ، عدنا مُتَّعِبينُ

فارتَمينا وتوسَّدنا السُّنينِ

وحلمنا ،

ورأينا

أَنَا فِي الْحَلْمِ صَلَيْنَا عَلَيْكَ . . .»

أَلْمَحُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي آخِرِ الرَّصِيفِ -
جَسَدِي حُفْرَةٌ خَاوِيَةٌ

أَعْرِفُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي شَهْوَةٍ ضَارِبَةٍ
فِي جَبِينٍ تَعَوَّجَ فَوْقَ الرِّغِيفِ ،

أَعْرِفُ نَفْسِي هُنَاكَ فِي طِفْلَةٍ قَتِيلَةٍ
فِي السُّعَالِ الْمَدْوُورِ وَالرِّثَةِ الْمَسْتَطِيلَةِ

حَامِلًا صَخْرَةَ الْمَدِينَةِ

مَائِلًا كَالْقَنَاظِرِ فِي قُبَّةِ الْمَدِينَةِ

غَامِرًا أَنَّهُ الْمَدِينَةُ :

«أَسْمَعُ صِمْتَ الدَّهْرِ

يَحْمَلُ أَكْفَانَ الرَّوْىِ وَيَغْسِلُ الْجَفُونَ

يَزْرَعُ أَشْجَارًا بِلا غَصُونَ

حَوْلَ ضَبَافِ الْعُمَرِ .

وَهُنَا ، بَيْنَ الشَّقَوقِ

فَارِسٌ يُسْرِجُ عَيْنِيهِ عَلَى ضَوْءِ الْعُرُوقِ

يَحْضِنُ الْأَرْضَ وَيَسْتَسَلِمُ لِلْأَرْضِ وَيَغْفُو

مِثْلَمَا تَسْتَسَلِمُ النَّحْلَةُ لِلْأَرْضِ وَتَغْفُو

فِي عِبَاءَاتِ الْفَضَاءِ

مَطْرًا يَأْتِي وَوَأْحَاتِ رَجَاءِ .

أعرفُ - صارتْ يداكَ
خيمةً تتموّجُ كالغيمِ شفّافةَ السّماءِ
أعرفُ - صارَ الفضاةُ
ورقاً أخضرأ يتطايرُ في بيتكَ الغريبِ
فأنا من هناكِ
أيها الجائعُ الغريبِ
مات صوتي هناكِ
عاش صوتي هناكِ
كان صوتي نبيأً رميتُ على شمسهِ ردائي
كان شمساً من الدّمعِ مجروحةً ورائي ...

تائهٌ؟ كيفَ؟
هاتِ صدركَ ، يا تائهُ ، واستمهلِ المدى والمسافةُ
فرستِ طفلتي لكِ العلمَ والتّخلَ وغزلانهُ
وعنقَ الزرافةِ
وروى حلمها لجوعك ، وقتَ النومِ ،
أسطورةَ الجفونِ القصيرةِ
حيثُ تغفو ولا تنامُ
وتستنفرُ في صدركَ الرياحُ الأسيره ...

للروابي نازٌ ، وللنخلِ أوتارٌ

وفي اللَّيْلِ صَهْوَةٌ المعراج
حيث تصَّاعد الخَطَى
ويصيرُ الحلمُ لوناً في سُلْمِ الأبراجِ
ويطولُ البحرُ القصيرُ
وتهوي الرُّوحُ في جاذبيَّةِ الأمواجِ .
علامةٌ :
«لي فَرَسٌ . . . وها هو الإسراءُ» .
علامةٌ :

من أوَّلِ الزَّمانِ -
«مِن ساحرٍ يأتي بلا دخانِ
من حَجَرٍ يصيرُ ياسمينَةً
يحبلُ صمتُ الأرضِ بالأغاني
وتولَّدُ المدينةُ» .

كانَ أنْ نُورَ النَّخيلِ وأثمرَ في صَرَخاتي
حيث لاقاني الخضرُ ، صلَّى صلَّاتي
حيث تجتاحني كلماتي ،
كان أن صارَتِ الجِرازُ
لغةَ الماءِ والعيونِ
كان أن أصبحَ الجنونُ
فَرَساً لِلنَّهارِ ؛ -

كلّ شيءٍ يُسافر بين السّنابلِ
يحمل أسرارَهُ ، يَسْتَدِيرُ
خَشِيناً ، طَيِّباً كالرَّغِيفِ ،
كلّ شيءٍ يُسافرُ بين السّنابلِ
يهجرُ تاريخَهُ الأليفُ
كلّ شيءٍ يَصِيرُ
نُورساً يَتَمَوَّجُ حول المياهِ العميقَةِ
في مَدَى بَحْرِي الكَبِيرِ -
بَحْرِ أَحلامِي الصّديقَةِ .

تائه؟ كيف؟
هاتِ صدركَ ، يا تائهُ ، واستعجلِ المدى والمسافة
فَرَشْتَ أرضنا لكَ العَلَمَ
والنَّخْلَ وغزْلانهُ
وعنقَ الزرافَةِ :
حانَ ميعادُنا ، والتَّلالُ
لبستْ خُفَّها ، سَبَقْتِنا التَّلالُ .

تحتَ موجِ المدينةِ
قمقمُ أخضَرَ فَرَشْتَهُ الرِّياحُ
ملكُوتاً ، ونامتْ

فوق ريش النَّهَارِ
صار وجهي سواز
للمدى ، للسِّفِينِه
لِلشُّطوطِ الحزِينِه ،
طابَ ، طابَ الرَّجوعُ
لبِلادِ الحِصونِ الأَمِينِه :
نَهَضتِ قَبْلَنَا الرِّيحُ
وَجَرَّارُ الدَّموعِ
غَسَلتِ جَبْهَةَ الصَّبَاحِ .

سَأغْنِي هِنَاكَ
سَيَكُونُ قِنَاعِي غَرِيباً :
يَدَايَ طَرِيقُ وَقُوسَانِ ،
رَأْسِي نَهْرٌ
وَوَجْهِي جَزِيرَةٌ
سَأصِيرُ حَبِيباً يُغَامِرُ ، أَوْ عَاشِقاً مَلَائِكِ
سَحَرْتُهُ الأَمِيرَه .

مَنْ يُرِيدُ طَرِيقاً مِنَ البَرِّقِ ،
مَنْ يَشْتَهِي السَّمَاءَ
وَهِيَ حُبْلَى بِأَحْلَامِهِ ، وَالطَّرِيقُ

فَرَسٌ حَوْلَهَا يَدُورُ :
مِنَا هُنَا تَبْدَأُ الطَّرِيقُ
مِنْ هُنَا يَبْدَأُ الْعُبُورُ
مَنْ يَرِيدُ طَرِيقاً مِنَ الْبَرَقِ ، مَنْ مِنْكُمْ الرَّفِيقُ؟

حَانَ مِعَادُنَا ،
مَنْ يَلِمُ الْبُقُولَ
مَنْ يَهْزُ الْغُصُونَ الْخَفِيَّةَ
فِي سُهُولِ الرَّوْىِ وَيَجْزُرُ الْخَيْوَانَ
مَنْ بُحَيْرَاتِهَا الْقَصِيَّةَ
نَهْرًا مُوحِشَ الرَّحِيلِ أَنْيساً إِلَى الرَّحِيلِ؟
مَنْ يُقِيمُ عَلَى الْبُلْعِ دَاراً وَيَلْبَسُ كُوفِيَةَ النَّخِيلِ؟

حَانَ مِعَادُنَا ، وَالتَّلَالُ
لَبِستْ خُفُّهَا ، سَبَقْتَنَا التَّلَالُ .

٣ - فصل الصورة القديمة

زمنٌ ينتهي ، وخيولٌ من الفجر محلولةُ الشكيمة
ترسمُ الصُّورةَ القديمه
لأحبائِي الحيارَى
في الضِّفافِ الحزينةِ في آخرِ الصِّحارى ، -
أه يا شكليَ القديمِ
كيف يأتي ، يعود الغريبُ إلى شكله القديمِ؟
وبأيِّ اللُّغاتِ
سأحيي الفراتَ -
السَّريرَ الذي هزَّني وسقاني من مائه الكريمِ؟

سأشقُّ عروقي
نَهراً يحملُ الفُضاءَ
سأدورُ مع الكوكبِ المغرَّبِ أو جمرةِ الشُّروقِ
لابساً قامَةَ الهواءِ
وأعودُ إلى نصفِي المقيمِ
في الضِّفافِ الحزينةِ في آخرِ الصِّحارى

أعطني أن أغنيَ أحبابيَ الحيارى
أعطني أن أَلْفَ حياتي
وَرَقاً ،

أن أسيرا
في جُذور الرّماد
أعطني أن أكاشف هذي العصافيرَ هذا الجمادُ
أعطني أن أكون الحصى والحريرا .

في زَمَنِ اللَّيْلِكِ والسَّنُونُو والتُّورسِ العاشقِ والأعيادُ
جئتُ إلى بغدادُ

على بساطِ جامِعِ وديعِ
كانت حقولُ العشبِ والنَّباتِ
كانت رمالُ الماءِ والصَّحراءِ
والسَّننُ الزَّنَجِيَّةِ العِينينِ في الفراتِ
حنجِرةٌ خضراءُ

تَسْتَقْبِلُ الآتِي بلا تنحومِ
في موكبِ الأمطارِ والغيومِ
من جهةِ الأرضِ ، من الرِّبْعِ ...

أقرعُ أجراسَ الدَّمِ الخفِيّ
تحت رداءِ الأرضِ

أصعدُ في المشاعلِ المقيمةُ
تحت جليدِ الرِّقْصِ
أجري مع الفراتِ
في زمنِ سحريِّ
من منبعِ الطَّفولةِ القديمةِ الشَّيخوخةِ القديمةِ .

كلَّ دَمِ الفراتِ
في جسدي يجري وفي حنيني
وها أنا أرتُّ السُّهولَ
أسهرُ في الأكوخِ والحقولِ
أشدُّ بالصَّيفِ يدَ الشتاءِ
أسيلُ أحلاماً على التُّرابِ
لا سَفَرٌ فيها ولا غيابُ
أسيلُ طوفاناً من البقاءِ
أطردُ عن شواطئي
بحارةِ الرِّحيلِ
أهبطُ في أغواريِ الزَّرقاءِ في أرومةِ القرابَةِ
أبحثُ عن بديلٍ -
أبحثُ عن بَوَابَةِ الغرابَةِ .
جئتُ إلى بَغدادُ
في سَعَفِ النَّخلِ وماءِ النَّهرِ

في رثة العُصفور

ثَمَّةٌ سَجَانٌ مِنَ الدَّمَاءِ
تَحْرُسُهُ التَّيْجَانُ
يَحْرُسُ أَقْفَاصاً مِنَ الرُّؤُوسِ
مِنْ جُزْرِ الأَحْلَامِ وَالبَّكَاءِ ؛
حَيَّيْتُهَا ، مَلَأْتُ أَغْنِيَاتِي
بِاللَّهَبِ الأَرْضِيِّ بِالفُؤُوسِ
وَرَحْتُ مَسْحُوراً ، بغيرِ سِحْرِ ،
أَخْتَرْتُ السَّجَانَ
أَقْتَحَمُ المَدَافِنَ الطَّوِيلَةَ
أَدْخَلُ فِي الأَقْفَاصِ فِي أبعادِهَا التَّحْيِيلَةَ
أَشْعَلُ غَابَاتٍ بِلا نِهَايَةٍ . . .

جِئْتُ إِلَى بَغْدَادِ
فِي سَعَفِ النَّخْلِ وَماءِ النَّهْرِ
فِي رِثَةِ العُصْفُورِ
كَانَ أَبُو تَمَامٍ
مَشْتَعِلاً كَالجَمْرِ
خَلْفَ شِتَاءِ اللَّيْلِ والأَحْلَامِ
يَكْتُبُ أَغْنِيَةَ
بِالقِصْبِ المَكْسُورِ

بنجمة الميلاذ
عن رحلة الصَّيفِ الشَّتائِيَّةِ
سوداءِ سحرِيَّةِ
تحيَّةَ الآتِي إلى بغدادِ .

لم يكن في الشُّوارعِ ، في الماءِ بين القبورِ
غيرُ صَمْتِ القِيَامَةِ
ورأيتُ النواسِيَّ يَهْذِي ويحضنُ قارورةَ الكيمياءِ
مُؤذِناً بالعبورِ :

«كلَّ رَمَحِ حَمَامَةٍ
كلَّ أَرْضِ سَمَاءِ»
وسمعتُ النواسِيَّ مستطرِداً كَلَامَةَ
حَارِقاً غَايَةَ السُّكِينَةِ :

ذاتِ يومِ ،
تصيرُ القَصَائِدُ بوابَةَ المَدِينَةِ
نحوَ أَرْضِ الغَرَابَةِ
وتصيرُ الغَرَابَةُ
وطنَ الأنبياءِ ،
ذاتِ يومِ ،
تسيرُ النَجُومُ على الأَرْضِ مِثْلَ النُّسَاءِ .

جئتُ إلى بغداد
أخطو على بساطٍ
بين خيوط الماء والأشجار
أسيرُ في أغوارِ البعيده
ألبسُ وجهَ النَّارِ
أستنطقُ الأرضَ الفراتيةَ —
حكى لي الفراتُ
ما قرأ العشبُ وما رواه
عن سَفَرِ الأَنهارِ والرَّعَاةِ
حكى لي الفراتُ
عن كلِّ ما رآه . . .
أسمع في الأحجاز
أغنيةَ القُصُورِ
أسمع ما تقولُ
تلك السَّحاباتِ الرَّماديَّةَ . . .

ورأيتُ الحشودَ الفقيره
جُلُدت كالضَّفيره
وقرأنا ، كتبنا معاً ، وعرفنا
أننا المالكون اليتامى
وصرخنا ، جعلنا مقابرَ آبائنا ، وجعلنا الأيامى

ويرا كيننا السجينة
نهرأ يغسل المدينة ...
وركضنا إلى العشب ، نصغي إليه
ساحراً ، باسطاً يديه
طالعا من شقوق التراب نقي الكلام
وعرفنا من العشب أن الطبيعة
ستقيم السلام
بين أطفالنا والفجيعة

ستكون شرايينهم كالجذور
وتشق الصقيع
وتصير جبالا من الضوء وردية الجسور
تصل الموت بالربيع
وتقوم البذور
وتقوم الصلاة
في رواق على النيل يسمع تسبيحة الفرات ...

الزمن اخضر ، نما ، وطال
أورق في الجدران والحصون
الزمن الأتھار والتلال
والزمن العيون :

قاماتُ أشجارٍ ربيعِيَّةٍ
في غَابَةِ الرُّوحِ الفِراتِيَّةِ . . .

ألزَمَنُ السَّيْفُ هَدِيرَ المَوْتِ
نَهْرٌ مِنَ الأَصْحَابِي
نَهْرٌ مِنَ الأَثْدَاءِ والجِرازِ
يغسلُ وَجْهَ المَوْتِ
والكفَنَ العاشِقَ والأحزانَ
يغسلُ بِالمَوْتِ وَعِطْرَ المَوْتِ
فاتحَةَ القَوْلِ : رنينَ الصَّوْتِ
في لُغَةِ الإنسانِ .

ألزَمَنُ اسْتَيْقَظَ والنَّهَارُ
يصرخُ بالأغصانِ والجذورِ
يصرخُ : جاءَ الشُّعْرُ
جاءتِ سِماواتُ تِرابِيَّةٍ
مِنَ غَيرِ هِذا الدَّهْرِ
خَضراءُ إنْسِيَّةٍ :
أَلأفقُ زَنارٌ مِنَ البِخورِ
والأرضُ جَنِّيَّةُ .

٤ - فصل الأشجار

(مرثيات الصقر وشواهد قبره)

شجرة

زَرَعَ الجائِعُونَ
غَابَةً لِلرَّجَاءِ
صَارَ فِيهَا الْبِكَامُ
شَجَرًا ، وَالغُصُونُ
وَطَنًا لِلنِّسَاءِ الْحِبَالِي
وَطَنًا لِلْحِصَادِ ؛

كَلَّ غُصْنِ جَنِينِ
رَاقِدٌ فِي سُرِيرِ الْفَضَاءِ
أَخْضِرًا سَاحِرَ الْأَيْنِ
فَرَّ مِنَ غَابَةِ الرَّمَادِ
مِنَ بَرُوجِ الْفَجِيعَةِ
حَامِلًا آهَةَ الْجَائِعِينَ
شَاكِيًا لِلطَّبِيعَةِ .

شجرة

كلّ يوم ،
يموتُ وراء المقاصير طفلاً ، يموتُ
زارعاً وجهه في الزوايا
شبحاً تتراكم قدامه البيوت ؛

كلّ يوم ،
يجيء من القبر طيف حزين
عائداً من بلاد المرارة من آخر الأقصي
ويزور المدينة - ساحاتها والتكايا
ذائباً كالرصاص .

كلّ يوم ،
تجيء من القفر جنينة الجائعين
وعلى وجهها علامه -
زهرة أو حمامة .

شجرة

يجهل أن يزِين السيوف بالأشلاء
يجهل كيف تُبرقُ الأنيابُ .
يأتون في نَهْرٍ من الرووس والدماء
ويصعدون الحائطَ القصيرُ
وهو وراءَ البابِ -
يحلمُ أن يظلُّ كالأطفال خلف البابِ ،
يقرأ فصل الجائع الأخيرُ .

شجرة

سَقَطَت نَجْمَتَانُ
فوق رَأْسِ الغَرِيبِ المَسَافِرِ ، مَرَّت سَحَابَةٌ
فَهَوَى ، يَأْخُذُ التَّحِيَّةَ
نَخْلَةٌ تَتَقَصِّفُ وَالدَّمْعُ يَنْقُشُ أَوْرَاقَهَا الذَّهَبِيَّةَ :
نَخْلَةٌ عَلِمَتْهَا الكَأْبَةُ
أَنهَا تُرْجِمَانُ
أَنهَا دَفْتَرُ عَرَبِيٍّ الكِتَابَةِ
عَلِمَتْهُ الكَأْبَةُ
فِي سِيَاجِ الحُدُودِ الخَفِيَّةِ
أَنَّهُ أَوَّلُ المَكَانِ
وَالرِّيَّاحُ البَقِيَّةُ .

شجرة

قلتُ لك : استيقظ ، رأيتُ الماءَ
طفلاً يسوقُ الرِّيحَ والحِجارَ
وقلتُ : تحتَ الماءِ والشَّمائِ
تحتَ غِشاءِ القَمَحِ
وسوسةٌ تحلمُ أن تكونَ
أنشودةً للجُرْحِ
في ملكوتِ الجوعِ والبُكاءِ . . .

إنهضْ ، أناديك ، عرفتَ الصَّبوتُ؟
أنا أخوكَ الخضرُ
أسرجُ مُهَرَّ الموتِ
أخلعُ بابَ الدَّهرِ .

شجرة

لم أحمل الرمح ولم أجوفُ
رأساً ،
وفي الصيفِ ، وفي الشتاء
أرحلُ كالعصفورِ
في نهرِ الجوع . . . إلى مصبِّهِ المسحورِ ؛
مملكتي تلبسُ وجهَ الماءِ :
أملكُ في الغيابِ
أملكُ في الدهشةِ والعدابِ
في الصَّخو أو في التَّوهُ
لا فَرَقَ إن دنوتُ أو نأيتُ -
مملكتي في الضوءِ
والأرضِ بابُ البيتِ .

شجرة

كان ينادي ، يجمعُ الهواءُ
يحمل من كلِّ فضاءٍ عِرْقُ
ينسج للغرب رداءَ الشَّرْقِ ، -
ينزل عيسى حانياً عليه
أخضرَ كالجُمانِ
ينزلُ في المنارة البيضاء
في الجانب الأيمن من دمشق
ويقتلُ الشيطانُ
في الجانب الأيمن من دمشق .
وكان ، والسوادُ في طريقه يُضيءُ ،
يُغيّرُ الأسماءُ
يعشقُ مَنْ مات ومن يجيءُ
ويهجر الأحياءُ .

شجرة

خَفَّ ، لاقانيَ الصباخُ
حَمَلْتَنِي الرِّياحُ
بعد أن راح قبيري وودَّعتهُ ورجعتُ .
كلُّ شيءٍ يعودُ :
في الزُّهورِ قُضَاةٌ وفي الماءِ يجتمعُ الوافدونُ -
كان بين الشُّهُودِ
شَجَرٌ يتناسلُ فيه الأجنَّةُ والميتونُ
كان بين الحضورِ الفجيعه .
وسمعتُ الغصونُ
وهي تتلو قوائينها ، فنحشعتُ
ولبستُ الطَّبيعَه .

شجرة

عند جيرون باب من الورد يغتسل العابرون
بشده
عندها خيمة للجراح
عندها غابة للصباح
كل أعصابها جسور تفتتها العيون
نحو عبارة الرياح
لصباح سواه . . .
والليالي بيوت من الحلم يرتادها المتعبون
يجرحون مزاميرهم ، يقرأون
كُتُبَ الماء والغبار
يجعلون الدموع الأمينه
خرزاً وأكاليل غار
وعقوداً ، وجرحاً من الورد يغتسل العابرون
في يتابعه الحزينه .

شجرة

عُطِّيَ بِالرَّيْحَانِ ،
بِالْجَزَعِ الشَّفَافِ ، بِالسَّرِيرِ
بِالصَّمْتِ ،
وَالْتَمَزَقِ الْمَضْيَعِ ؛
وَقِيلَ : بَعْدَ الْقَبْرِ ، شَقُّ الْقَبْرِ ، أَلْقَى مَوْتَهُ وَطَازَ
يَبْحَثُ عَنْ أُمَمَةٍ
فِي وَطَنِ الْإِنْسَانِ ؛
وَقِيلَ : كَانَتْ زَوْجَةً فَقِيرَةٍ
هَنَا وَرَاءَ التَّلَّةِ الصَّغِيرِ
حُبْلَى ،
وَبَيْنَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ
فِي الصَّمْتِ ،
فِي التَّمَزَقِ الْمَضْيَعِ ،
تَنْتَظِرُ الطُّفْلَ الَّذِي يَجِيءُ .

(أيلول 1963 - أيلول 1964)

جنازة امرأة

مكان على ضفة نهر . قبر مغطى بسقف من القصب . حول
القبر ثياب قطنية متعددة الألوان . جمهور نساء ورجال يجلسون
بوقار حزين) .

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر ، مشيراً إلى الميت) :

ماتَ وما حَوَّلَهُ

ضَفِيرَةٌ عَالِقَةٌ

بالأرض ، محلولة

والأرضُ رَمَانَةٌ

(صمت ، إلى النساء)

مات ، مَنْ العاشِقَةُ

تلبسُ أجفانَهُ؟

(غير منظورة) :

الجوقة

الموتُ وجهُ شاعرٍ ، أو كَلِمَةٌ

منذورةٌ للأرضِ

الموتُ حُضْنُ عاشقٍ ،

وَتَمْتَمَةٌ
أَتَيْتِ فِي عَرْوِقِهِ
قَصِيدَةً أَوْ نَبْضًا .

(صمت . يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها . تنهض امرأة سمراء . تنهض
معها امرأتان - سوداء وصفراء) .

المرأة السمراء : أنتظرُ
واللَّيْلُ تُخْتَجِسْدِي يَنْكَسِرُ ،
وَالنَّخْلُ فِي جَدَائِلِي ،
وَالْمَطْرُ
عَيْنَانِ تَقْرَأْنِي لِي
أَوَائِلَ الْفُصُولِ . . .
(صمت . تحديق في الوجوه)
كَانَ وَرَقُ النُّخَيْلِ
يَمْتَدُّ كَالغَطَاءِ
كَانَ قَمِيصًا أَحْمَرَ السَّمَاءِ
وَقُلْتُ : هَذَا زَمَنٌ يَمِيلُ
نَحْوِي . . . وَقُلْتُ . . .
الرجل الأسود (بسرعة وخشوع) :
اشْتَعَلَتْ يَدَاہُ
تَلَفَّتِي ،

رَأَيْتُ جَمْرَتَيْنِ
 أَصْفِي ،
 فَكَلَّ عَشْبَةً صَدَأَهُ
 سَمِعْتِ ؟
 هَاتِي يَدَكَ اتَّبِعِينِي
 لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْمَوْتِ ، غَيْرِ حَلْمٍ ،
 وَغَيْرُ خَطَوَتَيْنِ .

(يتقدم نحوها ، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة ، برفقة المرأتين السوداء والصفراء .
 تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن . يتركهن الرجل الأسود ويعود إلى
 مكانه . تأتي المرأة السوداء بإناء مليء بالماء . تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة
 السمراء ، بشكلٍ طقوسيٍّ مهيبٍ) .

المرأة السمراء (بما يشبه الحلم) :

كوكبٌ يرتمي عليّ ،
 أنا الزهرةُ مختومةٌ ،
 أنا النارُ ، والموتُ عشيقُ
 كشهوتي مَسْتُونُ
 وتَفَتَّحْتُ ، يطلُعُ المَوْتُ في نهديّ —
 وجهي سحابةٌ
 ومراياي بُروقٌ ورديَّةٌ وغُصونُ .
 (بإيقاع) :

الجمهور

تَفْتَحِي فِي كَلِمَةٍ
 بادئة كالفَتْحِ
 مَسْنُونَةٍ كالرَّمْحِ .
 تَمَوْجِي
 تَهْدَجِي كالصَوْتِ
 غامرة كاللّه أو جامحة كالصوت . . .

(تنهض المرأة السمراء . ترافقها المرأتان السوداء والصفراء نحو قبة . تدخل القبة .
 يتغلق بابها . تنتظرها المرأتان على طرفي القبة . موسيقى موت وحب تستمر طول بقاء
 المرأة السوداء داخل القبة) .

صوت المرأة السمراء (داخل القبة) :

فِي كَلِمَةٍ
 أُشْعِلُ تَحْتَ سَقْفِهَا حَرِيقِي
 أَبْدَأُ تَحْتَ سَقْفِهَا طَرِيقِي
 مَسْنُونَةٍ كالرَّمْحِ
 سَمَّيْتُهَا الفَجِيعَةَ ،
 أُسْكُنُ
 حَتَّى تَنْزِفَ الطَّبِيعَةَ
 فِي جَسَدِي كالجُرْحِ ،
 كالموتِ نَسَلِ الزَّمَنِ الصَّدِيقِ
 (مردداً) :

الجمهور

كالموتِ نَسَلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ
كالموتِ نَسَلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ .
صوت آخر (داخل القبة) :
أَلْجَرْحُ شَهِيئَةٌ
حُبُّكَ مَفْتُوحٌ كَالْجَرْحِ
الجمهور (مردداً بإيقاع ترتيلي) :
أَلْحَبُّ صَبِيئَةٌ
أَلْحَبُّ جَنَاحٌ
جاءَ اليَوْمَ إلينا
دَخَلَ المَسْرَحَ غَنَى بِأَخٍ
كَانَ المَشْهَدُ عُصْنًا يُورِقُ . . .
غَنَى رَاحٌ
فِي عَرَبَاتِ النَّازِ
وَعَدَا يَأْتِينَا
كالوجه ، فضاءً مفتوحاً
كالموت ، ستار .
(تتوقف الموسيقى)
الصوت الآخر (داخل القبة) :
جرحكِ ترتيلةٌ
للمدن المحروقةِ الخاليةِ
ذبيحةً عاليةً . . .

تخرج المرأة السَّمرَاءَ بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها المرأتان السوداء والصفراء . في هذه اللحظة يبدو زورق خشبي على ضفة النهر ، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة . في الزورق سرير تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان . العجوز امرأة مهيبية ، ضخمة عابسة ، تقف عند رأس السرير .

يبدو في مكانٍ آخر أشخاص يحفرون في الأرض ، ثم يخرجون جسماً ملفوفاً بقماش أسود ، وجرة ومزاراً قصبياً .

يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة ، بعد أن يرفع عنه الغطاء الأسود ، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفياً أحمر وقلنسوة مقصّبة . يوضع فوق السرير ويُسنَدُ بالوسائد) .

هاتوا كُتُباً . . . أقلاماً

(يجيء الحضور يكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجوز : هاتوا ورقاً . . .

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق) .

العجوز : عُشْباً وِيَمَامَةً . . .

(يجيء بعض الحضور بيمامة يذبحها فوق الميت ويلقيها بين يديه ، ثم يرمي آخر غصن خشخاش) .

العجوز : وَلْيَبِقَ الحَبُّ علامة .

(ترسم على جبين المرأة السمرء علامة الحب . يحمل المرأة السمرء أربعة رجال يرفعونها على راحتهم وينزلونها ثلاث مرات . ثم يرفعونها إلى أعلى ما يمكنهم . تبدو كأنها ترى رؤيا) .

المرأة السمراء (كانها ترى رؤيا . ترتل) :

أقفاصٌ تملو

تعبرُ في غاباتِ الصَّوتِ

في الأفكارِ وفي الأشياءِ

أَلصَّخْرَةُ ماءً

والأعضاءُ شتاءً بارِدًا

والحبُّ نوارسُ ليلِيَّةٍ

تَتَناسَلُ في أعشاشِ الموتِ

ولِباسٌ واحدٌ .

(ينزلونها . تنخل سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز) :

عطيَّةً من الجسدِ

تَلْتَفُّ كالسَّوارِ حولَ الرُّوحِ .

العجوز (تنحني وهي تتناولهما) :

.....

(تنزع المرأة السَّمراءِ خلخالين)

المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء) :

رسالةً

تصير في عينيكِ أحلاماً

ترميكِ في متاهِ

كالقلبِ

لن تضييعي فيه ، ولن تعودي .

المرأة السوداء (تنحني وهي تتناوله) :

.....

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء) :

وَطَنُ كَالْحَتَمِ

يسكنُ حولَ الفَخْدِ ،

سجّينَ الحَلَمِ

سَجَّانَ اليَقْظَةِ .

المرأة الصفراء (تنحني وهي تتناوله) :

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزورق ، بعد أن يقبلها بكل منهم . تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها . تناولها كأساً ثانية تشربها . تأمرها بالدخول تحت القبة في الزورق حيث يتمدد العاشق الميت . يبتعد الجميع . تأخذ العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق . يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والنخبز . الزورق يشتعل وهو يبتعد جازياً على صفحة النهر . الجميع ينشدون) .

الجوقة

(جميع الحضور) :

دَخَلْتُ فِي مَقَامِ الْحَرِيقِ

أَلِّبَالِي شَمُوعِ

ومزاميرُها طريقُ .

صَارَ وَجْهُ الْأَثِيرِ

وَطَنَ الْعَاشِقَيْنِ

سَيِّجَتْهُ الْعِيُونَ
بِالْصَدَى ، بِالسَّكُونِ
بِضِيْفِ الْيَدَيْنِ
وَرَمَتْ كَوَكْبَيْنِ
بَيْنَ رَأْسَيْهِمَا وَالسَّرِيرِ .

(فيما يختفي الزورق ، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء ، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة ، ويرددون جميعاً بصوت هادئ إيقاعي) .

أَلْمُوتِ جَنَاحُ
دَخَلَ الْمَسْرَحَ - غَنَّى رَاخُ
مَبْحُوحِ النَّبْرِ ، مَجْرُوحَا
وَسَيَاتِينَا
فِي عَرَبَاتِ النَّازِ
كَالْحَبِّ ،
سِوَاؤِ
كَالشَّمْسِ ،
فَضَاءً مَفْتُوحَا . . .

الجوقة (غير منظورة ، وبعد أن ينطفئ ضوء المسرح) :

تبدأ من جنازة امرأة
تصعدُ كالقربان في مجامر العيون ،
مدينةً أحنُّ من مدفأة

تبدأ من جنازة امرأة
أيام قاسيون .
أبدأ من جنازة امرأة —
صرختي الأولى حنين كوني
تطاولت ،
وأنحفرت كالنهر
رأيتها تجري ، —
رأيت صوتي
ينزل من ينبوعه
نحيلاً ،
مهاجراً ،
يقرع باب الدهر . . .

(بيروت ، 1966-1968)

الرأس والنهر

(جسر قديم . ضفة على النهر تظللها ثلاث أشجار – حورة وصفصافتان .
نساء مشوهات يُظن أنهم ممرضات . عجوزان . أم مشومة وطفلها . ثلاثة شيوخ .
شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .
تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

١- القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

أَلحرب زريبة

غَنَمٌ . . .

شيخ (بنبرة من يمزح) :

قالوا

إن الحرب حقيبة

(يصمت . يتابع بشيء من الجد)

لو أنّ الحرب حقيبة

لمأناها

خَرَزاً

وجلسنا فيها
وصبرنا . . .
شاب (يظن أنه كان جندياً) :
قالوا إن الحرب وسادة
(يتمدد كمن يحاول أن ينام)
وأنا الوسنُ
شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)
الحرب وسادة
للموت
وعادة
(صمت . يتابع بلهجة غاضبة)
هذا الوطنُ
زرعُ
والأيامُ جرادهُ .
أصوات (بعيدة ، مجهولة) :
قوافلٌ سوداءُ مجهولةٌ
تكمن تحت الماء ،
هل أنت ، يا سلالة الآباء
تجيءُ في ليلٍ من البهارِ
من توابل الرؤوسِ
والقتلِ ،

من توابل الغابات والفؤوس

هل أنت ، يا سُلالة الأمواج
تصعدُ نحو كوكب المجهول ، كالمعراج ...
من أنتِ ، من يجيبني؟ حنيني
نما هنا كَسْرَوَة ، وطال
وها هو السؤالُ
في جسدي ،
بُحيرةٌ ...

٢- الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة) :
سيجيءُ السيلُ
قبلَ حلولِ اللَّيْلِ .
(ما من أحدٍ يهتم . يدخل شخص يحمل نايًا ، يُظن أنه راع) .
الراعي (بلهجة طبيعية) :
حلمتُ أن رأسا
في النَّهْرِ ...
(تقاطعهُ امرأة ١ ، وتسألُه بسخرية ناعمة) .
امرأة ١ : هل سمعتَهُ يغتني
كرأس أورفيوس

تذكر أوفوس؟

الراعي (بلهجة واققة) :

سمعته يقول :

(صمت ، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كان النهر

كان حطام الزمن المكسور

يُصهَرُ في تنور

من غضب الأمواج ، كان الجمر ...

(يخرج الراعي)

أصوات (بسخرية قاسية) :

ها ها

رأس محتال

ها ها

رأس دجال

(دوي انفجارات بعيدة . موسيقى صاخبة . ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار

التالي) .

صوت ١ : في البدء كان خاتم الولاية

صوت ٢ : وكان في النهاية

صوت ٣ : في البدء كان التفت والمنجنيق

وزوجة البطريق .

صوت ٢ : في البدء ، كان رأسٌ

يدورُ كالدولابُ

صوت ١ : في البدء ، كانت قبةُ المحرابُ

(صمت . يتابع كأنه في حلم)

دخلتُ تحت قشرها

صعدتُ — حينَ عدتُ

رأيت أن الشمس خيزرانةُ

مورقةٌ تلتفُّ حول بابي .

صوت ٣ : في البدء كانت عثةٌ

تبيضُ في ثيابي ...

(يفرك بيديه الاثنتين صدره وفخذه . تعود الأصوات الثلاثة فتردد معاً) .

الأصوات الثلاثة (بسخرية خادة) :

ها ها رأسٌ محتالٌ

ها ها رأسٌ دجالٌ

(قهقهة ساخرة . أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر ، يحملون أحذيتهم

وأمعتهم وأطفالهم) .

٣- القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت . دوي انفجارات بعيدة) .

شيخ ؟ (مستغرباً) :

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

امرأة ١ : (ساخرة) :

كيف يغني الرأس والإنسان لا يغني؟

شاب ١ (متهكماً) :

الرأس لا يسير بل يطير . . .

(صدى صوت يتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد) :

تسبح عن يساره

تركض عن يمينه

الضفاف

والأرض وجه امرأة

تطوف ، والطواف

تفاحة . . .

امرأة ١ (تناول حصاة كالتفاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قربها) :

هذه لحظة الدخول إلى الهوة المستنيرة

هذه لحظة اللقاحات والليلة الأخيرة . . .

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة . يتمدان ويتهاوسان) .

شاب ١ (معانقاً امرأة ١) :

لي شهوتي

أن أشعل النهدين في أيامي الغربية

أن أعرف الحياة لا السلطان

أسهر في بستان

يسهرُ فيه قمر الحبيبةُ

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (فجأة إلى شيخ ٢) :

نزل القمرُ

طَوَّفَ حَوْلَ نوافذنا

وترصَّدنا

كان الموتُ دليلاً

كان الحجرُ . . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم) :

. . . وسجدَ النجمُ

وكان في يساره

قوسٌ

وفي يمينه سهمٌ

فسقطَ العدوُّ . . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رَفَّ حولي

جبريلُ ، قال - أبشرُ

ومدَّ لي سكرةً

طعمتُها ،

ولم يزل في فمي الطَّعمُ .

(يحرك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة منتفخة لفظها

النهر : جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات بعيدة) .

تَقْيَايِ رَمَلِكِ يَا مَدِينَةَ
وَجْهَكَ وَجْهَ صَخْرَةٍ
وَالكُونُ فِي وَجْهِكَ مِثْلَ دُمْلٍ

(صمت . امرأة تحتضر ، تموت ، يغطيها شخصان ، يحملانها ويخرجان . تتابع

الجوقة بإيقاع غاضب) :

أَلْقَمَرُ الشَّيْخِ كِتَابُ شَرْعٍ
حَرَقْتُهُ
وَالزَّمَنُ أَنْهَدَامٌ
فِي رَتْبِي ، وَوَجْهِي
يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبْرِ . . .
تَقْيَايِ رَمَلِكِ ، يَا مَدِينَةَ .
(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كانه لم يسمع الجوقة ، متابعاً حديثه الأول) :

نَادَتْنِي الرَّمَانَةُ -
خَذْنِي كَمَا تَرَانِي
مَلِيئَةٌ عَرِيَانَةٌ
كُنِّي . . .
أَكَلْتُ ،
طَالَتْ ،

وسكرتُ بحبِّي
وحملتُ في العام مرتين ...
شيخ ١ (يجيبه حالماً) :
حلمتُ -
دار الوجد
خَطَّفني ،
دخلت بيتَ النَّارِ
خرجتُ يسَاقطُ مِنِّي الوَرْدُ
كأنني أذار أو نواز .
(موسيقى قديمة سحرية)
شاب ١ (إلى امرأة ١) :

نهداك ، في نهديك طفلتان
واحدةٌ تموتُ من هزالٍ
واحدةٌ تذب في قلبه
فلنكسر الزَّمانُ
كالعُصن ،
إنَّ الكونَ بهلوانُ
إنَّ إلهَ العالمِ المقصَلَة .
(موسيقى غضب وقوة)

٤- السيل

(الأم تحتضن طفلها ، منتظرة موته بين لحظة وأخرى . يدخل الراعي مسرعاً) .

الراعي (مخاطباً الجميع) :

ابتعدوا ،

تحركوا ،

فالسَّيْلُ . . .

(يقاطعه صوت ساخرأ)

الصوت (مقاطعاً) :

سوف يجيءُ السَّيْلُ

قبلَ حلولِ اللَّيْلِ . . .

(يخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة) :

نعرف ، هذا زمن السَّيْلِ

نعرف ، هذا زمن الأفولِ

(صمت . موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمعُ أنْ أتياً

يغيّرُ الدروبُ

يذهنُ وجهَ الأرضِ ، يَسْتَبِيهِ

ينفخُ فيه الدَّاءَ والشَّحوبُ .

نَسْمَعُ - أيّامَ من البلورِ

آتيةً في السيلِ ،

كلُّ يومٍ

مُبطَّنٌ

كأنه بلقيسٌ ،

أو كأنه تيمورٌ .

(صمت . الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعرفُ

أفراسٌ ،

وحوشٌ ماءٍ ،

تجبيءُ في السيلِ ،

وفي الضفافِ

تطوفُ غاباتٌ من القُبورِ

وأنتهتِ الأجيالُ والعصورُ

وما انتهى المطافُ .

(يموت الطفل . تحتضنه الأم)

(بصوت مخنوق) :

يا مَوْتُ ،

يا صديقَ الأطفالِ

ضُمَّ طفلي ،

واحملْ له العَابَةَ ، وأطبقْ

الأم

جفنيه كي يحلم ، كي يراني ...
أذخلة في بلاد
جديدة ، يرود
أسرارها ،
يبقى ولا يعود .

(تضع الأم طفلها على الأرض ، دون غطاء . تخلع عجز ١ معطفها الأسود الممزق
وتغطيه . يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان . موسيقى جنانزية) .

الجوقة (غير منظورة) :
تفتحي يا وردة الدماء
في جثة العصفور ،
في صبية
محروقة ، في نهر الأشلاء
في الأطفال يُخنقون في السماء
يابسة كوجه مومياء
تفتحي كبذرة خفية
لدورة الفصول ،
تفتحي
هذا هو اللقاح هذي رعشة الحقول .

٥- صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة . أسراب طيور فوق الجسر . يدخل شاب صغير السن أتعبه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر) .

الشاب (صارخاً) :

رأس مهيار يجري ...

(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة ، لنفسه) :

يخطرُ لي خاطرٌ

وفجأةً ،

أراه مرقوماً على ثيابي .

(صمت . لنفسه)

عرفت أن موته قريبٌ ...

الجوقة (غير منظورة) :

رأسه الجرحُ والتزيفُ

رأسه حولكم يمامةُ

تحملُ الأرضَ كالرغيفُ

رأسه حولكم علامةُ .

(صمت . موسيقى موت قوية)

مات مهيار ماتُ

مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر النباتُ

مثلما يُكسِّرُ القمرُ
 وتُهدُّ البيوتُ
 مثلما يُطفأُ الشررُ
 مثلما تحضن البراكين أسرارها وتموتُ . . .

(يسري جو من الرهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين ، إلا قلة من الشبان) .

شاب (يحتضن زجاجة فارغة) :

أقيم في همومي
 كأنني أقيم في زجاجة
 مملوءة بآية البُخار
 أعيشُ كالدجاجه
 في حوشي المغطى
 بالقش والغبار .

شاب ٣ (يجلس القرفصاء محرماً التراب) :

أبحث في مملكة الرماد
 عن وجهك المدفون ، يا بلادي

شاب ٤ (بغضب) :

كيف تُكَمُّ الشَّمْسُ عن عيوننا
 وتوصدُّ الأبوابُ
 أماننا ،

هل نحن من سلاله اليقطين
 أم سلاله اللباب؟
 الجوقة (بما يشبه الترتيل) :
 لأن في أعماقنا بقيه
 من خدر التاريخ ،
 من غيلانه الخفيه
 مات ،
 لأن العالم اغتصاب
 وأرضنا ضحيه .

(صمت . موسيقى هادئة)

صوت من الماء ، يقول الصوت :
 مات لكي ينهي عهد الموت ...
 شاب ه (بشيء من التمرد اليائس) :

من أين؟ كيف نفتدي ، نعاني
 تفتت الإنسان أو تفتت المكان
 وأرضنا تجرّ ناهديها
 كخرقة .

الجوقة (بترتيل) :

صوت من الماء ، يقول الصوت :
 مات
 لكي يُنهي عهد الموت .

(موسيقى هادئة . أسراب طيور فوق الجسر . جثث تنقل من ضفة إلى ضفة) .

الأم : زَمَنُ الموتِ يبدأ
أين أرمي خطايَ ، أشردُ ، أم أين الجأ؟
لا زَماني زمانٌ ،
ولم يبقَ مرفأً .
(تبكي)

امرأة ٢ (حاضنة الشاب ١) :

أون صدري جزيرة
لونُ ثدييٍ مرجلُ
لك عيناي مرفأً
لك فخذايَ جدولُ
والغبارُ الذي يلفُ ذراعيك مُحملُ
لي بلادٌ ومُحملُ . . .
الشاب (فيما يطوق خصرها) :
خصركِ لي نموذجٌ وصورةٌ .

(موسيقى جنسية صاخبة . تهدأ الموسيقى ، فيسمع من بعيد صوت يخرج من ماء
النهر ، يظن أنه صوت الرأس) .

الرأس (صوت بعيد) :

ليس صوتي إلهاً

ليس صوتي نبياً ...

صوتي النَّارُ والنَّفِيرُ

صوتي الصَّاعِقُ المزلزل ، والطَّالِعُ البَشِيرُ .

الجوقة (غير منظورة) :

وجه مهيار في الماء يسطح كالجوهرة

لم يعد غير صوتٍ

والحقولُ المزامير ، والنَّهْرُ الحنجرة .

أصوات (سخرية) :

ها ها

رأسٌ يسرقُ مُلكَ النَّاسِ

يهذي

ها ها

رأسُ الخنَّاسِ الوسواسِ ...

الرأس (صوته يقترب شيئاً فشيئاً) :

أصواتكم حصارٌ

لكنني محصنٌ بصوتي

محررٌ

برفضي البارئ ، بانفجاري

كأنِّي المهْبُ أو كأنِّي البركانُ

باسمِ الغدِ الصِّديقِ ،

باسمِ كوكبِ

سَمِيَّتُهُ الْإِنْسَانُ .

(صمت)

وكان موتي عشبَةً

في الماء ، مثل طفلةٍ من زَهر اللُّوتس

مثلَ تَوْرَسٍ يعرفُ أن يكونَ

زنبقَةً بيضاءً ، قوسَ قزحٍ

يحبُّ أن يكونَ

كالبحرِ ، نبضاً سيِّداً

وغابه

من فرحٍ كالموج ، من كآبةٍ

ترقد تحت شجر الصنصناف مثل طفلةٍ .

وكان موتي طائراً

حَوِّم في خميلة الغرابِ

وطارَ ،

صار نَهراً يفيض ، صار رأساً . . .

وكان موتي لاجئاً

في فجوة الزمان ، كان لاجئاً

يُضِيءُ مثل كوكبٍ يُضِيءُ

وكان موتي الوعدَ والمجيبَ .

الجوقة (غير منظورة) :

مُدُّ لنا يديك

أفرغْ لنا تاريخك الملائن
نلمحُ في عينيك
من دمنا
ناعورةً ونبغ
يا وطناً عطشاناً
يا وطناً ممتلئاً بالدمع ...
الرأس (وحده) :

أثقبوا جبهتي قيّدوني
وخذلوا حربياً وانحروني
مزقوني كلوني
واقراؤا كيمياء المدينة
بين أشلائي الأمينّة .

الجوقة (غير منظورة) :

جسدٌ مغروسٌ في البريّة
والنهر دمٌ والموجة نوز
جسدٌ هدّته الحرّيّة
جسدٌ تبنيه الحرّيّة ...

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحرزاً) :

صانعٌ غيركم أصدقاء
صانعٌ غيركم فضاء ...

الجوقة (غير منظورة) :

فارسُ ،
يا عرّاف الحبّ ، لأيّ مكانٍ
تمضي؟
خُذْنَا ، خذْنَا . . .
أَلدّنيا سَرَجٌ يدعونا
والنّهْرُ حصانٌ .

(موسيقى سريعة هادئة . ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم . يحاولون أن
ينجوا ، لكنهم يعجزون ، ويجرفهم . فيما تغيّبهم أمواجه يبدو الرأس جارياً على صفحة
النهر كأنه جزء من الماء) .

الرأس : سار أمامي جسدي
أزمنةً ، مدائناً
تواكب النّهْرُ
مَسْرَحُها بصفّتين - الحبّ والبَشْرُ .

أليوم أكملتُ اكتملتُ : صوتي
يفهمه الرّكّزال والأطفال والرّبيعُ
يَفهمه الجميعُ -
صوتي لا يُردُّ مثل موتي .
سكنتُ كلَّ عشبةٍ

أَلْفَتُ بَيْنَ الصَّنْخَرِ وَالنَّبَاتِ

بَيْنَ غَبَارِ الطَّلَعِ وَالْمَرَايَا

وَجِنْسِ أَغْنِيَاتِي .

لِي وَطَنٌ

لَا يَعْرِفُ التَّخْوِمَ ، لَا تَحْدَهُ الشَّطْرَانُ

تَحْدَهُ عِلْمَانُ - الشَّمْسُ وَالْإِنْسَانُ

وَهَا أَنَا أُطَوِّفُ

كَيْ أَزْلِزَ الْحُدُودَ ، كَيْ أَعْلِمَ الطُّوفَانَ .

الجوقة (غير منظورة) :

نَقْرًا فِي الطُّوفَانِ

كِتَابَةً

عَنْ وَطَنِ يَسْقُطُ مِثْلَ وَرَقٍ . . .

أَصْوَاتٍ (سَاخِرَةٌ ، بَعِيدَةٌ ، غَيْرُ مَنْظُورَةٍ ، مَقَاطِعَةٌ) :

وَطَنٌ -

مِنْخَلُ مَاءٍ

وَطَنٌ يُفْتَحُ كَالدَّكَانِ ،

وَطَنٌ يُقْفَلُ كَالدَّكَانِ

الجوقة (بإيقاع سريع) :

نَقْرًا فِي الطُّوفَانِ

، كِتَابَةً ،

عَنْ وَطَنِ

يسكن مثل شهقةٍ

في رثة الإنسان .

الرأس (والجوقة معاً) :

غائبٌ حاضرٌ كماثك يا نهرُ

حويتُ الأسماءَ والأشياءَ

فاحتضنني واستنفر الرعدَ في صوتي

وهجسَ التكوين ،

والأنواءَ

واجر يا نهر فطرةً

وكنِ النشأةَ ،

كنْ صرخةَ الدّم العذراء .

(صمت . أسراب طيور فوق الجسر . فيما يغيب الرأس يسمع صوته يبتعد شيئاً فشيئاً)

الرأس والجوقة معاً (بإيقاع هادئ) :

لا أعرفُ التخوم لا تحدّني الشيطانُ

تحدّني علامتان - الشمس والإنسانُ

وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ ، كي أعلمَ الطوفانُ .

(موسيقى غضب وفرح . تهدأ الموسيقى . يبدو في مشهد جديد شيخ ٣ وحوله

أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس) .

شيخ ٣ (للأطفال) :

واشْتَعَلَ الفِضَاءَ مِثْلَ وَجْهِهِ المِهَاجِرِ الظَّمَانَ

وَحَالَ : كَلَّ نَجْمَةَ

رَجَاجَةَ وَالْقَمَرَ المِصْبَاحَ

وَنَامَتِ الدُّنْيَا عَلَى الحَيِطَانِ

سِتَّةَ أَيَّامٍ بِلا ضِيَاءٍ

وَاسْتَسَلِمَ الزَّيْتُونَ وَالتَّفَاحُ

لِلدَّمَعِ

لَوْ قَلْبْتُمْ الحِجَارَ ، لَوْ شَهِدْتُمْ -

فَتَحَّتْ كُلَّ حَجَرٍ غَدِيرٌ

مِنْ دَمِهِ ،

وَالزَّمَنُ المُعَصِفُ المَلَأَنُ

بِجِرْحِهِ ، رِيَابُهُ

غَنَّتْ ، فَكَلَّ نَخْلَةَ خَرِيفٌ

يَبْكِي ،

وَكَلَّ صَخْرَةَ سَحَابَةٍ .

(يَصِيتُ . يَبْدُو الأَطْفَالُ مَشْدُودِينَ بِذَهُولٍ إِلَيْهِ . ثُمَّ يَتَابِعُ حَالِمًا) .

عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ

فِي فَلَكٍ يَصْعَدُ كَالزَّفِيرِ

يُعَلِّقُ الهَوَاءَ

مَدِينَةَ الحِزْنِ ، وَالشَّمُوعَ حَوْلَ الرِّاسِ

وَيُسْمَعُ الْبُكَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ كَالْهَدِيرِ .

(صمت)

أَصْغَوْا إِلَى الْهَوَاءِ ، فِي الْهَوَاءِ مَا يَقُولُ فِيهِ زَعْبٌ

وَحَمَى ،

وَفِي الْهَوَاءِ مَاءٌ

يَغْسِلُ وَجْهَ الزَّمَنِ الْمُدْمَى

يَجْرَفُ ،

أَوْ يَبْدَعُ مَا يَشَاءُ .

(موسيقى . صوت عاصفة . أمطار)

(بيروت ، 1966-1968)

السَّمَاءُ الثَّامِنَةُ

(رحيل في مدائن الغزالي)

قافلة كالتاي ، والتخيل
مراكب تغرق في بحيرة الأجفان
قافلة - مذتب طويل
من حَجَر الأَحزان
أهاتها جراز
مملوءة بالله والرّمال :
هذا هو الغزالي

يجيشنا في كوكب
تَحْضِنُهُ نساؤنا
تصوغ من بهائه
الشياب والأحلام واللاكي .
يَبْتَدئُ السُّقُوطُ في مدائن الغزالي
يُسْتَنْزَلُ الفرقانُ واللّسانُ
وتعلّق الجباه بالغبار ، - في مدائن الغزالي
شَرارةٌ ليس لها مكانٌ

والرَّيحُ مِثْلُ جَمَلٍ .

وبعدَ أن يصمتَ أو يضيغَ سائلُ
تَجْرُهُ حَشِيشَةُ السُّؤَالِ ،
يعرفُ : كلُّ نَهْرٍ
يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي
يصيرُ صِهْرِيحاً من الدَّموعِ
يدورُ في ناعورةِ الشفاهِ أو في قفصِ الضلوعِ :

– والوطنُ المفتوحُ مثلَ كَفَنٍ
يَمَامَةٌ تُذبحُ في ينبوعِ
رأيتُ فيه أُمَّةً . . .
رأيتُ فيه القمرَ المقطوعِ
من أوجهِ الأطفالِ ،
والزَّمنَ المنكسَ المخلوعِ
والزَّمنَ الآتي كالزَّلزالِ . . .

يبتدئُ السَّقوطُ في مدائن الغزالي
يختلجُ الشَّارِعَ كالسُّتارَةَ
والزَّمنَ الرَّابضُ مثلَ خنجِرٍ
يغوصُ تحتَ العنقِ ،
والمنازَةَ

ستارةٌ سوداءُ .
أهدمُ ، كلُّ لحظة ،
مدائنَ الغزالي
أدحرجُ الأفلاكَ فيها ، أطفئُ السماءَ :
— والفجرُ مثلُ طفلٍ
سبعُ حرابٍ سودُ
سبعُ سماواتٍ بلا حدودٍ
تهيمُ في خُطاهُ .
ويدخلُ الموتى وينخرجون
من نَفقٍ أخضرٍ — في مدائن الغزالي
يأتون في كلامٍ
يشنُّ ، في دروبٍ كالملح ، في كتابٍ
يموتُ ، دَفْتَاهُ
رَقصٌ وصافناتٌ ...
ويدخلُ الموتى وينخرجون ...

— ... والشَّمسُ في ثيابهم
جاريةٌ صفراءُ
مدهونةٌ الثديين بالقلوب
بالحجر الأحمر ، بالكبريت والغيوب
تسقطُ كلُّ ليلةٍ

في نشوة الإسراء
تلتهم السيوف والسنينا ،
تطرح ، كل لحظة ، جنينا ...

ويدخل الموتى ويخرجون ...
توعدي يا فرس النبي في مدائن الغزالي
توعدي خطاي والطريق
عذابك الكبير مثل خيمة
كسرت فيها خاتم الزواج ، والكوتر ، والرحيق
توعدي ، أعرف كل خلجة
في جسمك العتيق
أعرف ما يقوله عذابك الكبير - في مدائن الغزالي
مسافرون ...
- أين تذهبون؟
لن تصلوا ، فهذه الطريق لا تمر في دمشق ، والصباح
ترسمه الأنصاب والأشباح
مسافرون يخبطون ...
أين يذهبون؟
من جثث الآباء يحملون
تمائماً
والتيه في أقدامهم طريق

والرَّمْلُ فِي وجوههم عيون .

... (شددتُ فوق جسدي ثيابي

وجئتُ للصحراء

كانَ البراقُ واقفاً يقوده جبريلُ ، وجهه كآدم ،

عَينه كوكبانِ

والجسم جسم قَرسٍ . وحينما رأني

زُلزِلَ مثل السمكة

في شبكة ...)

أيقنتُ ، هذا زمنُ التَّناسُخِ - الإِضَاءَةِ :

الشمسُ عينُ قِطَّةٍ

والنَّفْطُ رأسُ جِملٍ

تَقَلَّدُ الخنجرَ والعباءةَ ،

وكَلِّمًا سايرتُ في طريقي

يمامةً أو زهرةً

أو غبتُ في إشاره

بيني وبين الضوء ، وانحنيتُ

كالنَّبعِ في مسالكِ الحجارة

تَنَبَّأتُ في جفوني

رصاصَةً ،

وكلّما قلت أحبُّ الماءَ
والزّمنَ الآتيَ ، والأشياءَ
وكلّما حاولتُ أن أبنيَ أو بنيتُ
تحتَ شمسِ الماءِ
سقيفةً ،
تطلّعُ في عروقي
رِصاصةً ...

... (– لا تخشَ ، في شفاعتي أنتَ ، فمالَ
نحوي ، ركبتهُ وطارَ بي ...
– هذا الذي يصبحُ عن يميني يتّضحُ لي ، لم ألّفت
إليه ...
– لو أنّك التفتُ واستمعتَ ، لاستلأنّ
شعبكُ ، من بعدك ، للشيطانِ .
– وهذه المرأةُ كالفيروز عن شمالي
تنصحُ لي ، لم ألّفتُ إليها ...
– لو أنّك التفتُ واستمعتَ ، لاستهانَ
شعبكُ بالجنّةِ والقيامةِ
واختارَ أن يموتَ فوقَ سرّةٍ
ورفضَ الجهادَ والكرامةَ ...)

وكَلِّمًا هَجَسْتُ
ولذتُ بِالْهَوَاءِ وانغرسْتُ
كالعشبِ في مدينةِ التُّرابِ
أَسْتَكْشِفُ الفِضَاءَ والجِنَاحَ
أَسْكُنُ في بَاكُورَةِ الرِّيحِ ،
تَنْبَتُ في ثِيَابِي
... رِصَابَةٌ ...
... رِصَابَةٌ ...
وكَلِّمًا سَأَلْتُ
وانكسر السَّوَالُ في سريرتي ، وملتُ
كالغُصْنِ ، أو نَوَيْتُ أنْ أَطُوفَ
في طبقاتِ الشَّمْسِ والهَوَاءِ
مُسْتَسْلِمًا كالماءِ ،
تَطْلُعُ في النِّيَّةِ والحروفِ
... رِصَابَةٌ ...
... رِصَابَةٌ ...
والشَّجَرُ الأخضرُ في الطَّرِيقِ
مدائنُ حُبْلَى وحاصِنَاتُ
والشَّجَرُ المَيِّتُ في الطَّرِيقِ
نَارٌ بلا ضَحِيَّةِ
تَظَلُّ من رَمَادِهَا بَقِيَّةِ

في موقدِ الكلامِ
تحمل للطفل الذي ينامُ
حُلماً ،
وللطفل الذي يُفِيقُ
دفترَ أحزانٍ وأغنياتٍ ...

... (ها هو بيتُ المقدس - المعراجُ

يُمَدُّ لي ، يَجِيثُني جبريلُ

بأكؤسٍ ثلاثٍ ...

- خذ أيها تشاءُ

أخذتُ ، كان لبناً ، شربتُ

- إنَّ هذا

خمرٌ ، وذاك ماءٌ ،

فلو أخذتَ الخمرُ

لَغويتَ بعدك ، مثل وثنيٍ ،

أمتك الحنيفةُ

ولو أخذتَ الماءُ

لغرقت ...

ولفني جبريلُ وأبتدأنا

نصعد في أدراجِ

من ذهبٍ وفضةٍ ،
من لؤلؤٍ أحمر كالقطيفةً ...)

كان الرَغيفُ يصبحُ كالملكِ :

— اهتدينا

نارًا أنا

وضربيتي جسدُ المدينة

ماسٌ ، دمسٌ ، أرجوانٌ

ما كان من ذهبٍ وياقوتٍ ، وكانُ ...

ماذا أرى؟

— هذي جموع الخارجين إليك يا تاجَ المدينة :

عن أحمد :

ورَّثت قطيَّ الأمينه

وارتحتُ من قانونهم ...

عن صالح :

تاجرتُ بين المقعدين

فرشت أيامي وساده ...

عن أخته :

نَفَقَ هوايَ

وفي دمي ذئبٌ يدورُ

وأنا الضحية والبخورُ .
 عن أختها :
 وطني يشبُّ ،
 يشيخُ
 يطعمني رمادةً .
 عن زوجها :
 وجهي ينام كطَوَظِمٍ ...
 عن حامدٍ :

لم يبدأ التَّاريخُ
 أفتح ساعدي
 للشمس ...

وانشوقُ الرِّغيفَ كأنه أفقُ النبي
 وأنا العِرافَةُ
 ودخلتُ في لَهَبِ المسافَةِ
 أتزوِّج النَّارَ البعيدَةَ فيَّ ، أقتلع الزَّمنَ
 كالعشبِ ،
 أغتسلُ - اغتسلتُ ، غرقت في ألقِ الدَّموعِ
 وحنوت فوق دمٍ يثنُ ، دمٍ يجورُ .

(... - ماذا ترى؟)

— ملاكاً :

نصفين من ثلجٍ ومن شرارٍ

بألف ألف لغةٍ

تسبحُ الجامعَ بين الثلجِ والشرارِ ...

— هذا ملكٌ يساوي

بين جميع الناس ، وهو أنصح الملائكة ...

وهذه سماءُ غبراء من حديدٍ ...

— هذي اسمها الماعونُ

يسكنها ملائكُ

أكتافهم حِرابٌ لنصرةِ الإسلامِ ...

هناوني :

أأخبر في شعبك ، أنت الأصل والعلامة

من أول الزمان حتى موعد القيامة .

قدمني جبريلُ

صليت ركعتين

بهم ، على ملةِ إبراهيمٍ ...)

وهبطتُ في أغوارِ نجمتي الصغيرة

بين المشيمةِ والكفنِ

في ليلِ جُمجمةٍ ضريرة

فقرأتُ تاريخَ الفضاءِ ، قرأتُ تاريخَ القمرِ
من قبل أن أردَ الفضاءَ وقبلَ أن أظأَ القمرَ -

الأرضَ بيتيَ
والزمنَ

لغتي وصوتي ...

وسمعتُ عرّافَ الرصيفِ يقولُ : مفتاحُ المدينة
تُخْتُ ومغزَلُ غازل ...

عرّافُ ، قُلْ لي ، فَسّرِ الرؤيا ، نسيتُ؟ أعيدها -
... ودخلتُ دائرةَ الرَّغيفِ ، رأيتُ قطعةَ فِضَّةِ ،

سوداءَ ، تحملُ خنجراً . تَدْنُو وتطعنني ، وتهربُ في الرِّفاقِ ،
ومتُ ، لكن قمتُ فجأةً

ووجدتُني في حضنِ مرأةٍ ...

(... ثم رأيتُ ملكاً لم يبتسم ...)

- من هو يا جبريلُ؟

- عزرائيلُ ، اقتربُ وسلّم ...

سلّمْتُ هباً واقفاً هتّاني ،

سألتُ : كيفَ تقبضُ الأرواحَ؟ قالَ : سهلاً .

حينَ يتمُّ أجلُ الإنسانِ

أرسلَ أربعينَ من ملائكتي

ينتزعون روحَهُ من العروقِ ...
حينما تصيرُ في حلقومِهِ
أسلها كشعرة تُسَلُّ من عجيبِ
فإن تكن طيبةً
قبضتها بحريةٍ من نوزِ
وإن تكن خبيثةً
قبضتها بحريةٍ من سَخَطِ ...
وَبَدَتِ الدنيا
في يده ،
كدرهمٍ (...)

عرافٌ ، قُلْ ...
- لا شيء ،
هذا مخبَرُ اللُّغَةِ العَجِينَةُ
لا شيء ،
تاريخُ النَّسَاءِ مِخْدَةٌ
وحنانُ طينَةٍ .

- ودهنُها المعدني؟
- والدَّهْنُ كالوسامِ أو إشارة
علامةُ السَّيدِ : كلُّ شيءٍ

نهدان في يديه أو ستاره
للزمن اليابس كالعرجون
للزمن المخزون
في امرأة...
والذهن معدني
مملك،

ينزل مثل البحر في كتاب
يستوطن الأغوار أو يستوطن الصوّاري
يصير فوق أرضك البغي
شعائراً للذبح، أو فحاحاً، أو خرزاً ملوناً...
والذهن معدني
طيف جنائزي
يدخل كالمنشار
في جسد العالم
كالملاءة
يطحها المأفون والعيّاز
على جفون أرضك المضاءة

(... وهذه سماء خضراء من ياقوتة خضراء فيها

رجلٌ طويلٌ

تلفه مِذْرَعَةٌ

وشعره يكاد أن يغطي

ساقيه . . .

— يا جبريلُ

مَنْ هُوَ؟

— هذا صِنْتُوكَ المفضلُ الكليمُ

موسى بنُ عمرانَ — اقتربْ وسلِّم .

سلِّمْتُ ، قال موسى : يزعمُ إسرائيلُ

أني أنا المفضلُ الكريمُ .

ثم دعا لأمتي بالخيرِ ، ثم اصْطَفَيْتِ الملائكةَ

أُمَّتَهُمْ ، صلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ

بِهِمْ ، على مِلةِ إبراهيمَ . . .)

والدَّهْنُ معدنيّ

بَحْرٌ مِنَ السَّوَادِ —

أَلْقَاعُ نَافُورَةٍ

مِنْ ذَهَبٍ ، وَالسَّطْحُ قَاذُورَةٌ

وَالأَرْضُ كَالْمَرَايَا ،

مَكْسُورَةٌ ، وَالشَّمْسُ هَسَّهَسَاتٌ

تنأى ، وأبأّر من الرّماد ...
هل قلتُ كل شيء؟

(... رأيتُ باباً كتبت عليه

كتابةً قرأتها

فأنفّحت البابُ ، رأيتُ خلفه

جهنماً ،

رأيت غاباتٍ من الحياتِ

رأيتُ باكياتِ

يفرّقن في القطرانِ عالقاتِ

يفلن كالقُدورِ موثقاتِ

يُطرحن للأفاعي ...

— هذا جزء نسوةٍ

يظهرون للغريب ... هذي امرأة

صورتها كصورة الخنزير ، جسمها حمارٌ

لأنها لم تغتسل من حيضها ...

— هذا عقابُ امرأةٍ تعشقُ غير زوجها .

— هذا جزء امرأةٍ

لا تُحسِنُ العشرةَ أو لا تحسِنُ الوضوءَ ، لا

تصلّي ...)

رسمتُ ظلَّ القمرِ الطَّالعِ في طريقي
بلهفتي ،

ربطتُ كلَّ جرحٍ

في وجهه بثوبي العتيق .

... وسرتُ في بُحيرةِ الأغاني

نيلوفراً ، أغاني

ترشَّحُ من قرارةِ التاريخ ، من سريرةِ المكانِ

والتفتُ الأشجارَ حول وجهي

والتفتُ الطريقَ

كان النِّهَارُ حجراً يسيرُ ، كلُّ حجَرٍ إشاره

وكان كلُّ حجَرٍ فلاحٌ

يغسل وجهَ الحقلِ أو يطاردُ الرياحَ .

يسافرُ الترابُ في خطاهُ

ينام يستفيقُ ،

وكان كلُّ حجَرٍ شرارةً .

(... وما أرى رجالاً

تمشي على ظهورهم

حجارةً...)

وسرتُ محمولاً على شرارة
 أحلم كي أسقطَ في الظلام
 شمساً
 وكي تدور
 حولي
 أرضُ العُلم الخفية
 أحلم كي أكتبَ عن صداقة العُصفور
 عن وطنٍ أحنُّ من قنديلٍ
 ينسجُ كلَّ لحظةٍ
 من دمه ، منديلٍ
 أغنيةً للحب ، أو تحيةً ...

(... طوّقتُ في زيرجدي
 أخضر ، في مدارجِ الياقوت ، ثم جاءني الملائكة
 يرقرق
 فسار بي كسهم .
 وحطُّ بي في بحرٍ من نورٍ
 أبيض خلفَ بحرٍ من نورٍ
 أصفر خلفَ بحرٍ من نورٍ
 أسود ، فاستوحشتُ واستغثتُ ...)

ورأيتُ أتِيَّ في الأزقةِ والزوايا
أمشي كزينِ العابدينِ -
عبأتُ بالخبزِ الجرابِ
وركضتُ من بابِ لبابِ
أزكي لهيبَ الثائرينِ ، أسدَّ جوعَ الجائعينِ ...

(... وانطلقَ الرَّفرفُ ، صاريعلو
وحطني في حضرةِ الإلهِ - ما رأيتهُ
لم ترهُ عينٌ ، وما سمعتهُ
لم تسمعهُ أُذنٌ ...
توديتُ : لا تتخف .
خطوتُ خطوةً كأنني خطوتُ ألفَ عامٍ
أحسستُ حولِ كتفي
يداً ، ولم تكن محسوسةً ،
فأورثتُ قلبي كلَّ علمٍ ...)

- مولاي ، زينِ العابدينِ ...
- أنا لستُ مولى ،
لستُ كهفأً للأئينِ

أنا جمر ثورتك . . . انفجِرْ
غَيِّرِ نداءك ، وانفجِرْ . . .

. . . ورأيتُ أنني صبيحةٌ تَرثُ الضحايا
ورأيتُ أن الجوع يرفعني تحيةً
لدم الضحايا
للبنائسين الطالعين من الأزقة والزوايا
موجاً يُضيء العالمين . . .
— مولاي زين العابدين
لغتي تنوء كأنَّ فوق حروفها حجراً وطيناً
فبأيِّ جانحةٍ أطوفُ ، بأيِّ موجٍ أستعين؟

. . . — وانظراً المصباح
في آخر الشارع ،
واستدارتُ
غمامةً ، وذابتُ
في أوَّل الشارع واشرايبتُ
حمامةً ، وماتت
في لفطة الشارع —
— من هناك؟

وارتجفنا
كالخيطِ
- من هناك؟
وانكسرنا
كالغصن
- من هناك؟
وانجحرتنا
في حائطٍ
دخلنا
في حفرةٍ
وغبنا ...
- هل قلت؟
لا -
- خلدوه ...
- هل كنت؟
لا -
- تبغنا خطاه ...
- قيّدوه ...
ونامت المدينة
وغلّقت أبوابها
ونمنا

من أين؟ لا مفتاح
يفتحُ أيّ بابٍ
فيها ،
ولا مصباح
يُضيئُها ،
وليس في مداها مُهاجرٌ شهيدٌ
يرفع في ساحاتها جبينه ...
وهذه بلادي
مع رجلٍ آخرٍ من سُرداقِ الغزالي
تنام - ليس وجهي
حرقاً ، ولا ذراعي
تكيّةً
وهذه بلادي
فخذان من صلاةٍ
مسافةً من شرِّ وتيهِ
أبحث في رمادها
عن دمي الآخر ، عن شبيهي ...

(... وكان سيف النعمة المَجْبُولُ بالدِّمَاءِ

معلّقاً بالعرش ، قلت : سيدي

إزفعه عن بلادي ...
فقال: تمّ الحكم والقضاء
وسوفَ يفنى شعبك الحنيفُ مثلَ زَبَدٍ بالطَّعنِ
والطَّاعونِ
لكنَّكَ المفضَّل الحبيبُ - آدمُ
خَلَقْتَهُ من طِينِ
وكان إبراهيمُ لي خليلاً
وأنتَ لي حبيبُ
وموسى ،
كَلِمَتُهُ وبيتنا حجابُ
وأنتَ تلقائي بلا حجابِ
وإن أكن خَلَقْتُ من كلامي
عيسى ، فقد شَقَّقتُ من أسمائي
إسماً لك ، اقترنتَ بي ،
أعطيتُكَ الكونَ
والحوضَ والشِّفاعةَ الكُبرى . . .)

أسمعُ صوتَ صخرةٍ قديمةٍ
تضربُ وجهَ الشَّرْقِ
يرتسم الخالقُ في شقوقها والخلقُ

أسمع صوتَ الرّمن : البغايا
والقبرُ والمعاد
وحائطٌ يضحك أو يصلي
للليل شهرزاد . . .
... - والتليلُ والفراتُ
عينان مملوءتانُ
بالشمس والأشعة
ويبردُ يبكي
تبيس في صوتِه
الأشجارُ والأغنياتُ
والغُوطَة المرضعة ،
رمى على وجهه
ملاءةً . . .
ينامُ أو يقرأُ في بستانٍ . . .

(... - دُهِشتَ؟ هذي قَبّةٌ ،

سريّرُ

من عَنبرٍ ، عليه

حوريةٌ

تُضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ

هذي لمن يموت شاهداً
بانك الرسولُ . . .)

سمعتُ صوتَ الزمن - الجريمةُ :
رائحةُ النَّسرينِ
أغنيةُ الشمس على الأسوازِ
فراشةٌ تهرب من تشرينِ
إلى غدٍ يحرقه نوازِ
في أرضه الكريمة .
من أين هذا الزمنُ المشققُ المدهونُ
بالطَّاعونُ؟

من أين؟ كيف تصبح الرِّبابةُ
قَرنين ، أو ذبابه؟
سمعتُ صوتَ الزمن : السَّقوطُ
لولم يك البستانُ
جاريةً ، لكانَ
جرادةً . . .
أعيدي

صوتك ، واستعيدي
سماةً - ملائكةً
يأتي ، وهذا سلم الهبوط . . .

سمعتُ صوتَ الزمن . . . السَّقُوطُ
نحوي في الولاده
والنَّهْرَ الممدودَ كالوساده
من شَفْتِي سقراطَ حتَّى جثَّةَ الحسين .

(. . . ولم نزل نزل . . . ها وصلنا
ودَّهني جبريلُ ، قال : حَدَّثْ
بما رأيتَ واختفى البراق . . .)

حَدَّثْتُ ،
تَمَّ الحَكْمُ والفراقُ
حدَّثْتُ ، كانت هَامَةٌ الغزالي
جالسةً كالسَّيْفِ ، صيرتُ حجراً مبرأً كطفلٍ
يُطارِدُ الغزالي .
وبعد أن يرسمَ حول وجهه

إشارة الرضوء والطَّهارة
وبعد أن يكرِّر الصَّلَاةَ حَتَّى تُصْبِحَ العبارة
تَكِيَّةً وَمَسْجِدًا ،
وبعد أن يُغَالِي
في مدحه - يُجَلِّه كَاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ،
يَرِجُ كُلَّ ذَرَّةٍ
في كوكب الغزالي ...
بالرَّفْضِ بِالسُّؤَالِ
بِالغَرَقِ الحاضن كل رأسٍ
بشاطيرِ الغيبة والرَّجعة ، بالإمامه
تأتي ، وكلَّ نَجْمَةٍ عِمَامَةٍ ،
بالرَّعد ، بالأيام سَابِحَاتٍ فِي مُخْمَلِ الأَبْدِ
كَأَنَّهَا الأعراسُ أَوْ كَأَنَّهَا الجراحُ فِي مَدِينَةِ الجَسَدِ
بِالعُشْبِ وَالبَقُولِ
بِوَطْنٍ يَعِيشُ فَوْقَ الأَرْضِ ، لَكِن خَارِجَ الفِصُولِ ،
بِالرَّفْضِ بِالسُّؤَالِ
بِالمسجد المهدوم ، بِالحجَّاجِ وَهُوَ يَصْلِبُ المَدِينَةَ
بِعَابِدٍ تَجْتَرُّهُ التَّكِيَّةُ
بِالخوفِ ، بِالتَّقِيَّةِ
بِقَبَّةٍ تَجْتُمُّ كَالوَطَاطِ أَوْ تَهْتَزُّ كَالسَّفِينَةِ
حَامِلَةً بِقَايَا

من ورق الجنة أو من نعمة الإله ، بانحساف
يغسل لون الأرض ، بالبنفسج المقلوغ
من أول الزمان ، بالينبوغ
مرتطماً بالوقت مُستضيئاً
كأنه الحصاد أو كأنه المصباح ، -
بالقبول والسؤال
بكل هذا العالم اليابس كالنبات
الأخضر كالنبات
رَجَّجْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ
في كوكب الغزالي ،
رفضتُ وانفصلتُ
لأنني أريد وصلاً آخراً ، قَبُولاً
آخرَ مثلَ الماء والهواء
يبتكر الإنسانَ والسماءُ
يُغَيِّرُ اللَّحْمَةَ وَالسُّدَاةَ وَالتَّلْوِينَ
كأنه يدخلُ من جديدٍ
في سفرِ النشأةِ والتكوينِ .

لكوكب الغزالي
لهذه المقابر المبتوثة الأشباح والطقوس

في نَفَقِ الهواءِ والتَّاريخِ ، في الأقدامِ والرُّؤوسِ ،
لهذه الجدرانُ
للكتبِ المدهونةِ الأوراقِ والرفوفِ
بالْبَطْنِ والشَّهوةِ والأسنانِ

لهذه الأنصابِ والأعلامِ والسِّيوفِ
لهذه المساجدِ الكنائسِ الدانيةِ القُطوفِ
لهذه الدَّرُوبِ
مرصوفةً بالليلِ ،
للتكايا
علامةِ الأسرارِ والغيوبِ
لكلِّ هذا الزَّمنِ المكدَّسِ المشحونِ
بالرَّمْلِ والشُّعارِ والطاعونِ
أعرفُ ما تقولُ لي
يا كوكباً يسكنُ وجهَ الشَّرْقِ
أعرفُ ما تودُّ أن تقولَهُ
للشَّرْقِ ،
هذا السَّيِّدِ المصلوبِ
هذا الشَّاعِرِ المجنونِ ،
وها أنا أغنِّي
أتي كما تقولُ لي

يا كوكباً يسكن وجه الشرق
من ييس الغابات من دجنة الأبار والزوايا
من جوف عنكبوت
من قمر يسود من حضارة تموت
أتي كما تقول لي
يا كوكباً يسكن وجه الشرق
في الشمس في حناجر الأطفال في التوارس المليئة
بالبحر ، بالشواطئ المضيئة
أفتح كل باب
أشق كل رسم
بغضبة الخالق - بالرجاء أو باليأس
بثورة النبي
مسكونة بالشمس
مسكونة بالفرح الكوني .

(بيروت ، 1967)

تعويضات لمدائن الفزالي

١- جسد الحصاة

هذا الذي سمّيته التّاريخَ والبدايةَ
أملسُ مسدودٌ بلا حياةٍ
كجسدِ الحصاةِ ،
هذا الذي يمنحنا الرّعايةَ
سريرٌ عنكبوتٍ
والماء في العاصي وفي القراتِ
جَبْرٌ ، وصحراءُ النّخطي كلامٌ
أو ورَقٌ ، لا فرق ، والقلاعُ
جاريةٌ مربوطةٌ ، وليلاً
أجردٌ : لا حلمٌ ، ولا شعاعٌ .
لا ، لَسْتُ أَقحوانٌ
أو باقةً من زَهَرِ الأُخوةِ
ولستِ إِيحاءٌ ولا نبوءةُ
أو نجمةٌ تسهرُ عندَ الجسرِ
تقرأ ماءَ النّهرِ ...

وليس فيك سائلٌ
وليس فيك قارئٌ
فأنتِ مرزبانٌ
يَصنعُ من جنازةِ الضحيَّةِ
خبزاً ، ولستِ ناهدَ الصبيَّةِ
حينَ يكونُ الحبُّ مهرجَانُ .

... — جلدةٌ أنتِ ، لستِ أكثرِ من جلدةِ معزى وإن تناسلتِ
واستأجرتِ زوجاً وجئتِ للنَّاسِ في ثوبِ دمْقسٍ ، وسحنةِ آدميَّةٍ .
وأنا الدهرُ والطريقُ ،
أخضُّ البحرَ — موتي سفينةٌ ، وبقايايَ
انفجارٌ يَجِيءُ ، أو أبجديةٌ ...

٢- لو سكنت

... لو سَكَنْتِ ، كما قلتُ ، صوتي
لكنتِ اهتديتِ
للطَّرِيقِ ومِعراجِها واكتسبتِ
حَلَّةَ السَّالِكِينَ
يشربونَ الشَّمْسُوسَ وأبعاذَها
ولكنتِ ارتويتِ
لو سَكَنْتِ ، كما قلتُ ، صوتي
كنتِ العِرافَةَ
ومناراتِها القُزْحِيَّةُ
بينَ أيامنا الورقيَّةِ
وثُلُوجِ المسافَةِ ،
ولكنتِ اهتديتِ ...

٣ - القاعدة

— كي تستوي ، كي تكون
خُذْ يَدَهَا مِنْ هُنَا
خُذْ وَجْهَهَا ، وَابْتَكِرْ
شِرَارَةً وَاسْتَبِحْ
زُنُوزَهَا ، وَالْكَتِفَ الْجَامِدَةَ
وَاشْدُدْ إِلَى الْيَسَارِ
مِخْوَرَهَا الْحَرُونَ
وَحَرِّكِ الزَّائِغَةَ الْقَاعِدَةَ
وَعَبِّرِ الْأَسَاسَ وَالْحِجَارَ
وَعَبِّرِ الْقَاعِدَةَ ...

(بيروت ، 1967)

مرآة الطريق وتاريخ الفصول

1

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ :
كلُّ شيءٍ جناحُ
طالعٌ في دمي ، في الحقولُ
سابعٌ في مدار الفصولُ
حيثُ أخيتُ وجهي مع العشبِ واستسلمتُ خطايا
لحنينِ المرايا
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرح الأخرى
بيننا ، وعرفتُ الإشارةُ
أنني أولُ البشاره
أنني نبتةٌ من الشرق في روضة النبوة .

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ
كلُّ شيءٍ طريقُ
الحدودُ وراياتُها والحريقُ
والسدودُ ، اللقاءُ ومعالجةُ

الصُّوتُ ، صوتيَ في راحتيَ ،
العصافيرُ تنأى وتتركُ أسماءَها في الغصونِ
الغصونُ وتاريخُها –

– فتحننا
وطناً آخرأً وسرنا
في وداعِ العصافيرِ ، كُنَّا
لتباريحها فضاءً ،
رحلنا
مثلها . . .
كلُّ شيءٍ طريقٌ ،

حضناً مراراتنا ، صعدا
في بكوريةِ الأعالي
لابسينِ الرموزِ ، اصطبغنا ، صبغنا غلالاتِها بالأعالي
والحمامُ الذي يتناسلُ في وجهنا طريقُ
والسرابُ ومزمارة طريقُ
كلُّ شيءٍ طريقُ
والوجهُ التي تناسخُ في عُبرةِ الطريقِ
والوداعُ المرابطُ في وحشةِ الطريقِ –
– يا زمانَ المطرِ

أعطينا ، وابتكرُ للشجر
غيمةً - حلةً من هوانا
واسقٍ من حنٍّ ، من سقانا
يا زمانَ المطرِ ...

بغتهً ، صار بيني وبين الطبيعة
لغةً ورسائلُ ، صارَ الهواءُ
درَجاً ، صرتُ أمشي
بين عينيّ والفضاءِ
سائحاً في ثيابِ الطبيعة :

- إن تكن يا بريدَ المسافة
فارساً ، فحنيني
قرسٌ ، إن تكن صحارى
فيداي القوافلُ ، إن كنتَ ناراً
فأنا عاشقٌ غريبٌ تيممتهَا ، والعِرافَةُ
كوكبي ، يا بريدَ المسافة ...

2

رافقتني الرياحُ وأحجارها النبويةُ :
حجرٌ سيّدُ المدينة

حَجَرٌ خَادِمُ الْمَدِينَةِ
حَجَرٌ وَاسِعٌ يَتَدَحْرَجُ فِي خَاتَمِ الْخَلِيفَةِ
حَجَرٌ نَجْمَةٌ خَفِيفَةٌ
عَلَّقَتْهُ الصَّبَايَا
بَيْنَ أَحْلَامِهِنَّ الْأَلِيفَةَ
وَعْيُونَ الْمَرَايَا

— أَسْتَوْدِعُ الْحَجَرَ
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرُ
فَلِلْحَجَرِ
خَيْطٌ مِنَ الرَّاحَةِ ، فِي نَسِيجِهِ
عَيْنَايَ وَالْغَابَاتُ وَالْمَطَرُ
وَلِلْحَجَرِ
مَدِينَةٌ تَوْلَدُ كُلَّ لَيْلَةٍ
أَبْحَثُ فِي شَقْوَقِهَا ، أُرْكَضُ — كُلَّ سَاحِرٍ
يَضِيغُ فِي مَدِينَةِ الْحَجَرِ

لَكِنِّي أَسْتَوْدِعُ الْحَجَرَ
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرُ ...

رَافَقْتَنِي الرِّيحُ وَأَحْجَازُهَا النَّبْوِيَّةُ

والذين يسرون في النارِ ، يَسْتَنْبِتُونَ
شَجَرِ الحَلْمِ ، يفتحون
في رمادِ العصافيرِ بوابَةً . . .

— . . . وسرنا

خطواتٍ من القمح ، سرنا . . .

يرونُ الطريقِ أغاني

وخطاهم ينابيعُها . . .

— التقينا

بين عنقِ الطريقِ وأردافِها . . .

الطالعونُ

من قلاعِ الهجومِ

يمدّون سلطانهم في تخومِ الغرابَةِ في أولِ النَّباتِ . . .

— انحنينا . . .

للطريقِ وأعشاشِها

رأينا

سحرَ أبعادِها

سمعنا

صوتَها . .

العاصفونُ

الذين يجيئونَ كالوقتِ . . .

— عينُ الغرابَةِ

مطرًا أو سحابة

تحت أهدابنا

عجينا

كيف لم يفتح الجنون

لخطانا شبائيكه ، عجبتنا . . .

والذين يرجون ماء العصور . . .

— انتشلنا

وطناً عائماً . . .

يسمّون ما لا يُسمّى

يكسرون الحدودَ وأقوالها ، يُنشثون

طرقاً في الطريقِ ، يسيرون قدّامها . . .

... — استمعنا

لصدانا يسافر في العشب ،

يقبل من آخر البحر . . .

يهوون في لجة الحلم ،

... — كنا

ذهبَ الليلِ والصُّحارى

فوق غرناطة ، في بخارى . . .

والذين يسيرون بين التحوّل والنّارِ

— سرّنا ،

كلهم رافقوني . . .

... حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النَّومِ

عليَّ كلَّ يومٍ :

... ونادرُ الأسودُ

يقرأُ باسمِ اللهِ والشقاءِ

أسطورة الخبزِ وشعرِ الماءِ

ونادرُ الأسودُ

تحمله الأشجارُ

وكلَّ غصنِ قبضةٍ وسيفِ

ينضجُ قبلَ الصَّيفِ

ينضجُ بعدَ الصَّيفِ

ونادرُ الأسودِ

هاجرَ كي يرجعَ في تشرينِ

في أولِ الأمطارِ ...

... حيثُ رأى مهبلاً

كيفَ تجيءُ الشمسُ كلَّ يومٍ

إليَّ ، بعدَ النَّومِ

حيثُ يصيرُ الماءُ

من لهفةٍ ، نافورةَ الحريقِ

حيثُ يكونُ الزَّهرُ الضائعُ في الطريقِ

أجراً من مدينته .

تَفْتَحُ الأَرْضُ بَيْتَهَا

تبدأ الأَرْضُ خطاها معي ،

— معي غَضَبُ الأَرْضِ ، هواها ، سطوحها الوحشية

والدَّمُ السَّيِّدُ ، الدَّمُ الأَمْرُ ، الطالِعُ من بُورَةِ

الرَّيْمَانِ القصِيَّةِ

تفتتح الأَرْضُ بيتها ،

— سرَّةُ الأَرْضِ سريرٌ

كلَّ التَّوَارِيخِ عَقْدًا يتنَلَّى حولي ...

وتاريخنا يَنْضَحُ :

... فينا الجَمْرُ ، الضحايا

وفينا

شهوةُ الملح ، شهوةُ الكوكبِ الجامحِ فينا ،

وصحوةُ الجنسِ في اللَّيْلِ ، وقربانهُ

وتسبيحةُ المرأةِ انهارتْ على صدرِ فاتحِ يُغلقُ التَّارِيخَ ،

فينا الدَّمُ الغيورُ الغرابيُّ الغريبُ المقدَّسُ المسفوكُ

والرَّقِيقُ : المليكُ والمملوكُ

... — كلُّ شَيْءٍ كما كان والثَّائِرُونَ

أصدقاءُ الرِّيحِ

يجرحون النَّهارَ يسكرون بين الجراحِ ...

غير أن أسير ، أسمي ، أَرَدَ إلى كلماتي

سِحْرَ تَكْوِينِهَا ، أَسْمِي
بِالْجَذُورِ وَإِقَاعِهَا ، أَسْمِي
شَجَرَ الْخَلْجَةِ النَّبِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْقُصُوفِ
حَيْثُ لَا يَعْرِفُ الدِّخَانُ
أَنْ بَيْنَ الْحَقُولِ
وَبِنَابِيْعِي الْخَفِيَّةِ
سَقَطَتْ جِنَّةُ الْمَكَانِ .

... وَأَسْمِي ، وَطَفَّحَتْ أَنْهَارِي الْبَشْرِيَّةِ
غَضَبًا يَنْسُجُ الْخَيْوُطَ
بَيْنَ صَوْتِي وَأَمْوَاجِهِ ، وَالشَّطُوطِ
قَوْسُ نَارٍ - حَضَنْتُ الْحَرِيقَ
وَقَشَرْتُ الْمَكَانَ ، جَعَلْتُ الْمَكَانَ
زَهْرًا يَقْرَأُ الطَّرِيقَ
وَالنَّحْطِي تَرْجَمَانِ .

وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَمْشِي وَتَنْسُجُ أَقْدَامُهَا الشَّبَاكُ
لَطِيُورِ الْكَآبَةِ
وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَلْهُو ، تَعْدُّ التَّرَابَ
حَبَّةَ حَبَّةً ، وَالْعَذَابَ
نَائِمًا فِي السَّوَادِ عَلَى ضَفْقَةِ الْغَرَابَةِ .

كانت الريحُ عينين مسنونتينُ
تخرقان الظلامَ وعاداته ، تجرحانُ
جسدَ الليلِ ، تشربانُ
دمه الأسودَ ، المصقى
حينما تصعد المقابرُ أو يسقطُ الملاكُ
كانت الريحُ جنيةً والأغاني
وجهها واليدينُ ...

... وناذِرُ الأسودِ
كان الصّدى ، وكان
يجلس بين القمَرِ الجائعِ والبستانِ
يكشفُ الظلَّ ، يغطّي جوعه وكانُ
كالدهرِ ،
فلاحاً من الفراتِ
يخيطُ جرحَ الماءِ
يمشي وتمشي خلفه السماءُ .

حيث تجيء الشمس بعد النّومِ
إليّ ، كلُّ يومٍ
حيث يصير الماءُ
من لهفةِ نافورةِ الحريقِ
حيثُ يكونُ الزّهرُ الضائعُ في الطّريقِ

أجراً من مدينته .

4

– من أين أتيتُ؟

– من أرض الموتى ، من أجران الدَّمع أتيتُ

لم أسكن بيت ...

وحينما نزلتُ في مقبره

والشَّمسُ تلتفُّ على كاحلي

كالعشبة المسكره

حملتُ للجوع قرابينه

كان دمي أضحيةً هاجرت

إلى غدٍ آخرٍ

كانت يدي مجمره ...

ولم أجد في أول المقبره

ولم أجد في آخر المقبره

غيرَ الأطفالِ

كانوا وعد الأرض الحبلى

كانوا المدَّ العالِيَّ والأمواجَ الحُبلى والشَّلالُ ...

– من أين أتيتُ؟

– كنتُ أغامر في الغابات

أركض خلف الجنيات

أحلم أن الجنينات

خبزٌ ...

... ومرّ عصفورٌ بلا هوية

من فُلواتِ الطيرِ

والتمّت الأرضُ كمزهرية

للليل ، للبقية

من زهرِ الصبيرِ .

– من أين أتيت؟

– كنتُ حطّاباً عبدتُ الشجرة

وغرزتُ الفأس في أهدابها ...

– كيف أتيت؟

– جئتُ في قافلةِ الرعبِ وراياتِ الجنونِ

في بقايا فاسي المنكسرة

مرهقاً يحمل تاريخ الغصونِ ...

5

مهباز

يهبطُ في محيطِ قاسيون

في بردى ، في فجوةِ السقيفة

في العوطةِ المفكوكة الأرزاز

في الليلِ – محمولاً على قطيفه :

— شقائقُ النعمانُ

والحجر الماسي والقنب والرمان

حشدٌ من الفرسانِ في إيوان قاسيون .

حيث تصيرُ النَّازِ

بحيرةً ، ويُؤلِّدُ العصفورُ

في ورقِ اللّوتسِ ، حيثُ الماءُ

سفينةٌ تنقلُ للأبناء من مقابرِ الآباءِ

مجامرُ البخورِ :

... — تحت وجه الفسيفساءِ ترُبُّعنا ...

وغلغلتُ في ضبابِ الأريكةِ

في دُوارٍ ، في حضنِ غيبوبةٍ خَضْرَاءِ

في طعمِ جَنَّةٍ

وسمعتُ البحرَ يبيكي أمواجهَ المنهوكَةَ ...

ساطعُ

لهبِي التَّحوُّلِ هذا الرِّزْقاقُ — الحجارةُ مرايا :

حجرٌ سيِّدُ المدينةِ

حجرٌ فارسُ المدينةِ

قاطعٌ يتقدَّمُ يجتاحُ يدخلُ في مقتلِ المدينةِ ...

عجلاتُ النَّهارِ ارتختُ ، والمدينةُ

أسلمت وجهها المدينة
 حيث تقصُّ الشمسُ بعدَ النُّومِ
 عليّ، كلَّ يومٍ :

... - ونادرُ الأسودُ
 كالدهرِ، فلاحُ من الفراتِ
 يخيطُ جرحَ الماءِ
 يمشي وتمشي خلفه السَّماءُ ...

مهباز

جِسْرٌ إلى الهُبوطِ حتَّى السَّحرِ والشِّقاءِ
 في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السَّماءِ -
 ... - جسدي هنا، جسدي هنالك ساجِرٌ
 صوتُ يثنُّ بلا صدَى
 يرتادُ يفتتحُ المدَى
 هو والمدى ...

فصلته جارحةُ البروقِ عن الدِّمِّ اللُّزجِ الهزيلِ
 جسدي قِبابُ الأرزِ، والنَّهْرُ المسافرُ، والنَّخيلُ ...

كلُّ شيءٍ كما كان، والثائرون
 أصدقاءُ الرِّياحِ

فقراء الزوايا وأطفالها والنساء البقايا
يجرحون النهارَ يسرون بين الجراح
كلّ شيءٍ كما كان : كفاي مثقوبتانُ
والصدى يشربُ التّزيفُ
كلّ شيءٍ كما كانَ : عيناى معصوبتانُ
والطريقُ الرّغيفُ ،

... سقطت حربة ، فلملمتُ أيامي
وأسلمتها إلى كلماتي
في جذورِ التّفثحاتِ
ودفءِ الموتِ ، في موتي الصّديقيّ المؤاتي
في الغدِ النّافرِ المهاجرِ ،
في البرقِ الصّديقيّ ، البرقِ البعيدِ الآتي
لستُ إلا إيقاعها : لستُ إلا
نَسْماً طائفاً
يفتّت روح الماء بين الأنقاضِ والأشتاتِ ...

مهيارُ
وجهكُ برجُ اللّيلِ في سفينةِ البخّورِ
والحلْمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامُ في التنوّزِ
والكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

– لم يعد حولي مكانٌ غير ظلي
لم يعد حولي طريقٌ غير ظلي ...

والذي غنّى وغنّى :

– كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كانُ
شجرٌ مات ،

الكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

– أنتَ يا وجهَ المكانِ
نصفك الأول مات
نصفك الآخر لم يُولَدْ ...

وغنّى :

– كان لي ظلٌ منحتُ الظلَّ . كانُ
شجرٌ مات ...

الكناريُّ الذي غنّى وصلّى للحياة
طار من شوقٍ إلى الموتِ ومات ...
مهبّاز

وجهكُ برجُ الضوءِ في سفينةِ الظلامِ
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامِ

جسدٌ هنا جسدٌ هنالك ساحرٌ

يرتادُ يفتتحُ المدى

هو والمدى . . .

حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النومِ

عليّ ، كلُّ يومٍ :

. وسمعتُ أساطيرهم ، وخبزنا ، أكلنا

وقفنا أمامَ المرايا

ورأيتُ الوجوهَ الطريئةَ

وتجاعيدها ، ورأيتُ الجنونَ

وهو يستنفرُ العصورَ يسوقُ العصورَ

نحوها . ورأيتُ الرماحَ

تنحني فوقنا كالغصون ، رأيتُ الغصونَ

في تقاطيعنا . . .

رأيتُ المراكبَ في فجوةِ الخليجِ

تحملُ النارَ والرياحَ

وغسلتُ المرايا وحررتُ إعصارها ، مزجتُ المرايا

والطريقَ وتاريخها ، وجعلتُ المزيجَ

كيمياءَ العصورِ الجديده . . .

ويجيءُ الصِّباحُ

من تخومِ خفيّةِ

لابساً حُمْرَةَ القُطَيْفِهِ
 لهبياً ودبعاً يطهرُ ، يزرع جَدَرَ الرِّياحِ
 في بلادِ الخُليْفِهِ
 وأقاليمِها الورْقِيَّةُ . . .
 حيث رأى مهبِازُ
 ونادرُ الأَسودُ
 كيف تجيءُ الشمسُ بعدَ النَّومِ
 إليَّ كلَّ يومِ
 حيثُ يصيرُ الماءُ
 من لهفَةِ نافورةِ الحريقِ
 حيثُ يَكُونُ الورقُ الضائعُ في الطَّرِيقِ
 أجراً من مدينَتِهِ .

6

سَقَطَتْ مناديلُ الفِضَاءِ بِشارةٍ تَلدُّ البِشارةَ :
 لم يبقَ إلاَّ عابِرٌ شربتُ ملامِحَهُ الجِسورُ
 هو مرَّةٌ ، نَجْمٌ يشفُ ، ومرَّةٌ ، نَجْمٌ يَغُورُ —
 لم يبقَ من تيهِ الطَّرِيقِ سوى الشَّرارةِ
 والماءُ نجارٌ يدورُ
 يُعطي ، يُشيرُ ، يمدُّ راحَتَهُ ، ويؤذِنُ بالعُبورِ .

(بيروت ، 1967)

هذا هو اسمي

ماحياً كل حكمة هذه ناري
لم تبقَ آيةٌ ، دمي آيةٌ
هذا بذني

دخلتُ إلى حوضك أرضٌ تدور حولي أعضاؤك
نيلٌ يجري طَفُونًا ترسبنا تقاطعت في دمي قطعت
صدرك أمواجي أنصهرت لِنَبْدًا : نسي الحب شفرة الليل ، هل
أصرخُ أن الطوفان يأتي؟ لِنَبْدًا : صرخة تعرج المدينة
والناسُ مرايا تمشي إذا عبر الملحُ التقينا هل أنتِ؟
- حبي جرح

جسدي وردة على الجرح لا يُقَطَّفُ إلا موتاً . دمي غصنٌ
أسلم أوراقه استقر...

هل الصخرُ جوابٌ؟ هل موتك السيدُ النائم يُغوي؟ عندي
لثديكِ حالاتٌ ولوع لوجهك الطفل وجهٌ مثله... أنتِ؟ لم
أجذكِ .

وهذا الهبي ماحياً
دخلتُ إلى حوضك عندي مدينةٌ تحت أحزاني

عندي ما يجعل الغُصنَ الأخضرَ ليلاً والشمسَ عاشقةً سوداءَ
عندي ...

تقدّموا فقراءَ الأرضَ غطّوا هذا الزّمانَ بأسمالٍ ودفع
غطّوه بالجسدِ الباحثِ عن دِفْئه ... المدينةُ أقواسُ جُنُونٍ
رأيتُ أن تلدّ الثورةُ أبناءَها ، قبرت ملايين الأغانى وجثتُ ،
هل أنتِ في قبري؟ هاتي ألمسْ يديكِ اتبعيني .
زَمَني لم يجمعْ ومقبرة العالمِ جاءتْ عندي لكل
السلّاطين رمادٌ هاتي يديكِ اتبعيني ...
قادِرٌ أن أُغَيَّرَ : لِمُ الحضارة - هذا هو اسمي
(لافتة)

... ووقفتُ خطوة الحياة على بابِ كتابِ محوته بسؤالاتي
ماذا أرى؟ أرى ورقاً قيل استراحت فيه الحضارات ، هل
تعرف ناراً تبكي؟ أرى المثة اثنتين أرى المسجدَ الكنيسةَ
سيّافين والأرضَ وردةً .
طار في وجهي نَسْرٌ قدّستُ رائحة الفوضى
ليأتِ الوقتُ الحزين لتستيقظ شعوب اللهب والرّفص
صحرائي تنمو أحببتُ صفاقةً تحنّارُ بُرجاً يتيهُ مِثْذنةُ
تهرمُ أحببتُ شاعراً صَفَّ لبناناً عليه أمعاءٌ في رسومٍ ومرايا
وفي تماثمٍ
قلتُ الآن أعطي نفسي لهاوية الجنس وأعطي للنار فاتحةً

العالم قلتُ استَقَرُّ كالرمح يا نيرون في جبهة الخليفةِ روما كلُّ
بيتِ روما التخيُّلُ والواقع روما مدينةُ الله والتاريخ قلتُ استقرُّ
كالرمح يا نيرون ...

لم أكل العشيَّة غير الرَّمْلِ ، جوعي يدورُ كالأرضِ أحجارُ
قصورٍ هياكلُ أتَهجَّأها كخبزٍ رأيت في دمي الثالثِ عيني
مُسافرٍ مزج الناسَ بأمواج حلمه الأبدِي
حاملًا شعلةَ المسافات في عقلِ نبيٍّ وفي دمٍ وخبثي .

... وعليَّ رَمَوْهُ في الجبِّ عَطُوهُ بقشٍّ والشمس تحمل
قتلاها وتمضي هل يعرف الضوءُ في أرضِ عليٍّ
طريقه؟ هل يُلاقينا؟ سمعنا دماً رأينا أينا .

سنقول الحقيقة : هذي بلادٌ

رفعت فخذها

رايةً ...

سنقول الحقيقة : ليست بلاداً

هي إصطبلنا القمريِّ

هي عكازة السلاطين سجادةُ النبيِّ

سنقول البساطة : في الكون شيءٌ يسمَّى الحضور وشيءٌ

يُسمَّى

الغيابُ نقول الحقيقة :

نحن الغيابُ
لم تلدنا سماءٌ لم يلدنا ترابُ
إننا زبَدٌ يتخبَّرُ من نَهْرِ الكلماتِ
صدأٌ في السماءِ وأفلاكِها
صدأٌ في الحياةِ!

(منشور سري)

ووطننا فيأ لاجئاً

وليكن وجهي فيئاً
دهرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول
للنار
تجبلُ النار أيامي ناراً أنثى دمٌ تحت نهديها صليلٌ
والإبطُ أبارُ دمع نهرٌ تائهٌ وتلتصق الشمس عليها كالثوبِ
تزلقُ جرحٌ فرعته وشعشعته بباهٍ وبهارٍ، هذا جنينك؟
أحزاني وُردٌ .
دخلتُ مدرسة العشب جيني مُشققٌ ودمي يخلع سلطانه :
تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟ تناثرتُ في
رواقٍ من النار اقتسمنا دم الملوك وجعنا
نحمل الأزمه

مازجين الحصى بالنجوم
سائقين الغيوم
كقطيع من الأحصنه .

قادرَاتُ أغْيُو: لغمُ الحضارة - هذا هو اسمي

الأمّة استراحتْ
في غسل الرباب والمحراب
حصنُها الخالقُ مثلَ خندقٍ
وسدّه .
لا أحدٌ يعرفُ أين الباب
لا أحدٌ يسألُ أين الباب .

(منشور سري) .

... وعليّ رموه في الجبّ كان الجمر ثوباً له اشتعلنا
تمسكنا بأشلائه اشتعلتُ مساءً الخبير يا وردة الرماد
عليّ وطنٌ ليس لاسمه لغةٌ ينزف نفيّاً ويُثبّت العشب والماء
عليّ مهاجرٌ
أين يغفو سيد الحزن كيف يحمل عينيه؟ سمائي منخوقةٌ
كتفي تهبط والأرض خوذةٌ ملئتُ رملاً وقشاً هلعتُ أركض
غطنتني سنونوةٌ نهضتُ لهيبٌ ناهداها نهضتُ أفتحُ شباكاً :

حقولٌ خضراً أنا الفاتح الآخر والأرض لعبة فرسٌ تدخل في

الغيم

يخرج الشجرُ العاشقُ غصنٌ يهزني أنبجس الماء انتهى

زمن الناس القديمُ ابتدأتُ وجهي مداراتٌ وفي الضوء ثورةٌ .

أيقظتني قريةً في مهيةٍ أنكسر الصمتُ

احتضني يا خالقَ التعبِ المنحني أراجيحكَ امتحني أنا

الصخرة والبحث والسؤالُ ولا عيدٌ ولا موقدٌ أنا الشبحُ الراصدُ

في فجوة المدينة والناس نيامٌ دخلتُ في شركِ الضوء

نقياً كالعنف أسطع كالتيه خفيفاً أطرافِي البرق أطرافي رياحُ

منحوتةٌ ليس عظمي طعمَ تاجٍ أو فضةٌ لستُ ملكاً ودمي هجرةٌ

السماء وعينا يطيورٌ يُقال جلدك شوكٌ لثمتُ ولتكن

سمائي من جلدك صفراء قيل جلدك دهرٌ راسبٌ في قرارة

الحلم

ولتولد حرابُ الوقعة الأبدية

بيننا حفرة انهدامٍ وصوتي

هذيانُ المغيرِ يكسر عكاز الأغانِي ويقلع الأبدية

... والنساءُ ارتحنَ في مقصورةٍ

يستجرن الكتبَ المستنزلة

ويحولن السماء

دميةً

أو مقصلة
 وعليّ فاتح أحزانه
 لبهاليل الشقاء
 للذين استنسروا وانكسروا ...
 وعليّ لهب
 ساحرٌ مشتعلٌ في كلّ ماء
 عاصفاً يجتاحُ - لم يترك تراباً أو كتاباً
 كنس التاريخ غطى
 بجناحيه النهار
 سرّه أنّ النهار
 جنّ
 هذا زمن الموت ، ولكن
 كلّ موتٍ فيه موتٌ عربيّ
 تسقط الأيام في ساحاته
 كجدوع الأرزة المكتهلة
 إنه آخرٌ ما غنيّ به
 طائرٌ في غابةٍ مشتعله .

وطني راكضٌ ورائي كنهرٍ من دم
 قاعٌ طحليبيّ لملمت تاجاً تقمّصتُ سراجاً هامت
 دمشق حنت بغدادُ سيفُ التاريخ يُكسرُ في وجهه بلادي
 جبهة الحضارة

مَنْ الحَرِيقُ مِنَ الطُوفَانِ؟

كنتِ الصحراء حين أسرتُ الثلج فيك انشطرتُ مثلك رملًا
 وضباباً صرختُ أنتِ إلهَ لأرى وجهه لأمحو ما يجمع بيني
 وبينه قلتُ جاسدتكِ أنتِ الشوقُ المليء بأمواجي أنا الليلُ
 حافياً حين أدخلتكِ في سررتي تناسلت في خطوي طريقاً
 دخلت في مائي الطفل استضيئي تأصلي في متاهي
 خدرٍ شمّر يعرّش حول الرأس حلمٌ تحت الوسادة أيامي
 نقبٌ في جيبِي اهترأ العالمُ حواء حاملٌ في سراويلي
 أمشي على جليدٍ

ملذّاتي أمشي بين المحير والمعجز أمشي في وردة

زهرات اليأس تذوي والحزن يصدأ جيشٌ من وجوهٍ
 مسحوقه يعبر التاريخ جيشٌ كالخيط أسلم واستسلم ، جيشٌ
 كالظل أركض في صوت الضحايا وحدي على شفة
 الموت كقبر يسيرٌ في كرة الضوء -

انصهرنا دمّ الأحباء كالأهداب يحمي سمعتُ نبضك في
 جلدي ، هل أنت غابئة؟ سقط الحاجز ، هل كنتِ حاجزاً؟
 سأل النورس خيطاً في البحر يغزله الرُبانُ غنى ثلج المسافر
 شمساً لا يراها ، هل أنت شمسي؟ شمسي ريشة تشرب
 المدى سمع الضائع صوتاً ، هل أنت صوتي؟ صوتي زمني
 نبضك الشهي ونهداك سوادي وكل ليل بياضي
 زحفت غيمة فأسلمت للطوفان وجهي وتهت في أنقاضي ...

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلت الرَّمْلَ في أهدابها
شجراً يُمطر والصحراء غيمَةً
قلتُ : هذي الجرّة المنكسره
أمة مهزومة ، هذا الفضاء
رَمَدٌ ، هذي العيونُ
حُفْرٌ ، قلت الجنون
كوكبٌ مختبئٌ في شجره .
سأرى وجه الغراب
في تقاطيع بلادِي ، وأسمي
كَفَنًا هذا الكتابُ
وأسمي جيفةً هذي المدينة
وأسمي شجرَ الشام عصافير حزينه
ربما تولدُ بعد التَّسمية
زهرة أو أغنية ،
وأسمي قمرَ الصحراء نخلة
ربما استيقظت الأرض وعادت
طفلةً أو حلم طفلة
لم يعد شيءٌ يغني أغنياتِي :
سيجيء الرافضونُ
ويجيء الضوء في ميعاده . . .

لم يعد غيرُ الجنون
هل لتاريخيَ في ليلكَ طفلُ
يا رمادَ المدفأه
غضبُ الثورة جمرَ عاشقُ
وأغانيَ امرأةُ :
هل لتاريخيَ في ليلكَ طفلُ؟

الغبارُ التراثيُّ في العظم الجأ؟ هل يُلجئُ الغبارُ؟
لا مكانٌ ولا ينفع الموتُ . . . هذا دُوازُ
من يرى جثةَ العصور على وجهه ويكبو لا حراكُ
يحسُّ الكهولةُ
حلمةً للطفولةُ .

قادرُ أنا أغنيو: لغمُ الحضارة - هذا هو اسمي

عُدُّ إلى كهفكَ التواريخُ أسرابُ جرادٍ ، هذا التاريخُ
يسكن في حوضن بغيٍ يجترُّ يشهق في جوف أتانٍ ويشتهي عَفَنَ
الأرض ويمشي في دودةٍ عُدُّ إلى كهفكَ واخفض عينيكَ

المح كَلِمَة

كلنا حولها سرابٌ وطينٌ لا امرؤ القيس هزها والمعري
 طفلها وانحنى تحتها الجنيدٌ انحنى الحلاج والنفري
 روى المتنبى أنها الصبوت والصدى أنت مملوكٌ
 هي المالكُ الملاكُ غدُ الأمة فيها كبذرةٍ
 عدُ إلى كهفك
 ماذا؟ نفوه أو قتلوه؟

قتلوه... لا لن أحدث عن موتي صديقي: ريفٌ من الزهر
 الأصفر حولي لكن سأكتب عن آخر غصنٍ في أرزةٍ
 البيت عن رفٍ يمامٍ يجز سجادة الليل عن الحلم عالياً
 كبروج

قتلوه لا لن أفوه بأسماء شهودٍ أو قاتلين ولن أبكي
 سأبكي لأمةٍ وُلدت خرساءً للتم حاضناً زرقه الشيطان يبكي:
 لِمَ البكاء على طفلٍ على شاعرٍ؟ سأكتب عن آخر فيءٍ
 لأرزة البيت عن رفٍ حمامٍ يجز سجادة الليل عن الحلم عالياً
 كجبال .

وضع السيد الخليفة قانوناً من الماء شعبه المرق الطين
 سيوفٌ مصهورةٌ وضع السيد تاجاً مرصعاً بعيون الناس
 هل هذه المدينة أي؟ هل ثياب النساء من ورق المصحف
 أدخلت محجري
 في مضيقٍ حفرت الساعاتُ ساءلتُ هل شعبي نهرٌ بلا مصبٍ؟
 أغني

لُغَةَ النَّصْلِ أَصْرَخُ أَنْثَقِبَ الدَّهْرَ وَطَاحَتْ جَدْرَانُهُ
 بَيْنَ أَحْشَائِي تَقِيَّاتُ لَمْ يَعْذِلِي تَارِيخٌ وَلَا حَاضِرٌ
 أَنَا الْأَرْقُ الشَّمْسِيُّ وَالْفُوهَةُ الْخَطِيئَةُ وَالْفِعْلُ أَنْتَظِرُنِي
 يَا رَاكِبَ الْغَيْمِ أَشْيَائِي تَغْوَى وَالشَّمْسُ تَخْبِطُ أَطْرَافِي أَنَا
 السَّاكِنُ الْمَدَى وَالْمَزَامِيرُ أَنَا الْغَصْنُ لَا جِنًّا : أَصْغِ هَل تَسْمَعُ هَذَا
 النَّوَاحِ فِي كَبَدِ الْعَالَمِ؟ أَصْغِي لِلْمَوْتِ بَيْنَ
 تَجَاعِيدي هَذِينَا

هَذِيْتُ كِي أَحْسَنَ الْمَوْتِ اصْطَفَيْتُ النَّهْدِينَ بَيْنَ تَقَالِيدِي
 هَلْ جَلْدُكَ السَّقُوطِ هَلْ الْفَخْذَانِ جَرِيحٌ مَلَائَةُ التَّامِ
 الْعَالَمِ هَلْ أَنْتِ مَقْلَعُ اللَّيْلِ فِي جَلْدِي؟ فَأَسِي مَسْنُونَةٌ
 صَرْتُ نَبْعًا آخِرًا ضِبُّتِي تَفِيضُ ذِرَاعَاكَ اغْتِرَافٌ قَوْسٌ حَمَلْتِكِ
 وَجْهِي صَخَبٌ طَائِرٌ تَقَاسَمُهُ الصَّوْتِ اسْأَلِينِي أَجِبْ . . .
 تَكَلَّمْ جَفْرُ رَصَدْتَنِي خِيُولُهُ انْطَفَأَ الْهَمْسُ ، أَعْنَدِي أَعْنَدُكَ الْآنَ
 مَا يُهْمَسُ؟ نَارٌ مَلْجُومَةٌ سَفُنٌ تَجْنَحُ بِحَرِّ مَرُوضٍ
 فَتَحَ النُّورِ عَيْنِيهِ أَغْلِقِي نَسِي الْفَتْحَةَ فِي
 رِيْشِ الْمَشْعَثِ مَاءٌ وَشِرَارٌ لَوْ كَانَ لَوْ عَرَفَ الرَّعْدُ لَوْ
 الرَّعْدُ فِي يَدِي

هُدُوءٌ هَذِهِ قُبَّةٌ وَسُكْنَائِي فِي قُوَّةِ نَهْدٍ أَظَلَّ أَحْفَرُ لَوْ
 غَيَّرْتُ لَوْ غَيَّرَ الْغَبَارُ عَذَارَاهُ لَوْ النَّارُ هَمَزَةٌ . . .
 ذُبْتُ فِي جَنْسِي جَنْسِي بِلَا حُدُودٍ وَلَا سَيْفٍ تَلَاشِي لَأَشِي
 تَلَاشِيْتُ وَجْهٌ وَاحِدٌ نَحْنُ لَا قَمِيصِي تَفَاحٌ وَلَا أَنْتِ جِنَّةٌ نَحْنُ

حقلٌ وحصادٌ والشمس تحرسُ أنضجتكِ جيبي من ذلك
الطرف الأخر هذا قطافنا جسداً زارعٌ حاصدٌ
وحيدةٌ أعضائيَ جيبي من ذلك الطرفِ استحضرتُ
موتي وسلسليني ملكنا جَمرةَ الوقتِ والحنينِ ملكنا رَغدَ الكونِ
وهو يلتحف الناسِ اهتدينا . . .

قرأتُ في ورقٍ أصفرٍ أتى أموتُ نفياً تنورتُ الصُّحارى
شعبي يشطُّ . . . نبشنا كلماتٍ دفينَةً طعمها طعمُ
العذارى دمشق تدخل في ثوبي خوفاً حباً تخالط
أحشائيَ تلغو . . .

لفظتِ جلدكِ خلِّي شفقتكِ اصبريهما بين أسناني أنا الليل
والنهارُ أنا الوقتُ انصهرنا تأصلي في متاهي . . .

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلتُ الرَّمْلَ في أهدابها
شجراً يُمطرُ والصحراءُ غيمَةً
ورأيتُ الله كالشَّحاذِ في أرضِ عليٍّ
وأكلتُ الشمسَ في أرضِ عليٍّ
وخيزتُ المثدنةُ
ورأيتُ البحرَ يأتي في ضبابِ المدخنه
هائجاً يهمسُ :
مَنْ كُوننا

لم يكن تكوينه إلا سقيفة

رجها الإعصار فانهارت وصارت

خشباً يُحرقُ في دار خليفه .

نادرٌ أن ينطقَ البحرُ ولكن

نطقَ البحرُ : يبسنا

يبس التاريخ من تكراره

في طواحين الهواء

سقطَ الخالق في تابوته

سقطَ المخلوقُ في تابوته . .

والنساء ارتحن في مقصورة

ينتشلن الليلَ من أبارِه

ويُخيطنن السماء

ويغنين : علي لهب

ساحرٌ مشتعلٌ في كل ماء

ويسائلن السماء :

نجمةٌ أو مومياء

هذه الأرض؟

ويفتقن السماء

ويرقعن السماء

قَبْر الدجالُ في عينيه شعباً

نَبش الدجال من عينيه شعباً

وسمعهنا يصلي فوقه
 ورأيناه يحييه ويجثو
 ورأينا
 كيف صار الشعب في كفيه ماء
 ورأينا
 كيف صار الماء طاحوناً هواءً .

جزرٌ للهب تبعدُ فيها آسيا يصعدُ الغدُ انطفاة
 شمسٌ حلمنا بغير ما هجسَ الليل نهارى يقاسُ
 بالهبِ استصرختُ صوتُ الشعوب يفتحُ الكونُ
 ويُغوي

لستُ الرماة ولا الريحُ

سريري أشهى وأبعدُ أقفاصُ دروبٍ مهجورة
 فرسُ الماضي رماةً وصبغةُ الله لونٌ آخرُ
 لا يدُّ علي
 عليُّ أبدأ النار والطفولة هل تسمع برق العصور
 تسمع آهاتٍ خطاها؟ هل الطريقُ كتابٌ أو يدٌ؟ إصبغ
 الغبار كدرويشٍ يغني ملكَ الأساطير هاتوا وطناً قربوا

المدائن هزوا شجر الحلم غيروا شجر النوم كلام السماء
 للأرض
 طفل تائه تحت سريرة امرأة سوداء بحثاً
 طفل يشبُّ
 وللأرض إله أعمى يموت ...

سلام

لوجوه تسير في وحدة الصحراء للشرق يلبس العشب
 والنار سلام للأرض يغسلها البحر سلام لحبها ...
 غريك الصاعق أعطى أمطاره يتعاطاني رعد في نهدي
 اختمر الوقت تقدم هذا دمي ألق الشرق اغترفني وغب
 اضيعني لفخذيك الدوي البرق اغترفني تبطن جسدي
 ناري التوجه والكوكب جرحي هداية أتهجى ...
 أتهجى نجمة أرسمها
 هارياً من وطني في وطني
 أتهجى نجمة يرسمها
 في خطى أيامه المنهزمه
 يا رماد الكلمه
 هل لتاريخي في ليلك طفل؟

لم يَعُدْ غَيْرُ الْجَنُونِ

إنني ألمحهُ الآنَ على شَبَاكِ بيتي
ساهرًا بينَ الحجارِ الساهره
مثل طفلٍ علَّمته الساحره
أنَّ في البحرِ امرأةً
حملتُ تاريخه في خاتمٍ
وستأتي
حينما تنخدع نازُ المدفأه
ويدوب الليل من أحزانه
في رماد المدفأه ...

... ورأيت التاريخ في رايةٍ سوداءٍ يمشي كغابةٍ لم
أُورِخْ
عائشٌ في الحنين في النار في الثورة في سحر سُمَّها
الخلاقي
وطني هذه الشرارة ، هذا البرق في ظلمة الزمان الباقي ...

(أوائل كانون الثاني ، 1969)

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف

وجه يافا طفلاً هل الشجرُ الذابل يزهو؟ هل تدخل
الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرحّ الشرق؟
جاء العصف الجميل ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ ...

(كان رأسٌ يهذي يهرجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ) ،
هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ كان طفلاً وكان أبيض
أو أسودَ ، يافا أشجاره وأغانيه ويافا ...
تكذّسوا ، مزّقوا وجهَ عليٍّ

دمُ الذبيحة في الأقداحِ ، قولوا : جبّانةُ ،
لا تقولوا : كان شعري ورداً وصار دماءً ،

ليس بين الدماء
والورد إلا خيط شمس ، قولوا : رمادي بيتُ
وابنُ عبّادٍ يشحذ السيفَ بين الرأسِ والرأسِ
وابنُ جهورٍ ميتٌ .

لم يكن في البداية

غير جذرٍ من الدمع أعني بلادي
 والمدى خيطي - انقطعتُ وفي الخُضرةِ العربيّةِ
 غرقتُ شمسي الحَضارةِ نَقالةً ، والمدينةِ

وردةٌ وثنيةٌ
 خيمةٌ

هكذا تبدأ الحكاية أو تنتهي الحكاية .
 والمدى خيطي - اتصلتُ أنا الفوهة الكوكبية
 وكتبتُ المدينه
 (حينما كانت المدينة مقطورةً والنواخِ
 سورُها البابليُّ) ، كتبتُ المدينه

مثلما تنضحُ الأبديةِ
 لا لِكَيِ الأَمِّ الجِراخِ
 لا لِكَيِ أبعثُ المومياءُ
 بل لِكَيِ أبعثُ الفروقَ ... الدِّماءُ
 تجمَعُ الوَرْدَ والغرابَ لِكَيِ أقطَعُ الجسورَ
 ولكي أغسل الوجوه الحزينه
 بنزيف العصور .
 وكتبتُ المدينه

مثلما يذهب النبي إلى الموت أعني بلادي

وبلادي الصبدي

والصّدى والصّدى ...

كشفتُ رأسها الباءُ ، والجيمُ خصلةُ شعرٍ ، إنقرضُ إنقرضُ
 ألفُ أولُ الحروفِ أنقرضُ إنقرضُ
 أسمعُ الهاءَ تنسجُ ، والراءُ مثلُ الهلالِ
 غارقاً ذائباً في الرمالِ
 إنقرضُ إنقرضُ
 يا دماً يتخترُ يجري صحارى كلامِ
 يا دماً ينسجُ الفجيعةُ أو ينسجُ الظلامِ
 إنقرضُ إنقرضُ
 سحرُ تاريخك أنتهى ،
 واغذري واغفري
 يا قرونَ الغزالاتِ ، يا أعينَ المها ...

أحارُ ، كلُّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي
 في صورةٍ ،

أحملكِ الآنَ على جبیني ، بين دمي وموتي : أنتِ مقبرةُ
 أم وردةٍ؟

أراكِ أطفالاً يُجرِّرونُ
 أحشاءهم ، يُصغونُ يسجدونُ
 للقيد ، يلبسونُ
 لكلِّ سوطٍ جلدهُ ... أمقبرةُ

أم وردة؟

قتلتني قتلت أغنياتي

أنت مجزرة

أم ثورة؟

أحار، كل لحظة أراك يا بلادي في صورة...

وعلي يسأل الضوء، ويمضي

حاملاً تاريخه المقتول من كوخ لكوخ:

«علموني أن لي بيتاً كَبَيْتِي في أريحا

أن لي في القاهرة

إخوة، أن حدود الناصره

مكة.

كيف استحال العلم قيداً

والمدى ناز حصار، أو ضحية؟

ألهذا يرفض التاريخ وجهي؟

ألهذا لا أرى في الأفق شمساً عربيته؟»

أه لو تعرف المهزلة

(سمها خطبة الخليفة أو سمها المهرجان)

ولها قائدان

واحد يشهد المقصلة

واحدٌ يتمرّعُ . . . لو تعرف المهزلة
كيف ، أين أنسللت
بين عُتقِ الذبيح ومقصلة الذابحين؟
كيف ماذا ، قُلت؟
كُنتَ كالأخرين ، انتهيتَ
ولم تنته المهزلة
كنتَ كالأخرين – أرفض الآخرين
بدأوا من هناك ابتدئ من هنا
حول طفل يموت
حول بيت تهدم فاستعمرته البيوت
وابتدئ من هنا
من أنين الشوارع من ريحها الخانقة
من بلاد يصير اسمها مقبره
وابتدئ من هنا
مثلما تبدأ الفجعة أو تولد الصاعقه
مُت؟ ها صبرت كالرعد في رجم الصاعقه
بارثاً مثلما تبارأ الصاعقه
أنظر الآن كيف أنصهرت وكيف انبعثت ، انتهيت ولم تنته
الصاعقه .

أعرف ، كان ملكك الوحيد ظل خيمة ، وكان فيها حرق ،

ومرّة يكون ماءً ، مرّةً رغيفاً ، وكان أطفالك يكبرون
في بركة ،

لم تَبْأَسِ انْتَفَضَتْ صَبْرَتَ الحِلْمِ والعيونُ
تَظْهَرُ في كَوْخِ عِلى الأَزْدِ أو في غَزَّةِ والقَدْسِ
تَقْتَحِمُ الشارِعَ وهو ما تَمَّ تتركه كالعَرَسِ
وصوتك الغامرُ مثلُ بحرٍ
ودمكُ النافرُ مثلُ جبلٍ
وحيثما تحملك الأرضُ إلى سريرها
تتركُ للعاشقِ للأحقي جدولين
من دمك المسفوح مرتين .

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل
الأرضُ في صورةِ عذراءَ مَنْ هناك يرحُ الشروق
جاء العصفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ . . .

سقطُ الماضي ولم يسقطُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)
دالٌ قامةٌ يكسرُها الحزنُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)
قافٌ قابٌ قوسين وأذني
أطلبُ الماءَ ويعطيني رملاً
أطلبُ الشمسَ ويعطيني كهفاً

سيِّد أنت؟ ستبقى

سيِّداً . عبداً؟ ستبقى

هكذا يؤثّر، يعطيني كهفاً وأنا أطلبُ شمساً ، فلماذا سقط

الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تنسلُّ أياماً كثييةً
هذه الأرضُ الرتيبة .

سيِّد أنت؟ ستبقى

سيِّداً عبداً؟ ستبقى

غيّر الصورة لكن سوف تبقى غيرَ الراية لكن سوف تبقى

... في خريطةٍ تمتدّ... إلخ ، حيث يدخلُ السيِّد المقيمُ

في الصفحة ١ ركباً حيواناً بحجم المشنقة ، يتحوّل إلى تمثالٍ

ملء الساحات العامة . و(كانت) الحاكمة تغسل عميرتها

وحولها نساءٌ يدخلن في الرّمح ويمضغن بخورِ القصر والرجال

يسجّلون دقائق قلوبهنّ على زمنٍ يتكوّم كالخرقة بين الأصابع

حيث

ك ترتجف تحت نواةٍ رفضيةٍ بعمق الضوء

ت تاريخٌ مسقوف بالجثث وبنخار الصلاة

أ عمود مشنقة مبلّلٌ بضوءٍ موحل

ب سكين تكشط الجلد الأدمي ، وتصنعه نعلًا لقدمين سماويتين

في خريطةٍ تمتدّ... إلخ .

شجرٌ يثمرُ التحولَ والهجرةَ في الضوءِ جالسٌ في فلسطين
وأغصانهُ نوافذٌ أصغينا لأبعادهِ قرأنا معه نجمةَ الأساطير
جندٌ وقضاةٌ يدحرجون عظاماً ورؤوساً ، وأمنونَ كما يرقد حلمٌ
يُهَجَّرُونَ ، يُجَزَّوْنَ إلى التيه . . .

كيف نبداً؟

(- يكفيني رغيّف ، كوخٌ وفي الشَّمس ما يمنحُ فيثاً ، لا
لستُ خودةٌ سيّافٍ ولا ترسَ سيّدٍ ، أنا نهرُ الأردنِ استَقْرُدُ
الزهورَ وأغويها دمٌ نازفٌ تبطنّتُ أرضي ودمي
ماؤها دمي وسبقي ذلك الساهرُ النحيلُ : غبارٌ يمزجُ العاشقَ
المشرّدَ بالريح ، ويبقى نسغٌ) .

يتمتم طفلٌ ، وجهٌ يافا
طفلٌ هنا سقط الثائرُ حيفا تنثُنُ في حجرٍ أسودَ
والنُخلةُ التي فيأت مريمَ تبكي همستُ في قدمي جوعٌ
وفي راحتي تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارنا (يقع الدمع
طريقاً) أجسُ خاصةِ الضوءِ يجثُّ الصحراءَ والكونَ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثارَ كوكبٍ ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي . . .
في زمنِ الرمادِ ، شخّصُ رميَ تاريخه ليجمرَ أيامنا ، وماتَ
(لن تعرفَ حرّيةً ما دامت الدولةُ موجودةً) .

تذكرُ؟ (والقاعدةُ

وسلطةُ العمال . . .) ما الفائدةُ

تتحدرُ الثورة بعد اسمه

في لفظةٍ ، تمتدّ في مائده

هل تقرأ المائده؟

كان فدائيٌ يخطُ اسمه ناراً وفي الحناجر الباردة
يموتُ

والقدسُ تخطُ اسمها :

لم تزل الدولة موجودةً

لم تزل الدولة موجودةً

غيرَ أنَّ النهرَ المذبوحَ يجري :

كلّ ماءٍ وجه يافا

كل جرح وجه يافا

والملايين التي تصرخُ : كلاً ، وجه يافا

والأحباء على الشرفة ، أو في القيد ، أو في القبر يافا

والدمُّ النازفُ من خاصرة العالم يافا

سمّني قيساً وسَمَّ الأرض ليلى

باسم يافا

باسم شعب يرفع الشمس تحيةً

سمّني قنبلةً أو بندقيّةً . . .

هذا أنا : لا ، لستُ من عصر الأفول

أنا ساعةُ الهتك العظيم أتت وخلخلتُ العقول

هذا أنا - عبرتُ سحابه

حبلى بزوبعة الجنون
 والتية يمرق تحت نافذتي ، يقول الآخرون :
 ماذا يقول الآخرون؟

(- يرعى قطع جفونه
 يصل الغرابة بالغرابة) .

هذا أنا أصلُ الغرابةُ بالغرابةُ
 أرختُ : فوق المثذنةُ
 قمرُ يسوس الأحصنةُ
 وبنام بين يديّ تميمه
 وذكرتُ : بقعتِ الهزيمه
 جسّدَ العصورُ
 وهراًن مثل الكاظميةُ
 ودمشق بيروت المعجوز
 صحراءُ تزدردُ الفصول ، دمّ تعقنَ - لم تعد نازُ الرموزُ
 تلد المدائن والفضاء ، ذكرتُ لم تكن البقيةُ
 إلا دماً هراً يموتُ يموتُ بقعتِ الهزيمةُ
 جسّدَ العصورُ .

... في خريطة تمتدّ إلخ ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيجٍ
 تعبرُ في مسامه رؤوسُ كالقطن المنفوش ، أيامٌ تحمل أفضاًداً
 مثقوبةً تدخل في تاريخٍ فارغٍ إلا من الأظافر ، مثلثاتُ

بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة ؛ كل شيء يدخل
إلى الأرض من سَمِّ الكلمة ، الحشرة الله الشاعر

بالْوَحْز والأرق وحرارة الصَّوت ، بالرَّصاص والضوء ،
بالقمر ونملة سليمان ، بحقولٍ تثمر لافئاتٍ كتب عليها «البحث
عن رغيف» أو «البحث عن عجيذة لكن استتروا» أو «هل
الحركة في الخطوة أم في الطريق؟» .
والطريقُ رملٌ يتقوَّس فوقه الهواء والخطوة زمنٌ أملس
كالحصاة . . .

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يسمونه
الوطن يجلس على حافة الزمن يكاد أن يسقط ، «كيف يمكن
إمساكه؟» سأل رجل مقيد وشبه ملجوم ،
لم يجثه الجواب لكن جاءه قيّدٌ آخر وأخذ حشدٌ كمشحوق
الرمل يفرز مسافةً بحجم لام ميم ألف أو بحجم ص ع ي هـ
ك ويسير فيها ينسج راياتٍ وُسُطاً وقباباً ويبنى جسراً يعبر عليه
من الآخرة إلى الأولى . . .

حيث عبرت ذبابةٌ وجلست على الكلمة ، لم يتحرك حرف ،
طارق وقد استطال جناحها عبر طفلٍ وسأل عن
الكلمة طلع في حنجرتة شوكةٌ وأخذ الخرس يدبّ إلى
لسانه . . .

في خريطةٍ تمتد . . . إلخ ، حيث

«العدو يطغى وهم يخسرون ، ويمدّ وهم يجزؤون ،
ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى علم ناكسٍ
وصوتٍ خافت ، وأنشغل كلّ ملكٍ بسدّ فتوقه ،
... وعندما يجذّ الجذّ ويطلب الأندلس عوّنة الملك
الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة ، وقد سقط في أيدي
الأسبان ، يكتفي بالأسف والتعزية ويقول بأنّ الحرب سجالٌ
وفي سلامتكم الكفاية ، ... ولم يزل العدو يواثبهم
ويكافحهم ويُغادِيهم القتال ويراوحهم حتّى أجهضهم عن
أماكنهم وجفّلهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق
واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ... » .
في خريطة تمتد ... إلخ ،

رفض التاريخ المعروف الذي يُطبخ فوق نار السلطان أن
يذكر شاعراً ... والبقية آتية ،
في خريطة تمتد ... إلخ .
يأتي وقتٌ بين الرماد والورد
ينطفئ فيه كلّ شيء
يبدأ فيه كلّ شيء .

... وأغثي فجيعتي ، لم أعد ألمح نفسي إلا على طرف

التاريخ في شفرةٍ سأبدأ ، لكن أين؟ من أين؟ كيف
 أوضح نفسي وبأي اللغات؟ هذي التي أضع منها تخونتي
 سأزكيها وأحيا على شفير زمانٍ مات ، أمشي على شفير زمانٍ لم
 يجيء

غير أنني لستٌ وحدي

... ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائيَ نهرُ العبيد
 يهدرُ ، يحتاجُ اكتشفنا ضوءاً يقود إلى الأرض ، اكتشفنا شمساً
 تجيء من القبضة ، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخ
 يموت ، نستشرفُ الآتي ، هيأماً ورغبةً .

لستٌ وحدي

... وجه يافا طفلٌ هل الشجر الذابل يزهو؟ هل
 تدخل الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجّ
 الشرق؟ جاء العصفُ الجميل ولم يأت الخراب الجميلُ
 صوتٌ شريداً ...

خرجوا من الكتب العتيقة حيث تهترئُ الأصول
 وأتوا كما تأتي الفصول

حَضِنَ الرُّمَادُ نَقِيضَهُ
مَشَتِ الحَقُولُ إِلَى الحَقُولِ :
لا ، ليس من عصر الأفول
هو ساعة الهتكِ العظيمِ أتتْ ، وخلخلتْ العقولُ .

(بيروت ، خريف 1970)

تصنيفة نمود

وانقشوا صخرة النهر، عرزاله
والبياض المنخباً في لوح أيامه - انقشوها
بالحنين، وبالشمس تخلع في ورده
ثوبها كي تفيق، وتلبس رمانة كي تنام.

حقيق البيت، نعناعه
شرفتان لكل يد تومتان
لم أكن بعدُ أعرف كيف يُضاء المكان
بالصدقة . نجمي
لم يكن دار في فلك الأصدقاء
لم يكن بعدُ يكتبو، وتسطح رجلاه في مهمه من جراح .
غير أن الصباح
كان يلقي دفاتره، كل يوم
في فراشي، بين يدي، ويُعلمي رسائله للفضاء، -
تنتشي تلة،
يزدهي ساحل
ألينابيع تقرأ للعشب أسفارها
والعصون تسوس الهواء .
- ما له تورك الجافل؟
وجهه ناحل، لونه حائل،
هل تنتشق خمارة؟

I

... رجّع القول إلى أحوال ثمود /

II

خرجت من أصداف الماء وجاءت

في ليلٍ

بردى زوج ، والأشجارُ ثياب /

لم أعرفها .

ألوردُ يدلّ عليها

والفجر الصّاعدُ في درجات الشمس يدلّ عليها

وشفافية الحزنِ المرسوم على قسّمات الناس ، تدلّ عليها /

لم أعرفها .

وأنا الطالعُ من أغوار لا أذكرها ، أذكر : في خطواتي

كرز وحشي ، في خطواتي

كوكب جَمْر /

والكرزُ الوحشيُّ يدلّ عليها
والجمرُ يدلّ عليها /
لم أعرفها .

ما أعمقَ جهليّ - لم أعرفُ
كيفَ أعمّرُ من أشلاءِ الآخرِ بيتاً
كيفَ أجاهرُ أنّ الدميةَ حُبلى بالأطفالِ ،
وأنّ الدفلى تَمُرُّ
لم أعرفُ

كيفَ أعاشرُ أوراقاً تُسقى
لبناً تحتَ خيامِ قرّيشٍ
وتوزّعُ بين قصورِ أميةٍ
عسلاً ،
وتقول : الصحراءُ الماءُ
بدءاً من هذي الصحراءِ
والأشياءِ المرثيةِ ليست مرثيةً ، -
لم أعرفُ

كيفَ أَدافعُ ، فيما كنتُ أموتُ /
استسلمتُ كأنّي طفلٌ .

هل يُسْعَفني هذا الجهل؟ ولكن
من أين أُجِيءُ ، وكيف أُجَدِّد للكلمات الجنسَ ، وللغة الأحشاءَ
لأقولَ الأشياءَ؟
... أحوالِ ثمودِ /

تَعَبَ الماءِ ،
القولَ التَّائِهَ مثلَ ضبابٍ
والعملَ التَّائِهَ مثلَ ضبابٍ ،
وأقولُ المَقهورينَ - البؤسَ الرَّابضَ في أعينهم ،
والفَرَحَ الجامِحَ في أيديهم .
وأقولُ الوَلَهَ الإِعصارَ ، الشرقَ
اللابِسَ وجَهَ البحرِ /
أقولُ تَفجَّرَ أَيْامي -

جرحاً
يكبر بين العالم والكلماتِ ، وأمحو
ما قرأته أحلامي ،
وأقولُ تباريحي -
يأسَ العصفورِ ،
ولكنْ ،
من أين أُجِيءُ ، وكيف أُجَدِّد للكلماتِ الجنسَ ، وللغة الأحشاءَ

لتقولَ الأشياءَ؟

III

مهيار يقولُ : «الذكرى لا تجدي» .

ويقولُ : «الريح تواتي سُفني ،

حين يكون البحر بعيداً» /

أشهد أن الذكرى لا تجدي

لكن ،

أشعلتُ مصابيحَ الذكرى

لتكونَ لكِ الصَّوتَ المرثيَّ ،

وزهرأ

أجنيه ، باسمك ، من بستان الجرح ، ونجمأ

يحنو كجبين امرأةٍ

تبكي في شبَّاكٍ /

ورأيتُك تنأى . . .

سميتَ الأفقَ ، رسمتَ الدربَ ، وسرتَ حينئذٍ نحو الأقبى ،

أحبائك ، مثلك ، ساروا

أعداؤك ، مثلك ، ساروا

يفتتحون سهوباً أخرى ببريقٍ آخر ، لكن

في الجهة الأكثر ظلاً من غاباتك ساروا ،

لكن
في ضوئِكَ ساروا /
سأقول لضوئِكَ أن يلقاني
في كلِّ مدارٍ
سأقولُ له : استظهري حركاتي واستبظني أغواري
... في أحوالِ ثمودٍ /

IV

... أحوالِ ثمودٍ /
١ - «هل هذا الكوكب أنثى ، أم ذكرٌ؟
أم تلك قبائل ترشق في الصحراء سهاماً فتعود ذراعاً أو
رأساً؟» .

٢ - «إن كان صديقك يقرأ أفلاطون ، تنبّه واحذر
قل : كلا : لا أعرفه ،
فغداً ، أو بعد غدٍ ،
سيُقاد إلى سيفٍ ،
أو جبٍّ ...»
٣ - «أعطوني .

— ماذا يفعل؟

– يقتل ، كل مساء ، فجراً

٤ – «ما أطوع هذا الأفاك ،

الطالع من تاريخ القتل ،

الضارب في أحوال ثمود» .

٥ – «جاء الناقد يسأل : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون

النثر؟ ويحيا

من بيع الألقاب إلى شعراء ،

يسأل كل منهم : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون

النثر ، ويحيا في تابوت . . . ؟»

٦ – «أحوال ثمود ،

تتأسس في دكان :

«تاجر ، واستعصم بالله ، ولا تتسيس . . .» .

V

هوذا الدفتر دارٌ يجيء / حشودٌ

والأبواق ارتجلت لحناً /

... شهدوا أن التاريخ امرأة

صلعاءً بعينٍ واحدةٍ
وبرأسٍ مفتوقٍ .
شهدوا أن التاريخَ تقمّصَ ضبّاً .
شهدوا أنه القنّبُ في الشرفاتِ خيولٌ
والغيمِ وراء السدّةِ نخلٌ .

شهدوا أن الناسَ رفوفٌ من كتّانٍ
والرّمْلِ سحابٌ /

مَنْ يسألُ : كيف؟ لماذا؟

يا هذي الجدران المنهارة من أسوارٍ تسترشدُها أسوارٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً
من أجل معاولٍ أخرى ،
جرّافاتٍ أخرى .

يا هذي الحمم المقدوفة من أحشاءٍ تتقاسمُها أحشاءٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً ،
يا هذا اللّجَبُ النازفُ من أصواتٍ تتخطّفُها أصواتٌ ،
كن أكثرَ صمتاً ،
أكثرَ صمتاً -

من أجل لغاتٍ أخرى

أزمنة أخرى ...
هي ذي أيام قصب والجوف هواء /
ماذا يفعل هذا الرائي
لجموع
سواهم
مثل هباء
ساوهم بالآلات وبالآدوات شعار
واستتبعهم ظل؟
- من يتقدم؟
- متهمون ، الصمت لهم زهر ونوافذ
لكن الوقت كجمر ،
ويمر بطيئاً ،
والألوان هي الألوان /
شقاء

أن تتجدد أو تتغير أو أن ترغب ... / أعطيني زندك ، يا هذي
الأرض المسببة ، وأزميني في موج الأسرار ، ولكن
دون حجاب ،
كي يرقمنا
ويصورنا
ويؤشينا

ويشي بمدانا
ويشي بخطانا
نَسَاجٌ أَوْ نَمَامٌ
كِي نَسْتَوْشِي جَرِي الرِّيحِ /
استوصينا
خيراً ، بِنَبَاتٍ يَنْمُو /

— مَن هَذَا السَّائِرُ ، مَطْرُوداً
ويطاردهُ شَبَحٌ تَنْبِيءِيٌّ ، وَتَطَارِدُهُ تَعْوِيذَاتٌ؟

— تَلْمِيذٌ
يَجْهَلُ كَيْفَ تَصْيِيرِ اللَّفْظَةِ تَمَثَالاً
يَجْهَلُ كَيْفَ يُرَبِّي الْفَاعِلَ
كَأَرَانِبٍ أَوْ كَدَجَاجٍ . . . /
هَوَلٌ
أَنْ تَتَجَدَّدَ أَوْ تَتَغَيَّرَ أَوْ أَنْ تَرْغَبَ / هَذَا
وَجْهِي فِي لُجِّي
مِثْلَ عُقَابٍ
يَتَطَوَّحُ
فِي
مَهْوَاةٍ . . . / لَاقِنِي ، وَأَعِيدِنِي

يا هذي الأرض ... /
أغبرُّ هذا الزرع ، وأرقدُ هذي اللَّيلةَ
في أحضانٍ لا أعرفُها
وأسافر في مجهولٍ
يتكشَّف عن جنسٍ سرِّي
يتكشَّف عن لغةٍ سرِّيهِ
تعرف كيف تترجم هذي الضموضاء الكونيَّة /
أحوالٌ ثمود .

VI

لكن ،
هوذا الشاعر - كان ينامُ غريباً
والفجرُ غزلاً
جسد الأرض يداعبهُ
والشمس تخيط له
ثوباً قَمْحِيّاً /

- ماذا يفعلُ؟
- يُلقِي عن كتفيه النَّومَ ، ويمضي ...
هوذا يمضي
- ماذا؟ خانت عينيه الأشياء؟ رأى

قدمَ النورسُ ضِفدعةً؟
ورأى الزهرةَ وجهَ عجوزٍ؟

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجهَ غزالٍ آخرَ،
وجهَ الأرضِ يرافقهُ
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قَمْحِيّاً /

هوذا الآنَ يسافرُ في قنديلٍ مكسورٍ / يسمع همساً :
«لا تأملْ»

ليس النجم الطالع إلا رسماً
يتكرر ، والألوان هي الألوانُ»

الآنَ يقارنُ بين الأشياءِ

ويقول : الأشياءُ هي الأشياءُ
بدءاً من هذي الصحراءِ .

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجه غزالٍ آخرَ ،
وجهُ الأرضِ يرافقه
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمحياً ... /

... والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يُجدي هذا الرأسُ النافرُ من أنبوبٍ
في نقالةِ أفيونٍ ،
في عُرْسٍ للآلاتِ؟ وماذا
يجدي هذا الطوقُ ، وهذا الجسرُ ، وماذا
يعرف هذا السائرُ
من أبعادِ المجهولِ؟ /
سلاماً ، يا أحزاني

— (أحزاني ليست أحزاني
هي جرحٌ ينزفُ من تاريخِ الإنسانِ
هي أرضٌ تُرفعُ قُرْباناً
للظُّلماتِ وللطُّغيانِ)

والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يجدي هذا الرأسُ الساكنُ في أنبوبٍ؟

ألهذا ، تسألني كلماتي :
 ما هذا التاريخ ، أجزح أم سكين؟
 وهل الكلمات سلاسل أم يقطين؟
 ألهذا ، لا يتركني رفضي
 ودمشق الأخرى لا تتركني /... /
 تسكن في أعضائي - نامي
 لك ملكي : هذا الدفتر ، هذا الجبر ،
 وهذا الثوب العنابي ،
 ونامي

حتى يأذن وقت
 أعني
 حتى يأتي فجر آخر
 أعني
 ماتت -

ماتت أزمنة الكلمات / الوحي ، وماتت
 نبرة هذا العصر ، وماتت
 أحلام الرّيف ، وماتت
 شهوات المدين

ولهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ،

ولهذا ،
أحمل بين يدي ، وبين خطاي ، بذوراً
والكلماتُ هي الكلماتُ : حمائمٌ ، حيناً
وصقورٌ ، حيناً
وخمائرٌ ، حيناً

ولهذا ،
يتغير شعري كالأشياءِ
ولهذا ،
أسكن زوبعةَ الأشياءِ .

VII

يحدث أن أستسلم للطِّرقاتِ
فأهبطُ في قيعانِ
وأجاورُ أغصاناً ، أو أتعبُ مثلَ رمادِ
بحثاً عن أشباهي -

مصباح
يتحدثُ مثلَ فضاءِ ،

عصفورٍ

يمزج بين أنينِ السَّهمِ وصمتِ القوسِ ،

كتابٍ

يُعلن أنه العلمُ يقينٌ ، والنَّارُ سماءٌ ممطرةٌ ،

رَعْدٌ

لا يقصف إلا من أفقٍ يتجسَّسُ رفضاً ،

تِيَّارٍ

يروِي هذيانِي

للشَّطَّانِ ، لِلجَّجِ البَحْرِ ،

فضاءٍ

يخلطُ شمسَ الشَّعرِ بشمسِ الله ،

طريقٍ

تبقى حلماً ... /

أشباهي -

تصعد بين المعنى وحروف الظلمة في ممحاةٍ

وتغني للمحاة وتمحو

تمحو /

أشباهي -

لا أعرف ، إن كنت أحبّ دمشقَ ، وأسأل : هل

أكرهها ، حقاً؟

شجرُ الصَّفصافِ كساني

ببياض الحزن ، وسوى

جسدي بجعاً /

ماذا يفعلُ هذا العُنُقُ الجامح ، كيف يميلُ؟

وبحيراتُ الحبِّ اضطربتُ ،

أو كادت تنضبُ ، ماذا

يفعل هذا العُنُقُ الذَّابلُ ، أين يميلُ

والماء شحيحٌ ، والغيمُ قليلُ؟

في قِسماتِ شوارعٍ ترقد تحت غبارِ السيَّافين ، أسائل عن أشباهي

في رائحةِ الحزنِ الشَّاردِ خلفَ زقاقٍ

في صمتِ عجزٍ تومئ أنَّ الموت قريبٌ

في جرحٍ / جسرٍ بين سواعدٍ ، بين قلوبٍ

في رؤيا

تبقى نوراً وفريسةً نورٍ ،

أبحثُ

عن

أشباهي -

فلماذا تسأل عني ، يا هذا الباحثُ ، بين حروفٍ

أو خلفَ شعارٍ؟

أشباهي ، -

لتكن كلماتِ الشَّاعرِ ضوءاً ،

ضوءَ الحاملِ عبءِ الأرضِ ، ويبقى
في الجذرِ الأعْمَقِ في أقصى موجٍ
لتكن سَفْراً
يترصدُ كلَّ مهبِّ ،
ويخالطُ نبضَ الكونِ ، ويبقى
في الجذرِ الأعْمَقِ ، في أقصى موجٍ

لتكن جسداً
لمحيطِ الهَجْسِ بوجهِ آخرٍ
للإنسانِ - بوجهِ آخرٍ
/ للتكوينِ /

شقاءُ
أن تفتَحَ ، أو أن تكبرَ ، أو أن تهجمِ نحو الضوء ، وموتُ
أن تبدعَ أو أن تحيا
في أحوالِ ثمودٍ /
ولهذا ،
أعذر وجهِ ثمودٍ
أعني المجذوبينَ إليه
الطَّافينَ عليه ،
وأقول لهم ، باسمِ الملعونينِ الخلاقينَ من الشعراءِ :

ما أقسى أن نعرف أو أن نفهم كل الأشياء .

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى ، لا تتركني .

VIII

أشجارُ ترسمها أقواسُ ربيعٍ يحلمُ ،

واكبناها

أيدي تمنحُ للعطشانِ الماءَ ، وأخرى

تهدمُ ،

واكبناها

وكأنَّ بيارقَ تخرجُ من أشلاءٍ ،

واكبناها

وكأنَّ غيوماً تتلوى مثلَ ثمارٍ ،

واكبناها /

هل يصدقُ هذا الرملُ؟ أيكفي

أن يأتي فجرٌ يسألُ عنَّا ،

حتى نخرجَ من أسوارِ الظلماتِ ، أيكفي

أن نزرعَ حتى نجني؟

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى لا تتركني

ولهذا ،

يحدث أن أستسلم للطرقَاتِ

فأهبطُ في قِيعانٍ

وأجاورُ أغصاناً

أو أتعبُ مثلَ رمادٍ ،

يحدث أن أعطيَ أشكالي

لكتابٍ أو مفتاحٍ ،

وأقول لبیتِ المجهولِ :

«سلاماً

سنُجاسدُ هذا الزمنَ الآتي ،

ونخالطُ قلبَهُ

وسنكشفُ معدنَ كلِّ شرارٍ

ونشقُّ ، غداً ، والآن ، طريقَ الرغبةِ .

يحدث أن ألقى في الشارعِ وجهاً

مملوءاً جثثاً

من أحلامٍ أو أعمالٍ أو كلماتٍ

يدنو

ويناديني

ويحرّضني :

«نحن التيازُ

إن كان مدانا من ورقٍ

فخطانا فاتحةً للنازِ» .

يحدث أن أتقاطعَ مع ميدانٍ

كالعرشِ ،

ومع خلفاءِ

مع عمالٍ للخلفاءِ وأنصارِ ،

وأرى كيف يكون التاريخُ جليداً

أو زرينخاً ،

يحدث أن أتحوّل / أحيا

نسغاً برياً

أمشي في حشدٍ

يتحرك ، يقطع ما وصلته الريحُ ، يغذي دمه

ودمَ التاريخِ الجنسيِّ

ويعيد لحنجرة الأيام الدهشة ، والصوت الوحشي .

... ودمشق الأخرى لا تتركني
أخذتها الرغبة في شفتي ، وفي فخذي ، وفي حنجرتي
أخذتها لغتي ،

سيروا معها -

باسم الأشلاء

لبست ورداً أحمر في ساحاتٍ مُهدت

في ساحاتٍ لم تمهّد /

أتحسّن بموجٍ يطغى؟

بدم

يغزو يَبَسُّ الأرضِ ،

ويقرأ فاتحة الأنواء؟

سيروا معها -

ما أجمل هذا الكونَ الناشئ في الخطواتِ :

الأرضُ سريرٌ

والأشياءُ نقيضُ الأشياءِ .

IX

أَصْغُوا

ها هي تقترب الخطوات ، وأصغوا

لتويجاتِ جذوع

سمّوها زهرَ الآلام ، وقولوا

هذا وعد الأرض ، وأصغوا -

هي ذي الأصواتُ تعانقُ صوتي :

«يا وجه الإنسان الطالع كالزئزال ، سلاماً

ألهمنا

وأبيح للزئزالِ مدانا

خذنا

نحن الوجه الآخر من هذا الوقت المرفوض ، وأقنعنا

أن جمال الأرض الإفراطُ

وأن الحكمة ربُّ من ورقٍ

أقنعنا

أنّ النجمة ماتت ، والعالم يهذي

وتخطفُ

هذا الشاعر ، واخلبهُ

يا هذا الوعد المرسوم كجبهة طفل يولد باسم فضاءٍ

أبهي ،

واصبحته
في كشف
كشف ،
كشف . . . » .

X

إن كنت أرحُّ التاريخ ، وأخرجُ من ملكوت الآباءِ
فلأني طفلٌ أمي
يمشي في قافلة الأشياءِ
يتعلم سحرَ الأشياءِ

طفلٌ يتهجى سيماءَ الأرض ، ويصرخ : خذني
يا لُجَّ البَشْرِ ، الولِّه ، اغسُني
في برق فضائك ، وامنحني
أسماءً ،
وامحُ ، وجددْ
أسمائي .

هوذا جسدي
مكسواً بالأنقاضِ وكلِّ غريبٍ ، يمضي
وتواكبهُ أسماكُ

وبحيراتُ

وتواكبهُ أنهارُ ، كالصَّيْفِ تهروول نحو خريفٍ / يمضي

وتواكبه

أعراسُ ،

ويواكبهُ

أحمدُ حنا يوسف مريمُ -

قل للضَّارِبِ جذر العوسج : أهلاً

قل للمأخوذ بقبضة هذا المعول : أهلاً

قل للفتان والمفتون ، وكل جمالٍ : أهلاً /

ويواكبهُ سحر الأشياءِ

ويقولُ للبحرِ البشّر - الوله ، اغسّلني

في بَرَقِ فضائك ، وامنحني

أسماءً ،

وامنحُ ،

وجدّد

أسمائي .

(25 تشرين الأول 1976)

تصيدة البملول

I

(موجز أخبار) :

تدخل الشمس إلى بيتي فراشات وتمضي

كلمات

ولأيامي في مُفترق الماء حنينٌ :

كيف أخيي زهراً

يجتاحه الرمل؟ وهذا

جسدي يختلج الآن كراع بدوي ،

لابساً وجه الحقول

يكتب الشعر على العشب ، ويلقي

يأسه الطيب في ماء الفصول ، -

لا يريدُ الشعَرَ الساقطَ من رأس خريفٍ

أن تراه امرأة الصَّيفِ ، ويهوى

قمرأً يُولد من تلقائه

بين ساقينٍ . . . ويهوى

أن يرى في عُتْقِ العصفورِ نَهْرًا
 ويرى العالم في وجه الحسين ،
 ويرى ناراً على النَّهر ، وملاحاً ، وتلويحَ ذراعٍ
 ما على البهلول لو سَمَى يديه شاطئينِ
 ما على البهلول ، لو يلبسه النَّهرُ ، ولو كان الشَّرَاعُ؟

II

(تفاصيل) :

خرج البهلول يستقرئ موت الظلمات
 هوذا يرجع والنشوة تمحو الخطوات
 يُجلس الموت على شرفته
 ويُزيه
 كيف يستعرض جيش الرغبات ، —

إنها أحلامه تكتبه :

أدخل الآن إلى السوق خفيفاً
 ورقاً تجرحه الرِّيح ، وأصغى
 للخطى تسترق الشمس ، لأصحابي : ماذا
 تكشف النحلة من أسرارها
 حينما تدخل في الزَّهر ، وتلقي
 رأسها فوق تُويج ؟

وهل الزهرة ماء أو شرار؟
ولماذا تلد الشمس الغبار؟

إنها أيامه تقروءه :

أخرج الآن إلى الشارع حلماً -
أن يكون الشعراء
هالة حول جبين الفقراء .
أخرج الآن إلى الشارع جرحاً -
الدم الغامر تعويدً وتيه
وعلى الجدران تاريخ ينأم

ما الذي يقدر أن يفعله الشعر ، ورجلاه قيود
وعلى عينيه أسوار الظلام؟

أترأه يهدم السور بغصن من أراك؟
ما الذي يقدر أن يفعله الشعر لتاريخ ينأم؟
إنها أشلاؤه تسأله :

ليس من ينطق إلا
شرط الحجاج / هل أعطيك حلماً؟

.....
(بين أن يرتفع الحجاج سيقاً

ليشيدَ الدّولة العظمى ، وتبني
لغة الحلاج كوخاً ،
أطرح السّيفَ وأختارُ . . . لماذا

كلّما حاولَ أن ينبض صدقاً
كذبته الكلمات؟
ولماذا
يُحرفُ الينبوع مجراه لكي يبقى وفيّاً؟

إنها الأمة ترتاحُ إلى أشلائِها
وعلى الجدران تاريخُ ينامُ
ليس هذا وطناً / هذا زُكامُ .

ما على البهلول ، لو يصرخ في هذا الظلامُ :
أيها العالم ، كفاي عصفيرُ وكفاك مَصيدةُ
إنني أخرج من وجهك ، كي أدخلَ في وجه قصيدةُ .
ما على البهلول ، لو غنّى وحيداً :
هوذا وجهي بين السّابلهُ
يتوارى

حينما تنفتحُ الدّربُ وتمضي القافلةُ
لا لما قلتَ وقالوا

بل لشيءٍ آخرٍ أكتمه ،

كلّ ما أعلن أنّي أتوارى
في زحام السّابلهُ
حينما تنفتح الدّرب وتمضي القافلة .

III

(استطرادات) :

ها هنا يروي تواريخ مَحْتَهَا
جثثُ الأطفال ، يسقي
شجراً مات . وهذا
نهرُ الأردنّ يستسلم للطّمي . بماذا
يعدُّ الطّمي؟ الينابيع جِراحُ
والفصولُ انكسرت . . .
سكِرَ التّاريخ في حاناتنا
هوذا يخرج محمولاً . شيوخُ
وتماثيل نساء .

إنها جائحةُ الرمل ، اقتلاعُ :
أترى نضحك أم نبكي ، ولكن أيّ فرق؟
أه ، ما أضيق بغداد وما أنأى دمشق!

ها هنا يرقدُ : تأتي جُثثُ
ترتمي قدامه عاريةً ،
وإذا استيقظ جاءت جثثُ
وارتمت قدامه عاريةً /
زمنٌ يكتبه القتلُ - اسألوه
اسألوا البهلونَ عن أيامه
كيف تستأصل جذر الذاكره
واسألوه :
قدّر هذا المدى ، أم رُقع
من ضبابٍ ، أم غيومٍ عابرة؟

يخرج الآن إلى السوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الريحُ ويصغي :
يجلس الهدهدُ في حضن سليمان / سليمان ابتهاجاً
يتقرى جسد الغيب / وبلقيس عراز
وقناديلُ ، وسحرٌ عربي
يتقرى جسد الشهوة ، والهدهد عينٌ حائره
لا أرى غيرَ وجوهٍ من زجاج
لا أرى إلاّ الدّم - التّيه ، وإلّا
قفصاً يملأ سطح الدائرته ،

أه لو يُقلب هذا السطح ، لو تُكسر هذي الدائرة .

ما على البهلول لو غنى وحيداً :

لهبٌ يقسو على حزني / حزني

حطبٌ رطبٌ ،

تقاطيعي تذلّت

صوراً ملء الدخان

لم يعد يشغلها وجه المكان

يغرق الآخر فيه ، وأنا

عابراً يشغله وجه الزمان .

IV

(مقدمات لأجوبة) :

ما الذي يرتكب البهلول إن طالع تاريخاً ونادى :

أيها الفتك؟ وهل يَأثم إن سمى سماءً

باسم شخص؟

ولماذا ، حينما يرتحل البهلول في أوجاعه

ويقول : الخاصرة

شرفات ...

ويرى أحزانه منشورة

كالمناديل ، - لماذا

حينما تتكى الشمس على جبهته
ويرى ما ظنه التكوين مأوى عنكبوت ، - ولماذا
حينما ينقص الماضي كغصن في يديه ،
يجفل الناس ويجرون كريح ،
ويفيثون إلى سلطانهم؟

ما الذي يرتكب البهلول إن شاهد جندياً ونادى
أيها القيد؟ وهل يائم إن سمى الكتاب
باسم جلاّد؟ وماذا
لو سقى أحزانه ماء علي؟
وروى للماء تاريخ التراب؟
ولماذا يخرج الناس إلى سلطانهم
ويغيبون ، إذا ما
دخل البهلول في طقس أغانيه ، وغاب؟

V

(الموت) :

سقط البهلول في تَفَاحَةٍ
جذبتها الكلمات

كان عشبٌ يرسم اللّون ، وماءً
يقرأ الخطّ ، وكانت
شفةُ الأرض التي تجذبهُ
تتهجّى الحركاتُ ، -
كيف هيأتَ لأيامك بيتاً
ولففتَ الأعمدُ
بالمصاييح؟ سلاماً
أيها البيت الذي يُرفع بين الأوردهُ
وسلاماً ،
أيها البيت الذي يُهدّم بين الأورده .

VI

(شاهدة على قبر البهلول) :
لغة البهلول في محرابها
وعلى سرّتها قفطانٌ ليلٍ -
لجأت حيث تكون الأبيديّه
غابةً تسكنها ريحٌ خفيّه .

(شاهدة ثانية) :
دخل البهلول في فصل النّباتاتِ ، فأحيا
ولّه الأرضِ ،

وكان المهرجان :

ورقُ الصَّفصاف مندبلٌ وللرَّيح يدانُ -

إنه البهلونُ في أعراسه

ملكٌ -

كرسيُّ الأرضُ وتعطيه الرِّياح الصولجانُ .

(21 كانون الأول ، 1977)

قصيدة بابل

I

في رأس امرأةٍ من فحطانٍ يطير حصانٌ
في رأس حصانٍ طُرّواديٍّ ، عربيٌّ يهذي :
«سترى أحشاءك فوق رغيفٍ
سترى زمناً يتقدّم قبراً قبراً . . .»

II

دار المجنون يُسائل : أين الشمس ، وأين الأفقُ ، وماذا يحملُ
هذا الآتي :
عُنُقاً أو سِكِّيناً؟
يسألُ : كيف أظلّ شرارةَ خرقٍ؟
من أين أتيتَ؟ وكيف؟ وماذا؟
أرضك مملكة التّدجين ، وأنت عصيٌّ
أنتظّل عصياً؟
يبدو أنّ الأشياءَ قطعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فضيَّة

قاييلُ هنا ، هابيلُ هنالك لم يُدفنْ
والموتى شَرَكُ
والأحياءُ سديمٌ ...

هل تبقى تخبزُ هذا الرَّمْلَ وتحيا
في طُحْلِبِ هذا البُرْجِ؟
مَزِيداً
من جَمْرٍ آخَرَ ،
من شَهَوَاتٍ أُخْرَى ...
صَدَّقْنِي - أَقْدِرُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي مَنشَارِ
يا هذا الجذعِ اليابسُ ، لكن
أعملُ كي أَتَقَدَّمَ فِي طوفانٍ ...

مَنْ يَتَقَدَّمُ؟ صَاحَتُ
أجْراسُ عُصُورٍ
تتلاطمُ في حنجرَةٍ بحريَّةٍ -

حسناً ، يا هذا البحر ، ورفقاً
يا أدواتِ اللِّغَةِ القُرْشِيَّةِ

يبدو أن الأشياءَ قطعُ

والأفكارَ ذئابٌ فضيَّة ،
من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟

مُتَّهَمٌ ،
حتى حين تقول الليلُ فراشُ
والشمس امرأةً

والحوض يحنّ لماءٍ لا يعرفه
والماءُ يحنّ لحوضٍ لا يعرفه

مُتَّهَمٌ
حين تقول الفاتح ليلٌ حيناً
والخاتمُ فجرٌ ، حيناً ،

حين تقول الحزنُ ربيعٌ
والصفصاف دموعٌ ،

مُتَّهَمٌ

حين تجاهرُ: بابلُ جرحٌ
يتدفَّقُ من دمه الفقراءُ
وبابلُ فقَرٌ
يتناسلُ في دمه الشعراءُ

وبابلُ سلطاناً
والتَّاجُ نبيُّ أو تَتِينُ . . .

مَتَّهَمٌ

من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟
أتموت وأنتَ جَنِينُ؟

هوذا التَّارِيخُ - بقايا جُثَّتْ
والأيامُ تهرولُ في كَثبانِ الرَّمْلِ : «تَفِيئاً
حَلْماً ،

وانسِجْ
لِمداك ، عباءةَ حَبِّ ، واجنِجْ . . .
أفاقُ جانحةٌ ، وصحارى

تهلدي
ونساءُ في العَتَبَاتِ يَلدن الحسرة : «أهلاً ،
لكن ، ماذا نَفْعَلُ ،

أيدينا

ليست

أيدينا

نحنُ المقتولاتِ ، وكلُّ جنوحٍ يحيينا» .

III

قال علي: «هذي بابل...»

بابل قفّر

حيث الكون فراغ -

مجرورات ومفاعيل

شخّاذون على الطرقات وشخّاذون على الشرفات

يفترشون العسق الطالع في الأهداب وفي اللّهوات

عزّشاً يتأرجح في لبّاب

ونخيل دماء،

ألفوا ريح الموت، وسالوا

في نهر العالم جرحاً...

بابل أنت الشر وأنت الخير

وأنت مدار

ودمي وهوأوك طفلان

يمحو الثاني درب الأول

يمحو الأول درب الثاني.

IV

يبدو أن الأشياء قطيع

والأفكارَ ذئابٌ فضيئة
من أين أتيت ، وكيف ، وماذا؟

قُم يا قيسُ ، ترصد ليلى
قل للنخلة أن تؤويك ، وأسلم
عينيك لوسوسة الأحلام :
ليلى صورٌ تتفتح في أشكالٍ مخروطية
ليلى أقواسٌ ودوائر جنسية
قصبٌ عال للأحزان ،
ويحرُّ أبيضٌ للأوهام ...

قُم يا قيس - التاريخ ركامٌ
والحاضرُ وحشٌ
تتلبسه خرقٌ وعظامٌ .

مُتهمٌ
حتى حين تقولُ الأرضُ امرأةً
وسواءً قلتَ العالمُ عرسٌ
أو قلتَ العالمُ قسٌ
مُتهمٌ
وسواء جئتَ إلينا شرعاً أو جئتَ سفاحاً

مُتَّهَمٌ -

(تُهَمِّي أَنِّي وَجْهٌ ،
تُهَمِّي أَنِّي أَكْشَفَ عَن جُرْحِي ،

تُهَمِّي أَنِّي أَرْفُضُ هَذَا الْعَصْرَ ، وَأَكْتُبُ
لَعْنَتَهُ الْكَبِيرَى ...)

مُتَّهَمٌ

فِي أَحْلَامِكَ ، فِي خَلْجَاتِكَ ، حِينَ تَرُوحُ وَحِينَ تَجِيءُ -
قُمْ ، يَا قَيْسَ ، تَرَصَّدْ لَيْلَى ...
مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وَكَيْفَ نَسَيْتَ غَزَالَ الزَّمَنِ :

الْجِنْسَ

الْحَبَّ /

الْمَوْتَ /

الصُّوفِيَّ / وَحَيْدَ الْقَرْنِ ،

أَذْكَرْنِي

يَا هَذَا النَّيْزُكُ ، وَأَمْنُخْنِي

ضَوْءاً

وَأَسْهَزْ ، وَتَأَلَّقْ فِي أَنْحَاثِي

هوذا : أغمضتُ جفوني باسمك واستسلمتُ إلى أعضائي
حيث نعانقُ ما لا نعرف كيف نراهُ
حيث المعنى زيتُ والصورةُ نارٌ
حيث التّاريخُ كلامُ الهازمِ ، صوتُ المهزومينَ ،
وحيث مشينا
في أيلولَ
وفي كانونَ
وفي أيارَ
مشينا
نتلمسُ أُنعةَ التّكوينِ ، ونحضنُ أزمنةً مكسورةً
تذكر؟ لم نسمعُ
لم نلمحُ
إلاّ جسدَ اللّغةِ المجدورةِ .

قم ، يا قيسَ ترصدُ ليلى
عيدُ عيدِ اللّهبِ الوحشيِّ ، اللّغةُ الوحشيّةُ
واقطعْ كلماتك من خيلاء الزّانِ وأبهاء المرانِ ،

استنفرُ أضرحةَ العُشاقِ ، وقدمُ
للموتِ حياتك ، وابدأ - لا تنتظرِ العنقاءَ ،
تكونُ خطاكُ لقاحاً :

ستكون الماءِ مراراً
ومراراً ، سوف تكون الصَّخْرَ
مراراً سوف تكون الرِّيحَ ،
وتغدو
مَلِكِ الأفاقِ ، وتغدو
مَلِكِ العرباتِ الضَّوئِيَّةِ .
خُذني ، يا هذا التَّيار ، امنحني
مدّاً أَقصى
هوذا : تغدو فَلَكاً
وتدور كواكبٌ في قَدَمَيْكَ ،
هوذا : أغمضتُ جفونِي
واستسلمتُ إِلَيْكَ .

V

أعلو وأفكر في التَّشْبِيهِ وَأُنْأى
لا أحتاج إلى ذُرُواتٍ
شَغَفِي أن أتواطأ مع أمواجٍ مع كلماتٍ
لا أملك إلا أن أقتلها
... في عادة وجهي ،

عادةٌ وجهي :

لا أعطي لغتي إلا للجذر ، وعادةً صوتي
أن يتبطنَ شمسَ الرّغبة - بابلَ ، عادةً صوتي
أن يخلقَ بابلَ كي يتغيّر هذا الزّمنُ
أن يخلقَ بابلَ كي يتبرأَ هذا الوطنُ /

أخلقُ بابلَ في الأجناس وفي الأنواع وأخلق بابلَ في
الصلوات وفي الشّهوات وأخلق بابل في الأرحام
وفي الأكفانِ وأخلق بابلَ بين الخالق والمخلوقِ
وأخلق بابل في الأصوات وفي الأسماء وفي الأشياءِ
وأظللّ اللهبَ الضّاربَ في الأشياءِ
خارج هذا الورق الرّملي ، أدشنُّ أنحائي
بالضوء ، برغبةٍ أن أبقى
خارجَ هذا الملكِ ، عصياً
لا تعرفني غير النّار كأنني جنسٌ شمسيٌّ آخرُ ،
يمحو نصّ الرّمّل ، يفتت كلّ مثالٍ
ويقيم الرّغبة نهجاً
وتكون الصّبوة عيداً
... في عادة وجهي .

عادةً وجهي أن يتقصّى
سفرَ التكوين ، طريقَ البدء ، يُراهنُ :

أين يكون الملاء فراغاً ، والأخر أول؟ أين يكون
الشعر طريقاً تتقمص كل طريق؟

عادةً وجهي أن يبقى
أفقاً ، ويُضلل حتى الريح . . . ،
لهذا

أحياناً ،
يطفو وجه الشمس ضباباً
ويكون الضوء استسلم للكلمات

أحياناً ،
تولد في الكلمات جراح
ويصير الجسر تراباً
ويكون الجسد استسلم للكلمات

أحياناً ،
تهجم بابل في طاووس أو جلاد
ويكون التاريخ هشياً
والغيم قياناً
وتكون الأشجار سبايا

أحياناً ،
بابلُ قبلُ
وبابلُ بعدُ
وبابلُ وجهٌ للأحياءِ وللأمواتِ . . . لهذا
يُولدُ في أسمائي
بَشْرُ
يزدحمونَ ويقتتلونَ / خُدَيْهِمْ
دُكَيْهِمْ واحتضنهم

كوني طرُقاً لهم وفتوحاتٍ ، يا أسمائي
فأنا الأبدُ المتشردُ خارجَ أسمائي

أبدياً
أعلنُ شرعَ اللَّهَبِ ، الوَكْهِ ، الحَلْمِ ، الأشياءِ .

VI

صَارَتْ كَفَايَ زَنَايقَ ، صَارَتْ عَيْنَايَ صَلَاةً
أَسَّسْتُ خَرِيفاً وَاسْتَصْلَحْتُ رِبِيعاً
وَجَلَسْتُ مَعَ الشَّجَرَاتِ الْقَدِيَّسَاتِ
مَنْتَظِراً بِأَبِلَ /

(بابل لا يعرفها أحدٌ / لا يجهلها أحدٌ)

خلع التاريخ قميص النوم وسار وحيداً

في غابات الذكرى

(بابل لا يذكرها أحدٌ / لا ينساها أحدٌ)

بابل هذي أنتِ ، وهذا خطوكِ ، والطَّرقاتُ هي الطَّرقاتُ

أَلرَّقْمُ يقول ونُبْضُ المعدن قالَ

وقالت لغةٌ والشعر يقولُ :

أين يكونُ ، الآن ، الملكُ الضَّليلُ ، الحسنُ الضَّليلُ؟

أين يكونُ أبو تَمَّامٍ والمنتنبي؟

ولأيِّ طريقٍ قادمٌ المجهولُ؟

سأراهم يوماً

وأَسائِلُ رَملاً مرَّ عليهم :

أدِماءُ مسالِخِ هذي الأَنهارِ؟

أَمسانقُ هذي الأشجارِ؟

وأقولُ لرملٍ مرَّ عليهم :

أنتَ رسَمْتَ خُطاهم

واليومَ ، أجيءُ لأرسمَ فيكَ خطايَ ، ولستُ الأحسنُ

حالاً ،

لكنني صبرت الأعمق ضوءاً
مُدَّ صبرْتُ الأعمقَ يأساً .

بابل ، هذي أنتِ وهذا عصركِ والكلماتُ هي الكلماتُ
«حَيِّ» ، لكنك مَيِّتٌ ، يا أحمد» قال عليٌّ
«ستنالُ الخبزَ ، ولكن
كيف ستحيا والرَّمْلُ محيطٌ؟»

«سيقالُ : الثورة أنتِ ، ولكن
أَنْظَلِّينَ وراءَ حجابٍ ، يا مريمٌ؟» قالَ عليٌّ -
بابل ، هذي أنتِ ، هذا خطوكِ ، والطرقَاتُ هي
الطرقَاتُ
بابلُ ، هذي أنتِ ، هذا عصركِ ، والكلماتُ هي
الكلماتُ

لن يدفقَ ماءٌ يغسلُ وِخْلَ دروبكِ ، حتَّى ...
لن يطلعَ فجرٌ يمحوليلكِ ، حتَّى ...
حتَّى ...
(مات الكوفيون ، ومات البصريُّونَ
وفي أنفسهم شيءٌ من حتَّى ...)
... وعليٌّ عاشقكِ المجنون يؤصِّلُ في ظلماتكِ دربَةً

ولهذا ، يرسمكِ امرأةً
ويحيطك جنساً
ويزاوج بين الحبِّ ، وهذا العصر ، ويعلن : صار
الحبُّ فضاءً ،
واجتاحته رياح الرِّغبة .

قم ، يا قيس ترصد ليلى
قم ، يا قيس ، التاريخ ركأم
والحاضر وحش
تتلبسه خرقٌ وعظام .

VII

بابل جنس
للموت ، وبابل حب
تهبط نحوي

ضيقٌ عليها / ضاقت
عرفت أن حنيني تعب / تعبت
عرفت أني عرقٌ أتبخّر فوق سريري / تعبت
عرفت أن الليل فراشة جنس / تعبت
بابل تصعد نحوي

قولوا : هذا زمن الرؤيا ، زمن الألقاضِ ، وقلوا :

أهلاً بالأطرافِ ، بكلِّ عصيِّ

أهلاً بالتيه ، بكلِّ قصيِّ

بابل تهبط نحوي

بابل تصعد نحوي ...

بابل ، أنتِ الطِّفلِ وأنتِ الأمِّ ، وأشهدُ

كيف يصير تراثكِ حلماً

ويصير أباً

ويصير جنيناً .

VIII

اليومَ ، يحاول وجه الصخرة أن يتزيَّ

اليومَ ، سمعت الشمسَ تخاطب طفلاً

اليومَ ، رأيت طريقي في خطواتٍ شريدٍ :

هل أدخل في؟

هل أخرج من؟

واليومَ ، أهْيء ذاكرتي

للذئبِ ،

أحسنَ كأنِّي طفلٌ ...

بابل ، يكفي

أن تجتاحي مُدُنَ الضوء بغير عيونٍ
يكفي زحفك نحو الرّغبة في جمجمةٍ أو في سيفٍ
يكفي أن يُقطعَ رأسٌ
كي يُلامَ جرحٌ /

بابل تنهضُ - جثنا

نمنح فيك العاقلَ ذاكرةَ المجنونِ
ونقودك ، دون ملوكٍ أو حراسٍ
لغةً للبدء ، هباءً للتكوين .

بابلُ جثنا

نبني ملكاً آخرَ ، جثنا
نُعلن أن الشّعْر يقينٌ
والخرقَ نظامٌ .

هوذا نجمٌ

يتوهج بين كواحلنا

ثقةً بجحيمِ خطانا

ثقةً بفضاءٍ

يتناسلَ ملءَ حناجرنا -

غَنِيْتُ / أَغْنَيْتِي
جسد التاريخ ، طيور الأزمنة المكنونة
وأبختُ لكلِّ صعودٍ لغتي
وأبختُ لكلِّ صباح
أن يتقمص وجهي ، أن يُنكرني -

هل للتاريخ طريقٌ
خارج نَزْفِ الرِّثَةِ الملعونة؟
هل للأرض كتابٌ
لا تكتبهُ اللُّغَةُ المجنونة؟

(بيروت ، أوائل آب ، 1977)

الوقت

حاضيناً سنبلَةَ الوقتِ ورأسِي برحُ نارٍ :
ما الدَّمُ الضَّارِبُ فِي الرَّمْلِ ، وما هذا الأَفولُ؟
قُلْ لَنَا ، يا لهبَ الحَاضِرِ ، ماذا سنقولُ؟

مِرْقُ التَّارِيخِ فِي حَنجرتي
وعلى وجهي أماراتُ الضَّحِيهِ
ما أَمْرُ اللُّغَةِ الآنَ وما أَضيقَ بابَ الأَبجديَّةِ .

حاضيناً سنبلَةَ الوقتِ ورأسِي برحُ نارٍ :
... / أَصديقُ صارَ جَلاداً؟ أَجازُ
قالَ : ما أَبطأَ هولاكو؟ مَنِ الطَّارِقُ؟ جابٍ؟
أَعْطِه الجِزِيَّةَ . . . أشكالُ نساءٍ
ورجالٍ . . . صورٌ تَمشي / أَشَرنا
وتَسارَرنا ، - خُطانا
خيطُ قَتْلِ /

أَتَرَى قَتْلَكَ مِنْ رَبِّكَ أَتٍ
أَمْ تُرَى رَبُّكَ مِنْ قَتْلِكَ أَتٍ؟
— ضَيْعَتُهُ الْأَحْجِيَّةُ

فانحنى قوساً من الرُّعبِ على أَيامِهِ الْمُتَحَنِّيهِ .

— لِي أَخْ ضَاعَ ، أَبُ جُنْ ، وَأَطْفَالِي مَاتُوا
مَنْ أَرْجِي؟ هل أضَمَّ الباب؟ هل أشكو إلى سَجَادَةٍ؟
— دَاخَ ، هَاتِ الْحَقَّ وَامْتَحِ الشُّفَاءَ
مِنْ عَطُوسِ الْفَقْهَاءِ .

جُثَّتْ يَقْرُوهَا الْقَاتِلُ كَالطَّرْفَةِ / أَهْرَاءُ عِظَامِ ،
رَأْسُ طِفْلِ هَذِهِ الْكِتْلَةِ ، أَمْ قِطْعَةٌ فَخْمٍ؟
جَسَدٌ هَذَا الَّذِي أَشْهَدُ أَمْ هَيْكَلٌ طِينٍ؟
أُنْحِنِي ، أُرْتَقُ عَيْنَيْنِ ، وَأُرْفُو خَاصِرِهِ
رَبِّمَا يُسَعْفِنِي الظَّنَّ وَيَهْدِينِي ضِيَاءَ الذَّاكِرِهِ
غَيْرِ أَيْ عَيْبًا أَسْتَقْرِئُ الْخَيْطَ النَّحِيلِ
عَيْبًا أَجْمَعُ رَأْسًا وَذِرَاعَيْنِ وَسَاقَيْنِ ، لَكِي
أَكْتَشِفَ الشَّخْصَ الْقَتِيلِ

— لِمَنْ النَّمْلَةُ تُعْطِي دَرَسَهَا؟
وَلَمْ الدَّهْشَةُ؟ شِعْرٌ

مَزَجَ هَذَا الشَّرَّ الفاجع بالعين ، أنخِطَافٌ
أن ترى بيتك مرفوعاً إلى الله شظايا ، -

صَرَخَتْ بُومَةٌ عَرَافٍ عَلَى مِثْدَنَةٍ
نَسَجَتْ مِنْ صَوْتِهَا قَوْسَ قُرْخٍ
وَبَكَتْ مَخْنُوقَةٌ حَتَّى الْفَرَحِ .

حَاضِبًا سَنِبِلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجٍ نَارٍ :
... / كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَنَّ هَذَا الزَّمَانَ الثَّائِرَ دَكَانُ حِلِيٍّ ،
أَنَّهُ مُسْتَنْقَعٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ .
كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
سَيَكُونُ الصَّبْدُ مَوْتًا
وَيَكُونُ الْمَوْتُ خُبْرَ الشَّعْرَاءِ
وَالَّذِي سَمِّيَ أَوْ صَارَ الْوَطْنَ
لَيْسَ إِلَّا زَمَنًا يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الزَّمَنِ .

كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَيْنَ مِفْتَاحِكِ يَا أَبْهَةَ الطُّوفَانِ؟ لُطْفًا أَعْرِقْنِي
وَأَخْذِي آخَرَ شَطْطَانِي خُذْنِي

سَحَرْتَنِي لُجَّةُ لَاهِبَةٍ
 سَحَرْتَنِي قَشَّةُ تَحْتَرِقُ
 سَحَرْتَنِي طَرَقُ تَجْفَلُ مِنْهَا الطُّرُقُ

حَاضِبًا سَنِبَلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجُ نَارٍ:
 نَسِيْتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
 نَسِيْتُ مِيرَائِهَا الْمَكْنُونِ فِي بَيْتِ الصُّورِ
 لَمْ تَعُدْ تَذَكُرْ مَا تَلْفِظُهُ الْأَمْطَارُ، مَا يَكْتُبُهُ حَبِرُ
 الشَّجَرِ،

لَمْ تَعُدْ تَرَسُمُ إِلَّا
 نَوْرَسًا يَقْلُذُهُ الْمَوْجُ إِلَى حَبْلِ سَفِينِهِ
 لَمْ تَعُدْ تَسْمَعُ إِلَّا
 مَعْدِنًا يَصْرُخُ: هَا صَدْرُ الْمَدِينَةِ
 قَمَرٌ يَنْشَقُّ مَرْبُوطًا إِلَى سُرَّةِ
 غُولٍ مِنْ شَرَرِ
 لَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَالشَّاعِرَ طِفْلَانِ يَنَامَانِ عَلَى خَدِّ
 الْحَجَرِ.

نَسِيْتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
 وَلِذَا يُرْعَبُنِي الظِّلُّ - الْغَدُ الْمُرْتَسِمُ
 وَلِذَا يَمْلُونِي الرَّيْبُ وَيَسْتَعْصِي عَلَيَّ الْحَلْمُ

مُوثِقاً أركض من نارٍ لنارٍ

غصتُ تحت العرقِ الدافقِ من جسمي ، وقاسمتُ
الجدارَ

أرقَ الليلِ / (خطى الليلِ وحوشٌ . . .)

ومرّاراً قلتُ للشعر الذي يرسب في ذاكرتي :

أيُّ منشارٍ على عنقي ، يُملي

آية الصّمتِ؟ لمن أروي رمادي؟

وأنا أجهل أن أنتزع النّضّ وأرميه على طاولة

وأنا أرفض أن أجعل من حزني طبلًا للسماء ،

فأقلّ : كانت حياتي

بيت أشباحٍ وطاحونَ هواء .

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ :

شجرُ الحبِّ بقصّابينَ أخى

شجرُ الموتِ ببيروتِ ، وهذي

غابةُ الأسِ تُؤاسي

غابةُ النّفي ، - كما تدخلُ قصّابينُ في خارطة

العشبِ ، وتستقطرُ أحشاءَ السّهولِ

دخلت بيروت في خارطة الموتِ / قبورُ

كالبسّاتينِ وأشلاء - حقولِ

ما الذي يسكب قصّابينَ في صيدا ، وفي صورٍ ،
وبيروتُ التي تنسكبُ؟

ما الذي ، في بعده ، يقتربُ؟
ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدّماءُ؟

... ييسَ الصّيفُ ولم يأتِ الخريفُ
والربيعُ اسودَّ في ذاكرة الأرض / الشتاءُ
مثلماً يرسمه الموت : احتضارُ أو نزيفُ
زمنٌ يخرج من قارورة الجبْرِ ومن كفّ القضاءُ
زمنُ التّيه الذي يوتّجل الوقتَ ويجتثّرُ الهواءَ ،
كيف ، من أينَ لكم أن تعرفوه؟
قاتلٌ ليس له وجهٌ / له كلُّ الوجوه ...

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ، ورأسِي برجُ نارٍ :
مُنْهَكٌ أَلْتَفْتُ الآنَ وأَسْتَشْرِفُ - ما تلكَ الخِرْقُ؟
أتورِخُ؟ أبلدانُ؟ أراياتٌ على جُرْفِ الغسقِ؟

هُودًا أقرأ في اللّحظةِ أجيالاً وفي الجُنّةِ آلافَ الجُنّتِ
هُودًا يغمرنِي لُجُ العَبَثِ ،

جسدي يُفَلِّتُ من سَيِّطرتي

لم يعد وجهيَ في مِرَاتِهِ

ودمي يَنْقُرُ من شَرِيَانِهِ ..

الآنِي لا أرى الضوَّءَ الذي يَنْقُلُ أحلامِي إليه؟

الآنِي طَرَفَ أَفْصَى من الكون الذي بَارَكَهُ غيرِي وجَدَّقْتُ

عليه؟

ما الذي يَجْتَثُّ أعماقي ويمضي

بين أدغالٍ من الرِّغْبَةِ ، بلدانٍ - محيطاتٍ دموعٍ

وسلالاتٍ رموزٍ؟

بين أغراقٍ وأجناسٍ - عصورٍ وشعوبٍ؟

ما الذي يفصلُ عن نفسيَ نَفْسِي؟

ما الذي يَنْقُضُنِي؟

أنا مُفْتَرَقٌ

وطريقي لم تعدْ ، في لحظةِ الكَشْفِ طريقي؟

أنا أكثرُ من شَخْصٍ ، وتاريخيَ مَهْوَايَ ، وميعادي

حريقي؟

ما الذي يصعدُ في قَهْقَهةِ تصعدُ من أعضائيِ المختنقه؟

أنا أكثرُ من شَخْصٍ وكلِّ

يسألُ الآخرَ : مَنْ أنت؟ وَمِنْ أينَ؟

أعضائيِ غاباتِ قتالٍ

... في دمٍ رِيحٍ وجسمٍ وَرَقَةٍ؟

أَجْنُونُ؟ مَنْ أَنَا فِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ؟ عَلِّمْنِي وَأَرْشِدْنِي
يا هذا الجنونُ

مَنْ أَنَا يا أصدقائي؟ أَيُّهَا الرَّاوُونُ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ
لِيَتَّبِعْنِي أَقْدِرُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ جِلْدِي لَا أَعْرِفُ مَنْ كُنْتُ ،
وَلَا مَنْ سَأَكُونُ ،

إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ إِسْمٍ وَعَنْ شَيْءٍ أَسْمِيهِ ،
وَلَا شَيْءٍ يُسَمَّى

زَمَنٌ أَعْمَى وَتَارِيخٌ مُعْمَى
زَمَنٌ طَمِيٌّ وَتَارِيخٌ حَطَامٌ
وَالَّذِي يَمْلِكُ مَمْلُوكٌ ، فَسَبْحَانَكَ يَا هَذَا الظُّلَامَ .

حَاضِبًا سَنِبَلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجٍ نَارٍ :
جَدِّي السَّامِيُّ مَاخُوذٌ بِمَا يَنْسَلُهُ الدَّهْرُ الْعَمَاءُ
بَبَغَاءٍ؟ أَمْ نَبِيٌّ مُفْرَعٌ فِي مَوْمِيَاءٍ؟
أَيُّهَا الْجَدُّ الَّذِي أَعْتَزَلُ الْآنَ طَرِيقَةَ
حَسَنًا ، أَنْتَ الَّذِي يَسْكُنُ فِي جِرْثُومَةِ الْمَاءِ وَأَطْبَاقِ السَّمَاءِ
وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ تَمْشِيَ ، كَمَا تَمْشِي ، شَمُوخًا لِلرُّوَاءِ
وَلَأَنْتَ السَّرُّ وَالْمَمْلَكَةُ الْمَكْتَنِزَةُ
بِالنَّبَوَاتِ - أَنَا الْعَاجِزُ عَنْ فَهْمِكَ ، وَالسَّادِرُ فِي
الْغِيِّ ، وَأَنْتَ الْمَعْجِزَةُ .

أيها الجدّ الذي أرفضه الآن وأحبيتُ الخليقة
 باسمه الخالق ، لن تعرفني بعدُ ، ولن ينسبني شيءٌ إليك
 غيرُ ذاك الطلّل الراسبِ في نَفْسِي - يَبْكيني ، ويُبْكيني
 عليك .

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ورأسي بُرُجُ نارٍ :
 آخِرُ العَهْدِ الذي أمطَرَ سَجِيلاً يَلَاقِي
 أوَّلَ العهدِ الذي يُمطرُ نَفْطاً
 وإلهُ النُّخْلِ ، يجثو
 لإلهٍ من حديدٍ ،
 وأنا بين الإلهينِ الدّمِ المسفوحِ والقافلةِ المنكفئةِ
 أتَقَرُّ ناري المنطقه
 وأرى كيف أداري
 موتيَ الجامحَ في صحرائه ،
 وأقول الكونُ ما ينسجه حُلْمِي .. / تنحلّ الخيوطُ
 وأرى نفسي في مَهْوَى وأسترسلُ في ليل الهبوطِ
 وأرى الأشياءَ دولابَ دخانٍ
 وأرى العالمَ صَيِّداً
 مُدَّتِ المائدةُ ، - الأجسادُ بَقْلُ
 والمواعينُ رؤوسُ .

يجلسُ الله إلى مائدة الصيدِ ، غزالٌ

كان خبازاً ، وضَبُّ

كان جندياً / إلهٌ

يأكل الصيدُ ، أم الصيدُ الإلهُ؟

طُرقَ تكذبُ ، شُطَّانُ تخونُ

كيف لا يصعقك الآنَ الجنونُ؟

هكذا أنتيدُ الأكلِ والأكلِ وأرتاحُ إلى كلِّ مَناءِ

وعزائي أنني أوغلُ في حلمي ، - أشتطُ ، أموجُ

وأغني شهوة الرقص ، وأهذي

فلَّكُ الزهرة خلخالُ لأيامي ، والجذبي سِوارُ

وأقول الزهر في تيجانه

شُرُفاتُ ...

وعزائي أنني أخرجُ - أستنفرُ أفعال النُخروجِ .

أسرِّجوا هذي الرياحِ الجامحةِ

إنه التاريخ مذبوحٌ وليس الذَّبْحُ إلا الفاتحة

واتركوا الذَّبائحَ والمذبوحَ والذَّبْحَ شُهوداً

واغمروني ببقاياهُ أرسُموني

طللاً بين الطلُولِ

هكذا أَعترف الحكمةَ مِنْ مَعَدنها
صارِخاً أَهلاً بِأَنْقاضِي أَهلاً بِالأفون .

هكذا أَبتدئُ
حاضِناً أَرْضِي وَأَسرارَ هَواها ، -
جَسَدُ البَحرِ لَها حَبٌّ لَها الشَّمسُ يَدانُ
جَسَدُ مُستودِعِ الرُّعدِ ومَرَساةِ الحَنانِ
جَسَدٌ وَعَدُّ أَنا الغائِبِ فِيهِ
وأنا الطَّالِعُ مِنْ هَذا الرِّهانِ
جَسَدُ / غَطَّوا بِضوءِ المَطرِ العاشِقِ وَجَهَ الأَقحوانِ ،

وَلَيَكُنْ . . .

أَحْتَضِنُ العَصَرَ الَّذِي يَأْتِي وَأَمْشي
جامِحاً ، مِشِيَةً رُبَّانِ ، وَأَحْتَطُّ بِإِلادي ، -
إِصْعَدُوا فِيها إِلى أَعلى ذُراها
أَهْبَطُوا فِيها إِلى أَغوارِها
لن تروا خَوْفاً ولا قِيداً - كَأَنَّ الطَّيْرَ غُصْنٌ
وكَأَنَّ الأَرْضَ طِفْلاً ، والأَساطيرَ نِساءً
حُلْمٌ؟

أعطي لمن يأتون من بعدي أن يفتحوا هذا
الفضاء .

ليس جلدي كوخ أفكارٍ، ولا
شعقي خطابٌ ذكري ، -
نسي رفضٌ وأعراسي لِقاحٌ
بين قُطبين ، وهذا العصرُ عصري
الإله الميتُ ، والآلة عمياء ، وعصري
أنتي أسكن حوضَ الرغباتِ
أنَّ أشلائي أزهارِي ، وأني
ألفُ الماءِ وباءُ النارِ - مجنونُ الحياة .

كاشفاً للوقتِ أسرارَ هواهُ :
هكذا يعترفُ
إنه الضُّليلُ ، والخارجُ ، والمختلفُ .

(بيروت ، 4 حزيران - 25 تشرين الأول 1982)

اسماء عیال

اسماعيل

مُتَدَثِّرًا بدمي ، أسيرٌ - تقودني
حممٌ ، ويهديني ركامٌ ، -
بشرٌ تموج حشودهم
طوفانَ ألسنة : لكلِّ عبارةٍ
ملكٌ ، وكلُّ فمٍ قبيلةٌ .
... وأنا الذي نبذته كلُّ قبيلةٍ^(١) .

وخرجتُ تحضنني الجراحُ ، وأحضن الأرضَ القتيلةَ ،
أبني خيامي في دمي
وأقول لاسمي أن يلمّ دفاتري
من بيت اسماعيل^(٢) /

(١) يمشي وحيداً

يمشي أمام زمانه .

(٢) لو كان اسماعيلُ حقلاً ، لسكبتُ غيمي فوقه ،

لو كان إعصاراً لكنتُ لعصفه أفقاً ، وكنتُ خليله ...

– اسماعيل يطفو

صحراء^(٣) من كتب تموت ، وفوقه

قمرٌ تقلد سيفه

ومضى يجر نياقه ...

/ ... وأنا الذي نبذته كل قبيلة^(٤)

أتسقطُ الشرر الدكيل / بنات نعش

يرقدن في زغب الظلام / رأيت وجهي شامة

في ضوئهن ، رأيت موتي

طيراً على كتف الظلام ،

والرمل يرتجل الكلام .

في الجانب الشرقي من نهر الفرات لقاتق

حملت مفاتيح الرحيل ، وقوضت

أعشاشها ،

(٣) صحراء – عقد من رمال ، والقوافل خيطه ...

(٤) عبثاً تسائل عن صديقك / مات ،

والبيت الذي آواه مات / احفر طريقاً

للقائه ، في قلبك الباقي – ولكن

أتظن أن القلب يبقى؟

في الجانب الغربي ، ينهضُ هيكلٌ -
ثديان ينتفخان قشاً .

... / وأنا الذي نبذته كلُّ قبيلة
هوذا تُفرقني يداي / دمي يُحاربهُ دمي
جسداً يُمزقُ في جسداً
والحبُّ لا أحدٌ ، وموتي لا أحدٌ (٥) .

من أنت؟ (٦) يصرخُ بي حطامي
ويكاد ينكرني كلامي .
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ ، تنامُ تحتَ وسادِهِ

نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ على رؤوسِ
حُشيتٍ بالسنة - خليقةٍ خالقي يُملي الدماءَ
كتباً ، ويثبت ما يشاءُ لها ، ويمحو ما يشاءُ
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ - يكاد يأخذه الشرارُ
من أين يخرج - كيف يخرق الحصارُ؟ (٧)

(٥) لا ماء يعرف أين صحرائي ، وكيف أذوقها .

(٦) ألقى بأسلتي ولا ألقى جواباً ..

(٧) يُعطيني الشجرُ الكريمُ رداءهُ

ويمدّ لي نجمٌ يديه ...

وَدَعْتُ / أَذْكَرُ قَاعِدًا

فِي بَيْتِ إِسْمَاعِيلَ^(٨) ، - يَرْبِطُ صَخْرَةً

بِسَحَابَةٍ

وَيَشِجُ بِالْحَجَرِ النَّجْوَمِ ، - يَعِيشُ بَيْنَ سِلَاحِفٍ

شَطِطَتْ ، وَنَامَتْ .

وَدَعْتُ / أَذْكَرُ هُودَجًا

يَهْدِي^(٩) بِسَيْدَتِي ، وَأَذْكَرُ أُمَّةً

تَهْدِي بِأَخْرِ مَا تَبْقَى :

وَحَشٌّ بِلَا رَأْسٍ ، يُتَوَجُّ نَفْسُهُ

رَبًّا ، وَيَبْسُطُ ظِلَّهُ

وَطَنًا كَقَبْعَةِ الْمَهْرَجِ .. / ظِلُّهُ^(١٠) .

أَرْضٌ تَمُدُّ حَقُولَهَا سُرْرًا ، وَتَهْدِي ...

(٨) أَحْلَامُ إِسْمَاعِيلَ جَائِيَةٌ ، وَجِبْهَتُهُ تَرَابٌ /

مَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ إِلَّا

صَوْتًا يُقَاتِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَلَيْسَ لَهُ فِضَاءٌ .

(٩) طِهْمَا زُبَايَ - لَمْ يَزَلْ يَهْدِي بِدَيْحِ شَقِيْقِهِ

وَيَقْتُلُ كُلَّ مُخَالَفٍ .

(١٠) ... وَلِظِلِّهِ

عَسَسَ ، وَيُنْكَجِرِيَّةً ..

وَدَعْتُ ، وَاذْتَسَمَ الْأَفُولُ عَلَى جَبِينِي
وَمَنْحَتُ لِلزَّمَنِ الْمَقْتَتِ نَبْرَتِي
وَمَنْحَتُ نَبْرَتُهُ يَقِينِي .

/... والأرض^(١١) تدخلُ في السعال المعدنيّ / شوارعُ
رُصِفَتْ بِأَطْفَالٍ - ذَبَائِحَ^(١٢) / أُمَّةٌ
تزهو بِعَرْشٍ مِنْ عِظَامٍ^(١٣) .

إذهبْ وطفْ /
فَكَرُّ كَأَسْمَاكِ مُعَفَّتِي ، مَدِينَةُ أَلْسِنِ
قُطِعَتْ وَدَيْسَتْ .
إذهبْ وطفْ ، وَسَلِّ الْجُدُوزُ
كَيْفَ ارْتَدَى جِسْدُ الْمَكَانِ وَحَوْشُهُ
أَوْسَلْ غُرَابَ الْأَبْجَدِيَّةِ - جِسْمَ إِسْمَاعِيلَ ، إِسْمَاعِيلُ
خَارِطَةُ الْعُصُورِ .
إذهبْ وطفْ /
إفْتَحْ هُنَا رَأْسًا ، هُنَاكَ فِكْرَةً

(١١) أرضٌ من الأناض / غاب قبائلٍ ومدابيحُ
أرضٌ تتوجُّ عصرنا
مَلِكًا عَلَى عَرْشِ الْخِرَافَةِ
أرضٌ توسُّعُ بَيْنَ خَطُوتِنَا وَهَوْلِ جَحِيمِنَا ، هَوْلِ الْمَسَافَةِ .
(١٢) ذَبِيحٌ ، وَجِلَادُونَ يِقْتَسِمُونَ جِلْدَ ذَبِيحِهِمْ .
(١٣) أَهْدَى قَرْقَمَاسٌ لِرُؤُوسِهِ سَوَارًا
مِنْ عِظَمِ طِفْلِ .

سترى لوجهك صورةً مجهولةً
وترى ثيابك فوق جسمٍ غيرِ جسمك . ربّما
صادتك أنيابٌ
لها لغة الملائك ، أولها
شكّلُ السماء
إذهب وطّف /
سترى خنازيراً يُحوّلها الكتابُ إلى ظبياء .

... / ونخاف من جسّ الرّغيف ، وما نقولُ لقاتلِ
نَسَجِ الدَّمَاءِ وسائدأ؟^(١٤)

مَنْ أنتَ إسماعيل؟^(١٥) نازفةٌ خطاك
كُتباً يَلْمِلُهَا حِوَاةٌ

(١٤) إجراءُ سلطانٍ / أنتَ مُعْتَلٌّ

أَمْ جاهلٌ لتقولَ : لا ؟

(١٥) هل كان إسماعيلُ قافلةً

ترى الضدَّ الجميلَ ، وتصطفيه أخاً لها؟

هل كان يرفع رأسه

قوساً لموكبِ قلبه

ويرى السماءَ طريدةً لخياله؟

في كلِّ حَرْفٍ حُفْرَةٌ
في كلِّ فاصلةٍ سَرَابٌ
حَسُّوْ ، وَرَجِّمُوا خِرَافَةَ ، -

لم تُبْقِ عندكْ لي مكاناً ليخيطَ حَبْرِي ثوبَهُ
لِيؤَاحِي اللَّهَبُ المحرَّزُ ما أَحْسُ وما أقولُ / شَطَرْتَنِي
وفصلتَ بين دمي وبينِي ، -
مَنْ أَنْتَ إِسْمَاعِيلُ ، كيف أراكْ لَحْظَةً لا أراكْ؟

لكنْ إِسْمَاعِيلَ جَرَحُ
وأنا رقيقٌ عذابه ، ورؤاِي حانيةٌ عليه
وأنا رسالةٌ مُنْتَمٍ - لا مُنْتَمٍ ، كُتبتْ إليه .

/ . . . والأرضُ تُدخَلُ في السُّعالِ المعدنيِّ /
نبيها هيُّ بنُّ بِي (١٦) .

هل قادهُ غيبٌ إلى أسرارِهِ ، حقاً ، وطوَّفَ باسمِهِ
حبٌ لوجهِ الحبِّ - يقرأ في الشعائرِ حُلْمُهُ؟
هل كان اسماعيلُ ظناً ، أم كان إثمًا؟
(١٦) هيُّ بنُّ بِي آلَةُ
لا شيءٍ يقدر أن يترجمَ سِحْرَها .

والأمة انحسرت وذابت

في جدولٍ وحلٍ يسيلُ يذوبُ في هيِّ بنِ بَيٍّ .

يا شمسُ ، يا قدمَ النهار ، تركتِ ليلكِ عندنا
ونسيتِه . .

— من أنت؟

— من تميم .

«وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
يَكْرَهُ عَلَى جَمْعِي تَمِيمٍ ، لَوَلَّتْ» (١٧) .

— لا ، لستُ من تميم .

— من أنت؟ تغليبي؟

— لا ، لستُ تغليبيًّا (١٨) .

(١٧) كُجُكٌ — يسنُّ حرابُهُ

هدم البيوت لكي يُقيمَ حصونَهُ .

(١٨) كُرْزُلَارُ آغا — قال : أموال الصناجقِ للأمير

أخذَ السبايا واشترى

تعيينَه بالمال / فرهادُ خليفته الصغير .

... / والأرضُ تدخلُ في السَّعالِ المعدنيِّ / نبيُّها هيُّ بنُ بِي (١٩) .

من أنتَ إسماعيلُ؟ مَسْرُحنا (٢٠) يواصلُ عَرَضَهُ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

عُنق القذيفةِ كاهنُ
يصلُ الزَّمانَ بخيطةِ
ويُخيطُ سِرِّوالاً لكلِّ دقيقةِ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

من أنتَ إسماعيلُ؟ قيلَ الشَّمسُ عندك جَرَّةٌ ، والأرضُ
صَمْحَنٌ ...

هل أنتَ قلعةُ ساحرٍ ، أم رأسُ غُولٍ؟
- «من أجلِ مجدك في العُلَى» (٢١) ، -

(١٩) جاؤوا بأخري من تبقَى

- جاؤوا بأرجلهم ، و جاؤوا

بأنوفهم : حكّم به طُومانُ أفتى .

(٢٠) حَفَلُ /

وتشربُ كلُّ جمجمةٍ سُلَافَةً حَبَّها من جوفِ ميتٍ .

(٢١) زيدٌ ... / واسماعيلُ يطفُو

جِبَانَةً تجترُّ موتاها وتسكبُ ريقها

مَرْتِيَةً ، -

رثة العصور تمرقت
والأرض خرقه حائك .

متدثراً بدمي ، أسير - تقودني
حُمَمٌ ويهديني حُطامٌ -
حَفَلٌ تنحص به الإبادة نسلها
حَفَلٌ لاسماعيل يَحْتَمُّ الزمان ، تُراه يفتتحُ الزمان؟
حَفَلٌ يضيِّقُ به المكان - وقيل إسماعيلُ جاءَ وقيل غابَ -
ضيوقةً ملأوا المكان

مَلَلٌ وآلهةٌ يَؤَكِلُ بعضها
بَعْضاً ، ويأكلُ بعضها
بَعْضاً ، - ويختلط الكلام

- حشدٌ يوزع وَرْدَهُ
فرحاً بمقصلةٍ تُقام .
- الأطلسُ العربيُّ جُلْدٌ نعامةٌ غلبت نعامةً
- لا غالبُ إلهةٍ / سَرَجُ حصانه
ذهبٌ ، وجبهتهُ غمامةٌ .

والأرضُ تدخلُ في السعالِ المعدنيِّ / نبئها
هيُّ بنُ نبيِّ .

– من أنت؟ من أمية؟ (٢٢)
– لا ، لست من أمية .

– من أنت؟ هاشمي؟ (٢٣)
– لا ، لست هاشمياً .

حَفَلُ لاسماعيلَ ، إسماعيلُ جاءَ وقيلَ وغابَ ، ضيوفهُ
مِلَلٌ وآلهةٌ يَؤَاكِلُ بَعْضُهَا
بَعْضاً ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهَا
بَعْضاً ، – وتمتزجُ الآلوهةُ بالرِّصاصِ
أهُوَ الخِلاصُ؟ (٢٤)

(٢٢) «وهي من أمية بنيانها
وهان على الله فقدانها . . .»
(٢٣) «بني هاشم ، عودوا إلى نخلاتكم
فقد صار هذا التمرُّ ، صاعاً بدرهم
إذا قلتُمُ : رهطُ النبيِّ محمدٍ
فإن النصارى رهطُ عيسى بن مريم»
(٢٤) هل كنت تسألُ عن نجوم قبيلتي؟
أقلتُ / أحبُّ الأفلينَ – صدَّقتُ : أجنحة الدجاج ملانك
والشمسُ قشرة برتقالة
صدَّقتُ : جنسي طحلبُ ،
والله آله .

أدعوك إسماعيلُ ، خَمْرَةٌ عَهْدِنَا
سُكَبْتُ ، ومائدةُ العَسَقُ

في زهوها -

وأنا وأنتِ السَّاقِيَانِ ، وحولنا
حَشْرَاتُ أَسْلِحَةٍ تَطَوَّقْنَا وتَفْقَسُ بِبَيْضِهَا ...

أدعوك إسماعيلُ ، أفتتح النهايةَ : لست نَسَلُكَ (٢٥) .

أعطيتُ قِبْلَكَ جَنَّتِي حَوَاءَهَا
ورأيتُ وَجْهَ اللَّهِ قِبْلَكَ .

أدعوك إسماعيلُ ، أنهبي ما بدأتَ - أقيم في بَهْوِ العُصُورِ
وليمتي .

أَجْتَثُ نَفْسِي مِنْكَ / أَخِرُّ نُورِسٍ
قرأ الشواطئَ جالسٌ
قُرْبِي ، وأوَّلُ نُورِسٍ

(٢٥) أجتث نفسي منه ، - أهلي :

قتالُ آلهة ،

وخالقُ غبطةٍ ،

ومحررٌ ...

كَتَبَ الشَّوْاطِئَ جَالِسًا
 قُرْبِي ، وَأَفْتَتَحُ الْبِدَايَةَ ، خَالِقًا
 لَعِبًا كَوَجْهَ اللَّهِ يَسْبِغُ فِي مِيَاهِ الْأَبْجَدِيَّةِ :
 فِي كُلِّ شَيْءٍ سِرُّهُ
 يَجْرِي ، وَلَيْسَ لِمِثْلِهِ
 أَنْ يَنْتَشِيَ بِجَذْوَرِهِ
 أَوْ أَنْ تَحَاصِرَهُ هُوِيَّةٌ (٢٦) .

مِنْ أَوَّلٍ ، أَتَعَلَّمُ الْكَلِمَاتِ ، أَتَقِنُ سِرُّهَا
 وَأَقُولُ : جَذْرِي
 لَعِبٌ ، وَتِيهُ مِبَاهِجٌ ، —
 كَشْفٌ يُدْشِنُ كُلَّ ضُبُوءٍ
 شَغْفًا ، وَيَقْتَرِشُ التَّرَابَ كَمِثْلِ نَبْعِ (٢٧) .

وَأَقُولُ : أَسْلَافِي هَوِيٌّ
 عَشِقَ الْفَضَاءَ ، وَصَاعَ مِنْ جَسَدِ الْهَوَاءِ شِرَاعَهُ
 وَالْفَجْرُ يُلْبَسُنِي مِبَاذِلُهُ ، وَكُلَّ سَحَابَةٍ

(٢٦) ماذا؟ كأنَّ الماءَ ذَاكَرْتِي / أأَسْكُنُ قَلْبَ نَبْعٍ؟
 (٢٧) أَعْطَيْتُ نَفْسِي صَبُوتِي ، وَنَسِيتُ نَفْسِي .

وَطَنٌ لِحَبِيبِي (٢٨) ،

وأقولُ : حَبِيبِي

من أولِ ، يتعلَّمُ الكلماتِ ، يُتَقَنُ سحرها
ويشاركُ العنبَ النبيلَ بمكرِهِ؛ (٢٩)

أيامه الشَّجَرُ الملقَّحُ بالفصولِ – يداهُ فجرٌ
لا فجرُ لإسماعيلَ ، بل هذا الدم المسكوبُ في كأسِ الكلامِ
لا الأمس ، بل هذا الحُطَّامُ :

جُثَّتْ – أختُ وأخُ ، حداثتُ عاشقينَ وأصدقاءُ
جُثَّتْ – مواعيدُ ، تلهفُ غائبِ
وحنينُ منتظرٍ ، وصبوةُ حالمِ
جُثَّتْ – موائِدُ ، نُقلها كُتِبَ وخمرتها السماءُ .

(٢٨) خبأتُ حزني في جدارٍ – في بيتنا المهديمِ / نجمٌ

ساهرٌ يحنو عليه ، –

يأسِي قناعَ

غضبي غزالاً نافرّاً يرعاه طفلٌ .

(٢٩) ماذا يقولُ مُقيِّدٌ

يمحو النبيُّ كتابَهُ

يمحو الكتابُ لسأتهُ؟

جُثْتُ - وتعجزُ أن تُميِّزَ : أيها

سيفٌ يَجْزُ ، وأيها

عُنُقُ؟ يَجْزُ ، وأيها . . .

جُثْتُ - وتخرج من بُخارٍ سديمها

سَوَّرَ تقولُ : القتلُ مُبتدأٌ ، ويُخلطُ قاتِلٌ بقتيله

ويصيحُ بيتٌ : إنني قَبْرٌ ويصرخُ شاعِرٌ :

شعبي فضاءٌ دمٌ ، يلتبسُ الفضاءُ على الفضاءِ .

مُتدَثِّراً بدمي ، يسيرُ - تقوده

حُمَمٌ ، ويهديه حطامٌ :

أتقدَّمُ الكلمات نحو سَريرها

لأرى بحيرةً مؤنثها ، -

قالَ العسقُ

عُنُقُ الرَّمادِ مَدَدْتُه (٣٠)

جسراً لكلِّ نبوءة ، -

قالَ العسقُ

جَسَدُ المدينة قاحِلٌ

لَقَحْتُهُ ، وجلوتُ للنسغِ المحرَّرِ جنسه ، -

(٣٠) مَرَجَ الرَّمادُ ثيابَهُ

بالريحِ / نام : وسادَهُ

أفقٌ وشمسٌ .

قال الغسقُ

لو أن لي بيتاً لكنتُ دعوتكم
ولقلتُ: فيه تؤمنون وتكفرون
ولكنتُ أرحبُ ساحةً لجنونكم
ولكنتُ أصدقُ صاحبٍ، -
قال الغسقُ .

... / وأنا الذي نبذتهُ كلَّ قبيلةٍ (٣١)
ليكونَ لي أن أسمعَ الصوتَ الذي همستهُ حنجرةُ الغسقِ ،
أعطيتُ للحقلِ الصديقِ شقائقي
أعطيتُ أوراقِ الفصولِ محابري
أعطيتُ ذاكرتي لكل ثنيةٍ
في ذلك الجسدِ الذي سمّيتهُ
وطناً ، وعاش بلا وطنٍ ،

ولبستُ شعري كالكفنِ (٣٢)

(٣١) قاومتُ ، - حتى الضوء مات / ألسنتُ نبضاً؟
في كل شيءٍ نبضةٌ ماتتُ / أتنهضُ؟ كيف أعطي
لخطاي دربك؟ كيف أبدأ؟ أين أمضي؟
(٣٢) جلسَ النهارُ إلى خواني مرهقاً
وبكى / فرحتُ ، - رأيتَه يبكي معي .

أعطيتُ قرميدَ الثلوجِ قصائدي
دفناً له ،

أعطيتُ شيخَ الريحِ عُكازاً توارثهُ أبي عن جدّه
أعطيتُ أهدابَ السَّماءِ نوافذي
أعطيتُ كلُّ مهيمٍ شغفي وناري
أعطيتُ هاجِرَ كلِّ ما يُعطيه إينُ
أعطيتُ إسماعيلَ أجملَ ما رأتهُ طفولتي ،
ليكونَ لي أن أسمعَ الصَّوتَ الذي همَّستهُ حنجرهُ
الغَسَقُ .

غَسَقٌ وإسماعيلُ يدخلُ في الغَسَقُ
إملاءً صَحراءٍ ، ورأسكُ - طائحاً ، إيقاعها (٣٣) .

غَسَقٌ وتبتهجُ الطبيعةُ بالغَسَقُ
ودمي نشيدٌ للغَسَقُ
صفصافةً فرَّشتُ جدائلها لتحتضنَ الغَسَقُ
ماءٌ يفارقُ نبعه ليرى الغَسَقُ

(٣٣) مازال جِبْرُ الكهفِ يرسمُ فأسهُ
في قلبِ عصري : لست منه ، أنا نقيضُ :
حَفَّازُ أحلامٍ ، - غيومُ
وعدت يبرقُ .

في كل شيء زهرة
تحنو على كتف الغسق؛ (٣٤)

غَسَقٌ وترتطم السماء بخطونا ، -
هُوَذَا أصافحُ خالقاً
جَمَدت أصابعه ، وأعطي
لُعنتي لحبر الموت ، - أتبعُ هذه الكُرَّة الخفيفة
من خيوط العنكبوت
وأقولُ : أرضي عاشقٌ ميتٌ وعاشقةٌ تموت .
هُوَذَا ، سأرسم كوكبَ الغَسَقِ المضيءِ على يدي ،
لكي أحييَ وردةً
دَبَّلتُ ، وكنتُ قطفْتُها
من شُرْفَةِ الزمنِ الذي آخيته ،
ولكي ألامسَ طينها بكرةً ، يردُّ إلى العناصرِ سحرها
ويقولُ لِلْغَةِ اتبعيني
هذا هو الغَسَقُ الجميلُ قَتِيلُهُ يَرِثُ القَتِيلُ
هذا هو الغَسَقُ الدليلُ (٣٥) .

(٣٤) أين اتجهتُ ، أرى قلباً
ثُقتُ ، - أرى رأساً تتلَّى ...
(٣٥) كتف النهار جريحةً ، واللبليل يعرُجُ / حيناً
قبرٌ ، - سأقطف وردة وأضمها لرسائلي :

متدثراً بدمي ، أجيء - يقودني
حلمٌ ويهديني بريقٌ ، -
هياتُ بيتي لابنِ رُشدٍ
وأبي نواسٍ ، والرّضي
وكتبتُ للطائي أن يأتي ، وقلتُ لذي القروح : أبو العلاء أتى ،
وأحمدُ ، وابنُ خُلدونٍ ، -
سنعلنُ آيةَ الأحشاءِ ، وسوسةَ السّديمِ الأوّلي
ونفككُ اللّغةَ الدفينه
في غابةِ الأشياءِ ، - نقرأُ صخره
عَمَصْتُ ، ونسمعُ ما تُوشوشُ ياسمينه
ويدورُ في خَلْدِ الحقولِ :
أحبُّ زهرةَ رغبةٍ
والشعرَ فاتحةِ العُقولِ (٣٦) .

بيروت ناقة هاربٍ ، والموت هودجها / رأيتُ جرائمها
ترعى ، رأيتُ خرافها
ورأيتُ رقصَ معادنٍ . . .
وأرى : الخيامُ هي الخيامُ ، أرى : الطلُومُ هي الطلُومُ
طُرُقٌ مَزْرَعَةٌ بعصفِ سديمها
والنارُ تعرفُ ما أقولُ . . .
(٣٦) قرَدٌ على حجرِ التنبؤِ جالسٌ
يرنوا لي كأنني قديسهُ :

... / وأنا الذي نبذته كل قبيلة
 أدعوك ، اسماعيلُ ، أكْمِلْ ما بدأتُ / أقيمُ في بهو العصور
 وليمتي

لم يبقَ من جسد المكان سوى التراب / حضنته
 طيناً ، وضربة خالقٍ -
 لعباً يذوب في دمي تزيّاقه ، -

ببراءة اللّعبِ التّبسّتُ ، - رأيتُ في الحجر الجناح ،
 رأيتُ جسمي وردة

تملي كتابَ رحيقها ، والكونُ حَبْرٌ
 ببراءة اللّعبِ اتّحدتُ ، وعُجّرتُ
 صُورُ الطبيعة - قلتُ للّعبِ استَبِخْ جسدي وخُذني
 يا شيخَ حَبِّي ، أيها البحرُ المنورُ ، أعطني

أقولُ اسماعيلُ ناري ، هاجرُ
 بيتي ، وابراهيمُ بردُ؟
 ماذا أقولُ له؟ أأزعمُ أنني
 ربُّ؟ وأعلنُ جنّتي :
 حواءُ تفاحُ ، وأدمُ شهوةُ
 والموتُ مفتاحُ السماء؟
 أأقولُ : لي قدمٌ هنا ، ويدٌ هناك ،
 ولي خيولُ في الهواء؟

حَضُنَا يَشَارِكُنِي جُمُوحِي
لَكَ صُورَةٌ - أَطْرَافِي ارْتَسَمَتْ عَلَى أَطْرَافِهَا
وَأَنَا وَأَنْتَ مُضَرَّجَانِ بَعْدِنَا (٣٧) .

وَأَنَا هَوَى بَطِرٍ يُحَصِّنُنِي - أَنَا حُلْمِي أَخْطُ غِيَوِيَهُ
صُورًا تُكَاشِفُنِي
أَنَا جَسَدِي ، وَلِلْجَسَدِ ابْتِهَالِي
وَالْحَلْمُ زَهْرٌ مَوَائِدِي
وَالْحَلْمُ خَبِزِي وَاحْتِفَالِي ،
فَأَرَى كَأَنِّي طِينَةٌ
جُبِلَتْ بِغَيْرِ غُبَارِهَا
وَيَضْمُنِي جَسَدِي إِلَى جَسَدِي ، وَيَسْأَلُنِي سَوَالِي .

وَأَرَى كَأَنِّي
أَخِيْتُ بُهْلُولًا ، وَسَقَيْتُ إِلَى الْمِيَاهِ قَطِيعَ نَخْلِ (٣٨)
(لَوْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ يُعْتَقُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ)
أَخِيْتُ بُهْلُولًا وَسَخْتُ ، صَحَبْتُ سَرَّخَسَ نَشْوَةَ

(٣٧) عَهْدٌ يَنْوِّرُ صُورَةَ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ ، -

زَمَنٌ - هِيَامٌ خَالِقٌ ، وَبِهَاءٍ عَيْدٌ .

(٣٨) لِلنَّخْلِ أَقْوَامٌ وَلَيْسَ لَهُ سَهَامٌ .

ولبستُ صفصافاً ، وقلتُ الوردُ خيمةَ عاشقٍ
 (لو أنَّ اسماعيلَ يُعتِقُ نفسه من نفسه)
 أخيتُ بهلولا وكنتُ الجسرُ بين غوايةٍ وغوايةٍ
 (لو أنَّ اسماعيلَ يُعتِقُ نفسه من نفسه)
 أخيتُ بهلولا وأسكنتُ الخليقةَ في رداثي
 وجَهرتُ : أُولى أن يكون الحقُّ معراجاً وراثي
 أخيتُ بهلولا لأدخلَ في الأفولِ
 وأضمُّ آخِرَ زهرةٍ لتكونَ أولَ ما أقولُ (٣٩)

ما كان كانُ

حَصْرٌ وبدوٌ - معجمٌ لِنُخرافةٍ
 (جَنَحَ الغرابُ إلى البياضِ / فلانةُ
 كتبتُ طفولتها رقيمَ هوىٍ وأرَّخه فُلانُ
 بيتاً لإسماعيلَ - حقلَ دمٍ) / أقولُ
 أعطيتُ عَصْبِي للغبارِ ، دخلتُ في رَحِمِ الأفولِ
 طيفاً لتاريخٍ يجيءُ ، - أكاد أسمعُ خطوةً :

(٣٩) سأقولُ إسماعيلَ وادٍ من حجِرُ
 سأقولُ إسماعيلَ فَنَحَارَ تَشَقُّقَ وانكسَرُ
 سأقولُ إسماعيلَ صَنِّعةَ صانعٍ
 وأقولُ هاجِرُ لم تهاجرُ .

يا صورةً ستجيءُ ، يا لغتي وحيبي
إن كنتِ واحدةً ، فباسمكِ - باسمِ هاجسكِ الكثير ، أنا أنا ، -
وأنا سوايَ (كأنَّ اسماعيلَ يخلعُ نفسه من نفسه)

عَسَقُ وتَبْتَهجُ الطبيعةُ بالعسقُ
ودمي نشيدٌ للعسقُ ، -
بحرٌ يموجُ إليّ مُشْتَعِلًا يكرّرُ موجهُ
هذا هو العسقُ الجميلُ - قتيله يَرثُ القتيلُ
هذا هو العسقُ اللّليلُ .

(بيروت/ تموز - تشرين الأول 1983)

قبل أن ينتهي الغناء

1

عُنُقُ جَامِحٍ ، عُنُقٌ ، حَائِرٌ -
الْغَيُومُ تَحِيكُ عِبَاءِهَا ،
وَالرِّيَّاحُ تَجِيءُ خِفَافاً عَلَى صَهَوَاتِ الْحَقُولِ .

لِسُهُولِ جِبَالٍ
تَتَدَلَّى الْقُرَى مِنْ ذُؤَابَاتِهَا ،
لِنِسَاءٍ يُزْتَرْنَ خَصِرَ الْفِئَاءِ
بِمَنَادِيلِ أَحْزَانِهِنَّ ، وَللْحَزَنِ يَقْرَأُ مَا كَتَبَتْهُ الْفُصُولُ ،
لِمَحَابِرِ جَفَّتْ ، لِحَبْرِ يَنْقُطُ وَجْهَ السَّمَاءِ ،
يَنْحَنِي الشَّاعِرُ ،
يَتَذَكَّرُ : لِلْفَقْرِ حِكْمَةُ شَمْسٍ ،
وَالدَّرُوبُ عَلَى قَدَمَيْهِ
عُنُقُ جَامِحٍ ، عُنُقٌ حَائِرٌ .
أَشْعِلُوا لِلْمُشْرِدِ فِي فَلَوَاتِ الْكَلَامِ
نَارَ أَشْوَاقِهِ ،

وانقشوا صخرة النهر ، عززاله
والبياض المخبأ في لوح أيامه - انقشوها
بالحنين ، وبالشمس تخلع في وردة
ثوبها كي تفيق ، وتلبس زمانة كي تنام .

حبق البيت ، نعناعه
شرفتان لكل يد تومثان
لم أكن بعدُ أعرفُ كيف يُضاء المكان
بالصدّاقة . نجمي
لم يكن دار في فلك الأصدقاء
لم يكن بعدُ يكبو ، وتشحط رجلاه في مهمه من جراح .
غير أن الصباح
كان يلقي دفاتره ، كل يوم
في فراشي ، بين يدي ، ويملئ رسائله للفضاء ، -
تنتشي تلة ،
يزدهي ساحل
الينابيع تقرأ للعشب أسفارها
والغصون تسوس الهواء .
- ما له قورك الجافل ؟
وجهه ناحل ، لونه حائل ،
هل تنشق خمارة ؟

— لم يُطِقْ ، مرَّةً ، نِيرَةً .
— والرَّهَانُ؟
— خسِرْتُ الرَّهَانَ .

2

ساحَةُ القَرِيَةِ احْتِفَاءً —
يَجْلِسُ الْمُتَعَبُونَ : حَوَارٌ ، ذِكْرِيَاتٌ ، هُمُومٌ ،
مَجْلِسٌ
تتَعَانَقُ فِيهِ الجِرَاحُ ، وَيُنْسِي النَّهَارُ النَّهَارَ . طَيُورٌ
تتحدَّثُ مَعَ ريشِهَا .
عَسَقٌ يَتَمَرَأى
بَيْنَ سَاقِي فِتَاةٍ ، والمُصَلِّونَ تحتَ الشَّجَرِ
يَعْقِدُونَ مَعَ الغَيْبِ أخْلَافَهُم .

غَيْرَ أَنَّ الحُقُولَ يَبَاسٌ ، والعَزِيزُ المَطَرُ
لم يَجِئْ مِنْذُ دَهْرٍ .

— تحتَ تِلْكَ العَرِيشَةِ كَنَزٌ .
— يُنْبِشُونَ القُبُورَ ، وَلَكِنْ . . .
— مرَّةً ، وَجَدُوا هَيْكَلًا

دُهشوا : رأسه مثلُ تَفَاحَةٍ
ويدأه رَقِيمٌ :
« بين رِذْفِي وَنَحْرِي
فَلَكُ دَائِرٌ ، فَلَكُ قَاتِلٌ » .

المساء يَلْمُ المقاعدَ . ليلٌ
حَالِكٌ ، لِلنَّجْمِ
أَوْجَةٌ قِيلَ عنها : ملائِكُ ، منها
ما يدومُ ، ومنها
كَبِنِي آدَمَ ، لا يدومُ .
بعضُهُم يتذكَّرُ أسماءَها
بعضُهُم يتفقُّهَ فيها ، ويقولُ : إليها
يَنْتَهِي كلُّ عِلْمٍ .

بعضُهُم يدَّعي
أَنَّ نَجْمًا هُوَ
فَوْقَهُ ،
ورأه يبدُلُ قُمْصَانَهُ .

يَسْمَعُ الطِّفْلُ ، يَنْهَضُ ، يَمْضِي
سَاعَةَ الدَّرْسِ حَانَتْ ، والقناديلُ لا زَيْتَ فِيهَا .

شَمْعَةٌ حَامِلٌ

وَصَبَعَتْ نُورَهَا

بين أهدابه ،

نُورَهَا عَاشِقٌ نَاحِلٌ

لَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحْيِي

هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، الْمُتَنَبِّي :

أَلْهَالُ الَّذِي يَسْتَضِيءُ بِهِ أَفْلٌ .

3

عِنْدَمَا يَنْزِلُ الشِّتَاءُ

مِنْ ذُرَاهُ ، وَيَرِيضُ فِي الْعَتَبَاتِ ، وَخَلَفَ النُّوَافِدِ ،

تَأْوِي الْحَقُولُ إِلَى عُرْيِهَا

وَيَنَامُ الْحَجَرُ

بَيْنَ أَجْفَانِهَا .

كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقُولِ

لَعِبٌ غَامِضٌ ، حَدِيثٌ

لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ مِنْهُ

غَيْرَ هَرَجِ الْعَصَافِيرِ تَغْزُو

وَتَخْتَارُ أَشْهُى ثِمَارِ .

كنتُ أختارُ: أيُّ البُقُولِ
 يَتَخَيَّرُهَا العَاشِقُونَ
 لَصِبا بَاتِهِمْ
 مِثْلَمَا حَدَّثَ الشَّيْخُ، وَأَكَدَهُ العَارِفُونَ .

عندما كان جيشُ الشتاءِ يُرابطُ بَيْنَ النَّوَاذِ،
 تَأْوِي النَّسَاءُ
 لِمَقاصِيرِ أَحْلَامِهِنَّ . المقاصيرُ تَرْوِي
 مَا رَوَتْهُ السَّيَّرُ
 عَن قُلُوبٍ - كَوَاكِبَ، عَن عَاشِقَاتٍ
 مِّنْ غُبَارِ الزُّمَرِ، أَوْ مِّنْ حَرِيرِ الزَّهَرِ
 فِي المَقاصِيرِ يَعْشَقْنَ، يُسَلِّمْنَ لَلِئَلِ أَجْسَادَهُنَّ،
 وَلِلشُّوقِ أَكْبَادَهُنَّ،
 وَأَهْدَابِهِنَّ لِمَوْجِ الصُّورِ، -

- دُمُّهَا كَانَ يَكْرَأُ .
 - لَمْ تَخْفُ . تَحْتَ زَيْتُونَةٍ أَتَاهَا
 وَضَعَتْ نَاهِئِيهَا
 بَيْنَ عُصْنَيْنِ، رَمْزاً:
 فِي يَدَيْهِ سَلَامٌ وَدِفْءٌ .

– جَدُّعُهَا جَدُّعٌ نَخْلٍ
وَالضَّفَائِرُ صَفْصَافَةٌ .

– خَرَجْتُ مِنْ مُحِيطِ السَّوَادِ إِلَى مَرَكِزِ الْبَيَاضِ
عِنْدَمَا جَاءَهَا الْمَخَاضُ .

وَالْمَقَاصِيرُ قَشٌّ وَطِينٌ
وَتَعَازِيمٌ حَاءٌ وَبَاءٌ .

4

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :
أَلْقَبُورٌ تُرْشُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْقَمْحُ يَصْدَأُ ، وَالسَّنْبَلَةُ
هَجَرَتْ عُنُقَهَا .

لَمْ تَكُنْ قَدَمَايَ كَمَا يَحْدُثُ الْآنَ تَرْتَجِفَانِ –
تُرَانِي فِي هُوَّةٍ؟

زَمَنٌ يَتَقَدَّمُ فِيهِ الْجَوَابُ ، وَتَنْهَزُمُ الْأَسِنَّةُ .
يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :

لَيْسَتْ الْأَرْضُ إِلَّا
فَلَكًا مِنْ طُهَاءٍ ، فَلَكًا مِنْ طُغَاءٍ .

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :
يَسْتَعِيدُ وَيُمْلِي

دَرَسَهُ الْمُخْتَصِرَ :
قَلَمُ الْحَبِّ قَوْسٌ فِي كَفِّهِ وَأُنْكَسَرَ .

5

أَخَذْتَنِي رِيَّاحِي ، وَاللَّيْلُ طِفْلٌ
فِي ثِيَابِي ، وَأَلْقَتْ
لِغَطَاءِ رَقِيقِ صَبَايَ : شُمُوسٌ
وغيوبٌ
وأرضٌ
تَتَبَطَّنُ ذَاكَ الْغَطَاءُ
وَأَنَا الْآنَ فِيهِ وَمَنَّهُ ، نَسِيجٌ
يَتَمَرَّقُ . مَاءُ التَّعْلُلِ شَحٌّ . مَنِ الْقَائِلُ :
طَعْمُ حَوَاءَ مَرٌ
وَأَدَمَ سُمٌ ؟
شَحٌّ ضَوْءُ الطَّرِيقِ - الْمَعْرِي
رَسَمَ الْأَرْضَ قَارُورَةً
وَرَمَاهَا إِلَى اللَّجِّ - يَا أَيُّهَا الْعَادِلُ
مَا الَّذِي يَتَرَاءَى لِيَأْسِيكَ ؟ لَا ، لَسْتُ أُسْأَلُ ،
عَفْوِكَ ، عَيْنَاكَ لَا تُخْطِئَانِ :
الْخَلِيقَةُ شِعْرٌ
وَصَوْتُكَ دِيوَانُهَا الْكَامِلُ .

6

قُلْ لَأَمْوَاجِكِ اسْتَقْرِي
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُعْطَى
بالحطام ، وكرّر
ما يقول النَّوَاسِي : دَاوُكَ هَذَا الدُّوَاءُ .

والطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِنَا ، نَزَلَ الزَّهْرُ عَنْ كَتْفَيْهَا -
أَتَذَكَّرُ : كَانَ الْمَسَاءُ
يَتَمَدَّدُ فِي حَضْنِ أُمِّي
مُلْقِيًا رَأْسَهُ عِنْدَ رَأْسِي ،
أَيُّهَا الْوَقْتُ حَرَكٌ زَمَادِي
فَأَنَا مُطْفَأٌ وَنَسِيْتُ الْغِنَاءُ .

7

النَّبَوَاتُ تَجْتَرُّ أَشْلَاءَهَا
وَالزَّمَانُ حَصَاةٌ
تَتَدَخَّرُ فِي رِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

(باريس ، أوائل أيلول 1992)

البرزخ

للأساطير التي تحضين أيامي وللحلم الذي يحنو عليّ
أغسل التاريخ - ما قال ، وما أنكره
بالإشارات التي يرسلها الفجر إليّ .

1

خرج الحاضر من أسمائه
يخرج الشيء على أسمائه - لا أسميه ، ولكن
قلد الورد يد الشاعر واستسلم للماء الذي قلد نهر الرغبات
فقل الآن للليل الكلمات :
أنت نور آخر يقتحم الفجر عليه
سأحيي وردة يحملها الشعر إليه -
هوذا ، أيقظت أعماقي وصيحت الحب جاء
عاشقاً ، أصغي إلى جسمي ، وأستقرئ ما يكتمه
وحصادي دائماً جهلي به .
سأحيي وردة يحملها الشعر إليه ، -

أُكْتُبِ الْجِنْسَ الَّذِي فِيكَ لَكِي تَقْرَأَ تَارِيخَ الْأَبَدِ
لا تعيشُ الرُّوحُ في العَبْطَةِ إِلَّا
عندما يكتُبُها تيهُ الجسدِ .
سأحْيِي وَرْدَةً يَحْمِلُهَا الشَّعْرُ ، سَأَبْقَى
أزرقُ الغَيْمِ ، وَأَبْقَى
أَسْحَبُ الْأَفْقِ بِخَيْطِ
وَأَجْرُ الشَّمْسِ مِنْ أَرْدَانِهَا .

أولُّوني
جَسَدِي رِقٌّ - كِتَابٌ
كَتَبْتُهُ أَبْجَدِيَّاتُ نُجُومٍ وَعُيُومٍ
جَسَدِي مَسْرَى إِلَى النُّورِ وَأَشْلَاءِ دُرُوبِ
جَسَدِي يُؤَلِّمُ لِلسَّرِّ الَّذِي يَتَكَيُّ الْآنَ عَلَى سُرَّتِهِ -
أولُّوني /
يَكْتُبُ النُّورُ عَنْ عَائِلَةِ الْبَحْرِ كِتَابًا مِنْ زَبَدِ
أولُّوا صَوْتِي ، قَوْلُوا
لم يَعْدِ يَعْرِفُ أَنْ يَبْسِمَ أَوْ يُؤَمِّنَ أَوْ يُصْنَعِي لِلْفَجْرِ أَحَدٌ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا وَلَكِنْ
 لِإِبْتِكْرِ مَا صَنَّفَ الْمَاضِي ، أَعِدْ إِعْجَامَهُ
 وَأَعِدْ تَصْرِيفَهُ
 وَأَعِدْ إِعْرَابَهُ -

أَلْيَقِينُ الْآنَ شَحَاذٌ . أَحْيِي
 شَاطِئًا يَكْتَبُهُ الْبَحْرُ وَيَرْوِيهِ إِلَى أَمْوَاجِهِ
 وَأَحْيِي خِرْقَةً
 مَسَحَ الْعَاشِقُ فَنَحَذِيهِ بِهَا
 وَأَحْيِي طَحْلِبًا
 وَأَحْيِي قَشَّةً
 رَيْمًا عَلَّمَنِي السَّيْرُ عَلَى الطَّحْلِبِ أَهْوَاءَ الْمَكَانِ
 وَحِسَابَ الْوَقْتِ ، وَالرَّحْلَةَ فِي إِسْتَفْتِجَةٍ
 رَيْمًا عَلَّمَنِي الْقَشَّ الرَّهَانَ ،
 وَأَحْيِي كُلُّ مَا يَهْوِي
 وَلَا يَخْضُنُهُ أَيُّ قَرَارٍ .
 هَلْ أَسَمِّي أَلْفَ الْحَيْرَةِ مِفْتَاحًا ، وَيَاءَ الْيَأْسِ بَابًا
 وَأَقُولُ ارْتَسَمَتْ دَائِرَةُ الصِّدْقِ ، وَدَارُ الْأَصْدِقَاءِ؟
 وَلِمَاذَا لَا أَقُولُ الزُّبْدُ الْحَبْرُ ، وَمَنْ آيُنَ أَتَانِي
 أَرْقُ الْمَعْنَى ، وَتَأْتِينِي هَذِي الْبُرْحَاءُ؟
 أَتَرَى حَظِّي حَصَى أَرْمِي بِهِ

فَرَسَ السَّرَّ وَمَعْرَاجَ السَّمَاءِ؟
 فِي فُقَاعَاتٍ مِنْ الصَّنْمَتِ الَّذِي يَلْقَحُ بِالْمَوْتِ الْهَوَاءَ
 يُوْغِلُ الشَّاعِرُ فِي أَهْوَالِهِ -
 لَيْسَ لِلنُّورِ أَحْ إِلَّا الْفَضَاءُ .

3

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيهَا ، وَلَكِنْ
 إِسْأَلُوا الشَّرْقَ : أَلَنْ يَضَجَرَ مِنْ مَزْجِ خُطَاهُ
 بِالذَّمِّ الدَّفَاقِ مِنْ أَبْنَائِهِ
 وَمِنْ السُّكْرِ بِهِ
 وَمِنْ النَّوْمِ عَلَى أَشْلَائِهِمْ؟

قَامَةُ التَّارِيخِ مَالَتْ فِي يَدَيَّ
 إِنَّهُ الْإِنْسَانُ - مَذْبُوحاً عَلَى صَدْرِ نَبِيٍّ
 أَقْرَأَ الرَّمْلَ وَأَسْتَأْنِسُ بِالرَّيْحِ الَّتِي تَذَرُو وَتَنْأَى
 وَأَقُولُ الْحُلْمُ ضَوْءٌ وَلِقَاحٌ
 وَعَلَى الْحُلْمِ تَأَسَّسْتُ ، وَفِي الْحُلْمِ بَنَيْتُ
 أَيُّهَا الْوَاقِعُ مِنْ سَمَّاكَ ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟

لِسُلَّالَاتٍ مِنَ الْجُرْحِ
 الَّذِي يَجْهَلُ

هَلْ يَضْحَكُ أَمْ يَبْكِي ،
دَمِي طِفْلُ سُؤَالٍ .

4

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، وَأَنَا أَعْشَقُ أَشْيَائِي - قَمِيصِي ،
قَهْوَةَ الصَّبْحِ ، وَأَقْلَامِي ، وَالْأَسْوَدَ مِنْ حَبْرِي ،
أَشْيَائِي بَقَايَا عَتَبَاتٍ

وَأَنَا أَعْشَقُ لَيْلَ الْعَتَبَةِ
كَلَّمَا شَرَّدَنِي عَنْهَا غِيَابٌ
شَرَّدَتْ عَنِّي نَفْسِي ،
وَأَنَا أَعْشَقُ نَوْمِي / عِنْدَمَا أَدْخُلُ فِي دِفْءِ سَرِيرِي
تَفْتَحُ الشَّهْوَةَ لِي أَحْضَانَهَا
وَأَرَى أَجْمَلَ أَحْزَانِي فِي أَغْوَارِهَا الْمُصْطَخِبَةِ .
يَنْتَمِي عَهْدِي مَعَ النَّيِّهِ إِلَى فَجْرِ دِمَشقٍ
وَالْيَهَا تَنْتَمِي نَارِي ، أَحْشَائِي قَوْسٌ
هَائِمٌ فَوْقَ دِمَشقٍ .

كَلَّمَا حَدَّثَنِي حَقْلٌ ، سَأَلْتُ الْعُشْبَ : هَلْ تَغْفِرُ لِي رَمْلِي ،
وَهَلْ يَقْدِرُ سَيْفُ الْمَاءِ أَنْ يَبْتَكِرَ الْجَزْمَ الْبَرِيءَ ؟
لَمْ أَعُدْ أَنْتَظِرُ الْأَخْضَرَ / فِي الزَّرْقَةِ أَشْتَاتِ سَوَادٍ

والبياضُ انفتحتْ هالآته

هَاجِسُ الغَيْمِ يَرِجُ الأَلْقَ الباقِي فِي صَحْوِي / دُخَانُ

فِي البُحَيْرَاتِ التِي يَكْنِزُهَا الظَّنُّ ،

وَلَا يُوقِظُ عَيْنِي سِوَى اللّوْنِ الذِي أَجْهَلُ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ .

غَيْرَ أَنَّ الأَفْقَ يَسْتَأْنَسُ بِالرَّيْحِ التِي تَخْلَطُ فِي وَجْهِ ،

غُبَارِي وَرُؤَايَ

مَا الذِي يَحْضُنُّنِي - يَحْضُنُهُ الآنَ هَوَايَ؟

هِيَ كَانَتْ مِثْلَمَا يَأْخُذُكَ الحَلْمُ إِلَى لَيْلِ صَدِيقِ

يَأْخُذُ اللَّيْلَ إِلَى حَلْمِ صَدِيقِ

وَأَنَا كُنْتُ كَمَنْ يَرَسُمُ عَيْنِيهِ عَلَى العُشْبِ ،

وَلَا يَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ وَلَا أَنَّى وَلَا كَيْفَ الطَّرِيقَ؟

زَهْرُ الحُبِّ عَلَى طَاوِلَةِ الرِّيحِ مَنَادِيلُ هَبَاءَ

أَيْسَمَّى فَشَلًّا أَنْ يَعْجِزَ المَاءُ عَنِ النُّطْقِ ، وَالْأُ

يَقْدِرَ البَحْرُ عَلَى قَتْلِ حِصَاةَ؟

كَيْفَ لَا تَحْتَرِفُ الرِّيحُ البُكَاءَ؟

... إِنِّهَا ذَاكَرْتِي تُبْحِرُ فِي مَاءِ الصُّورِ -

بَيْتِي الأَوَّلِ ، مَرْسُومًا عَلَى

جَسَدِ العُشْبِ وَأوراقِ الشَّجَرِ

جَسَدٌ مَدَّتْ لَهُ الذُّكْرَى يَدًا

كَيْدِ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِ المَطَرِ

مَا الذِي يُعْتَقِنِي مِنْهُ ، وَمَاذَا

فِي دَمِي يَرِفُضُ نَبْضَ الْإِنْعَتَاقِ
 جَسَدٌ يَخْنَقُهُ شَرِيَانُهُ
 أِهْ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْإِخْتِنَاقِ .

5

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا ، وَلَكِنْ
 سَأَقُولُ الشَّيْءَ مَا أَكْرَمَهُ
 هُوَذَا يَأْخُذُ أَعْمَاقِي إِلَيَّ وَحَدِيثِهِ
 وَيُؤَاوِينِي أَنَا الطَّيْفُ الَّذِي يَعْبُرُ فِي أَجْفَانِهِ
 وَأَنَا الصَّامِتُ وَهُوَ الْكَلِمَةُ
 وَأَقُولُ : الشَّيْءُ - مَا أَعْلَمَ هَذَا الْجَهْلَ ، يَرُوي
 لُغَةَ الْكَوْنِ ، وَلَا يَعْرِفُ رَغَبَ اللُّغَةِ الْمُتَنَفِّصِمَةِ .
 وَهُوَ لَا يَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ الْأَقْحَوَانُ
 شَامَةً يَرَسُمُهَا اللَّوْنُ عَلَى وَجْهِ الْمَكَانِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا . لُغَاتُ
 وَلِكُلِّ صَوْتُهُ
 كُلَّمَا حَدَّثْتَنِي شَيْئًا ، سَمِعْتُ الْمَوْتَ يُصْنَعِي
 كُلَّمَا حَدَّثْتُ شَيْئًا
 خَرَجَتْ نَفْسِي مِنْ دِجَلَتِهَا

وَمَشَتْ مَشْطُورَةً فِي الضَّفْتَيْنِ
مِثْلَمَا يَنْشَطِرُ التَّارِيخُ فِي قَبْرِ الْحُسَيْنِ .
تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
لِي فِي أَرْضِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي اسْتَصَفَيْتُهَا
وَطَنٌ ضَاقَ عَلَيَّ خَطْوِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ فِيهِ
(الأنبياء دائماً فاجأت بالفجر خطاه؟)

وَهُوَ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يَخْفِضَنِي ...
عَجَبًا ، هَذَا الْوَطَنُ
كَيْفَ لَا يَكْبُرُ فِي أَرْجَائِهِ غَيْرُ الْكَفَنِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا وَلَكِنْ
قُلْ لِهَذِي الثَّنِينَةِ السُّودَاءِ كَفَّاكَ نَجُومَ
قُلْ لَشَعْبٍ يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ فِي أَنْفَاسِهِ :
إِنَّ هَذَا الْأَمَلَ النَّاشِبَ فِي أَعْمَاقِهِ ،
مُحْ بَعُوضٍ .

أَهْ يَا مَائِدَةَ الْمَوْتِ الَّذِي يَخْصُدُ أَعْنَاقَ حُقُولِي
إِنِّي أَعْجُزُ أَنْ أَرْزَعَ إِلَّا فِي سَدِيمٍ -

هُوَ ذَا أَخْرَجُ مِنْ هَاوِيَةٍ .

لَيْسَتْ أَنَا ،

هُوَذَا أُدْخِلُ فِي هَاوِيَةٍ

لَيْسَتْ أَنَا

كُلُّ أَشْيَائِي أَحْتَنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي عَادِيَتْهُ

كُلُّ أَشْيَائِي عَادَتْنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي أَحْيَيْتُهُ ،

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُصْنَعِي ، وَلَكِنْ

كَمْ أُنَادِيهِ لِكَيْ يَحْضَرَ عُرْسَ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَطِيَتْ قَبْرِ الزَّمَنِ الْمَيِّتِ بِثَوْبِ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَنَيْتُ لِلشَّيْءِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِي أَوَّلِ الدَّرْبِ قَطِيعُ الْكَلِمَاتِ

وَتَحَدَّثْتُ مَعَ الشَّيْءِ لِكَيْ أَنْقَلَ أَحْزَانِي

إِلَى اللَّأَشْيَاءِ - مُوضُولًا بِخَيْطِ الْكَلِمَاتِ

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ مِفْتَاحٌ وَلَا يَفْتَحُ إِلَّا الْكَلِمَاتُ .

إِقْرَعِ الْبَابَ لِكَيْ تُوقِنَ أَنَّ الْكَلِمَاتِ

جَسَدٌ آخِرٌ لَا يَلْبَسُ غَيْرَ اللَّيْلِ ، إِقْرَعُهُ لِكَيْ تُوقِنَ :

مَا يَخْضِنُهُ التَّارِيخُ

يُسْتَنْبِتُ فِي الْعُشْبِ

الَّذِي يَحْيَا

بِمَاءِ الْكَلِمَاتِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمَائِهَا وَلَكِنْ

لُعْتِي تَصْنَعُ أَعْدَائِي نَسْجًا
مِنْ خَيْبُوطٍ غَزَلْتَهَا شَهْوَةً ،
مِثْلَ دُمَى -
كُلَّ أَعْدَائِي كَانُوا أَصْدِقَائِي - غَيْرَ أَنِّي
شَطَحْتُ قَافِلَتِي
وَتَوَغَّلْتُ إِلَى أَعْلَى وَأَتَأَى ،
إِنِّي أَعْجَزُ أَنْ أَمْشِيَ إِلَّا فِي جَحِيمٍ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
لَا أَسْمِيهَا وَلَكِنْ
لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
فِي مَوْعِدِي الْأَوَّلِ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ
عِنْدَمَا سَمَّيْتُ قَصَابِينَ أَرْوَادَ وَنِينَارَ ،
وَكَانَ الْوَرْدُ فِي دَجَلَةٍ عِطْرًا فِي الْفُرَاتِ
عِنْدَمَا أَعْطَيْتُ لِلرِّيحِ تَمَارِينِي فِي الصَّبْفِ ،
وَأَثَرْتُ عَلَى النَّزْهَةِ فِي مَا تَجَهَّرُ الْأَحْرَفُ ،
أَنْ أَصْغِي إِلَى هَمْسِ حَصَاةٍ ،

لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
فِي رِيَا أَسَاطِيرِي وَأَحْلَامِ يَدِي
وَأَنَا أَنْسَى وَأَسْتَغْفِرُ مَا أَنْسَاهُ

مَحْمُولاً عَلَى الْمَوْجِ الَّذِي يَهْدِرُ فِي غَوْرِيٍّ مَجْهُولاً خَفِيٍّ
 رُدُّ عَنِّي تَوَمِيَّ الْأَسْرِ نَمَّ فِي مُقَلَّتِي
 أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ كَيْ أَدْخَلَ فِيهِ
 أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ أَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ .

6

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
 لَمْ يَرِثْ شَيْئاً دَمَ الْأَجْرِ (لَمْ يَنْسَ الْمَعْرِي
 أَنْ يَقُولَ الْمَوْتَ مَزْرُوعٌ
 هُوَ الْأَخْرُ فِي الْأَرْضِ ،
 كَمَا يُزْرَعُ وَرَدُّ)
 كُلُّ شَيْءٍ يَأْخُذُ الدَّرْبَ إِلَى صَحْرَائِهَا ، دُونَ أَنْ يَتْرَكَ أَثَاراً / تَقْدَمُ
 أَيُّهَا الشَّاعِرُ وَاسْتَسَلِمَ لَتِيهِ الْقَافِلَةَ
 عَبَثاً تَضْمَنِي وَتَسْتَبْسِلُ فِي رَسْمِ خَطَاكَ النَّاحِلَةَ .

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
 لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
 أَخَذْتُ الشَّيْءَ كَمَا يَأْخُذُ فَلَاحٌ رَغِيْفاً

وَعَلَى وَجْهِ رُؤْيَا

تَتَقَرَّى خُطْوَةَ الْوَقْتِ ، -
 يَكُونُ اللَّيْلُ فِي عَيْنِي ضَوْءًا
 سَكَبَتْهُ أَنْجَمٌ أُخْرَى عَلَى خَطْوِي - ضَوْءًا
 أبيضَ الخُطْوَةِ
 نَشْوَانٌ ، يَنَامُ

في سَرِيرِ أبيضٍ ،
 ويَكُونُ اللَّيْلُ فِي حُنْجَرَةِ الضَّوءِ كَلَامًا .

وَبِعَيْنِ الشَّيْءِ حَدَقْتُ لِكَيْ أَشْهَدَ
 أَنْ الْقَصَبَ الْمَائِلَ آهَاتُ
 وَأَنَّ الْمَوْتَ لِلْعَابِرِ فِي قَافِلَةِ الْمَعْنَى حَقُولٌ مِنْ خَزَامٍ .
 هَكَذَا أَدْخَلَ بِاسْمِ الْحَبِّ فِي الْمَوْتِ ،
 كَمَا يَدْخُلُ فِي الْمَوْتِ ،
 أَوْ بِاسْمِ حَيَاةٍ مُرْجَأَةٌ
 فَأَرَى نَفْسِي كَأَنِّي مِثْلُهُ - صَحْبٌ مُؤَةٌ فِي صَمْتِ شَمُوعٍ مُطْفَأَةٍ
 وَأَرَاهُ نَائِمًا مِثْلَ سَرِيرِي ، يَقِظًا مِثْلِي ، وَالْعَالَمُ فِي أَهْدَابِهِ
 حُلْمٌ يَعْبُرُ فِي شَكْلِ امْرَأَةٍ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، -

- أ - أن تُحِبُّ الآنَ مِفْتَاحَ مِنَ الْحِكْمَةِ أن تَجْهَلَ مِنْ أَيْنَ أَتَى .
 ب - لَيْسَتْ الرِّيحُ يَدًا بَلْ رَايَةً .
 ج - لا يَعْيشُ العِطْرُ إِلا تَائِهًا .
 د - خُذْ مِنَ الْإِنْسَانِ ما شَابَهَ أَهْدَابِكَ : نُورًا ،
 وَمِنَ الْأَشْيَاءِ ما شَابَهَ أَحْزَانِكَ : نَارًا .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لا أَسْمِيهَا ، وَلَكِنْ

مِنْ يَدَيَّ نَافِذَتِي

يَذْهَبُ الْأَقْقُ إِلَى شُطْآنِهِ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَعْشَاشٌ ، وَأَبْرَاجُ حَنِينٍ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ

أَمْ رَبِيعٌ؟

شَجَرُ الزَّيْتُونِ أَعْطَى الجَدْعَ لِلجُدْجُدِ ، وَالزَّيْتُ لَنَجْمٍ

لَمْ يَزَلْ يَكْتُبُ لِلشَّاعِرِ تَارِيخَ الْأَرْقِ

وَيَرَى أَيَّامَهُ تَهْبِطُ فِي تِيهِ الْوَرَقِ

نَحْوَ ... / جَاءَتْ وَرْدَةٌ

وَرَمَتْ زُنَّارَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَهُوَ ، الْآنَ ، سَحَابٌ

شَفٌّ كَالضُّوءِ ، - يُؤَاخِي وَجْهَهُ

وَيُغَطِّي مُقَلَّتَيْهِ

... مَعَهُ تَذْهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ ، أَمْ رَيْبٌ ؟
(إِنَّهَا شَهْوَةٌ مِعْرَاجِي تَمَحُّو
سَلَّمَ اللَّوْنُ ، وَتَمَحُّو
أَيَّةَ الْوَقْتِ) ، وَيَمْضِي
مَعَهُ دَوَاوِرُ شَمْسٍ ، وَرَبَاحِينَ ، وَأَسْرَارٌ ، وَتَمْضِي
مَعَهُ قَافِلَةُ الْمَعْنَى / إِلَى نَافِذَتِي
شَكَتِ الشَّمْسُ طَرِيقِي
هَكَذَا أَنْظَرُ مِنْهَا
وَأَرَى نَارَ أَنْكِسَارَاتِي تَعْلُو ،
فَكَأَنِّي لَمْ أَحْسُ إِلَّا رَيْباً
وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ رِفَّةٍ هَذِبٍ
وَكَأَنِّي صَبْرْتُ شَيْئاً
عَائِماً فِي لُجَّةِ الضَّوءِ الَّذِي يَسْطَعُ فِي نَافِذَتِي
أَعْوِي ، يَا شَاطِئَ الضَّوءِ وَهَيْبِ سَاعِدَيْكَ
خُذْ يَدِي ، خُذْ نِيَّ ، أَرْجِعْنِي إِلَيْكَ .
تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا
لَا أَسْمِيهَا - أَقُولُ الْبَحْرُ كَانَ الْبَحْرُ طِفْلاً
عِنْدَمَا سَافَرَ فِي وَجْهِهِ وَدَوْنَتْ صِدَاهُ
وَقَرَأَتْ الْأَفْقَ ... / هَلْ أَسْأَلُ تِلْكَ السَّنْبِلَةَ :

مَنْ رَأَاهَا بِذُرَّةٍ ، أَوْ مَنْ رَمَاهَا؟
أَمْ تُرَى أُطْفِئُ نَارَ الْمَسْأَلَةِ؟

بَرْزَخٌ ،
وَالْتَّيَهُ مَرْسُومٌ
عَلَى كُلِّ فِضَاءٍ

وَالْيَقِينُ
الآنَ
شَحَاذٌ

وأشيائي أختني : بابٌ

رَدَّنِي مِنْ هِجْرَةِ الْمَعْنَى إِلَيَّ
وَأَرَى الْكُرْسِيَّ مَهْمُومًا
كَمَنْ يَحْمِلُ عَنِّي كَتْفِي .

(باريس 20 حزيران - بودابست 14 تموز 1991)

وردة الأسئلة

إلى أ.ق .
الأكثر بهاءً بين صدقات الشعر

1

يخرجُ العطرُ حيرانَ من وَرْدَةِ الأَسْثِلَةِ
تخرجُ الأمثلةُ
مِنَ فَمِ الأَرْضِ مَخْنُوقَةٌ ، -

سَيَكُونُ ظَهْرٌ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ :
أَدَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَحَوَاءٌ جَبَانَةٌ .

إنها أرضنا تتمرأى في تأبينها
مرّ فينيقٍ فيها وتَنورُ أبعادها وتغنى بها
ورواها
وغنى لها
واحترق

لِلْغَسَقِ ،
 لِلْقَبَائِلِ وَالْقَابِلِينَ لِكُلِّ مَا قَلْتَ يَا سَيِّدِي لِنَعْمِ مِثْلَمَا قَلْتَ
 يَا سَيِّدِي وَلِمُدُنِ
 الْعَائِمَاتِ عَلَى لُجَّةِ الْقَتْلِ لِلْقَتْلِ طُوبَى وَزُلْفَى لِرُؤُوسِ تَسِيرٍ شِمَالاً وَأَجْسَامِهَا
 تَسِيرُ يَمِيناً

لِلَّذِي تَشْرَدُ مِنْ أَجْلِهِ
 وَتُقَاتِلُ - نُقْتَلُ مِنْ أَجْلِهِ
 وَنُقْتَلُ مِنْ أَجْلِهِ
 وَالَّذِي لَا مَكَانَ لَهُ فِي الْمَكَانِ - لِمِعْرَاجِ أَسْلَافِنَا
 وَالْجِيَادِ الَّتِي حَمَلْتُهُمْ وَأَسْرَأَ تَارِيخِيهِمْ
 وَالْقَوَافِلِ وَالْعَتَبَاتِ وَأَضْرَحَةَ الْأَوْلِيَاءِ
 لِلتَّوَابِعِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَتَّبِعُ التَّابِعِينَ ، لِهَلْ
 تُولَدُ الرُّوحُ فِي الْمَاءِ أَمْ فِي الْهَوَاءِ؟
 لِلْمِدَارِ الَّذِي قَذَفْتَنَا الْعُرُوفُ إِلَى طِينِهِ
 وَعَجَّنَا بِهِ الْأَرْضَ مِخْتَوِمةً بِالسَّمَاءِ
 وَلَنَا ، يَا تَائِسِينَ كَعَظَمِ ،
 لِنَقُلْ قَوْلَ صِدْقٍ
 لِنَقُلْ أَيُّ شَيْءٍ
 أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي شَاءَ مَا لَا نَشَاءُ .

مِثْلَمَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنْ لَوْحِهِ
مِثْلَمَا يَصْعَدُ اللَّهَبُ

وَأَكْرَرُ : تَبَّتْ يَدَاهُ وَمَا أَجْمَلَ الْغَضَبُ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ غَيْرُ جِسْرِ اللَّهَبِ .

إِنِّهَا أَرْضُنَا تَتَمْرَأَى فِي تَجَاعِيدِهَا ، -
كُلُّ مَا قَالَهُ الْفُقَهَاءُ الثُّحَاءُ عَنِ الشُّعْرَاءِ هُرَاءُ وَأُسْجُوعَةٌ
وَسَأَقْتُلُ هَذَا الزَّمَانَ الَّذِي يَتَمَدَّدُ فِيَّ وَيَعْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ
قُلْتُ عَنْهُ : دَمٌ فَاسِدٌ وَلَمْ أَتَرَدُّ
أَنْ أَكْرَرَ : هَذَا الزَّمَانُ دَمٌ فَاسِدٌ

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشِ :

أُتْرَى ، أَرْضُنَا

خَلِقِ النَّاسَ فِيهَا لَكِي تَتَفَيَّأَ أَجْسَادُهُمْ كَلِمَاتٍ؟

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشِ :

شَمْسُنَا تَتَنَزَّهُ فِي خِرْقَةٍ

مِنْ طَحَالِبِ هَذَا الْوُجُودِ ، الْوُجُودُ عَمُودُ رَمَادٍ
وَنَخَافُ مِنَ الْقَوْلِ أَكْثَرَ مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْقَتْلِ

نَكْتُبُ تَعْزِيمَةً

لِلْفِرَاعِ الَّذِي يَتَنَبَّأُ لَكِنْ بِأَخْفَارِهِ

فَأَنَا مُبْلَغُ وَالْبَلَاغُ

أَنْنِي أَكْتُبُ الْفِرَاعَ أَخَاطِبُ هَذَا الْفِرَاعَ .

زَمَنٌ - رَأْسُهُ قَدَمَاهُ

وَالْفَضَاءُ عَلَى وَجْهِهِ أَلَةٌ

سَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

بَعْدَ لَمْ تَكْتَشِفْ أَيَّ سِرِّ

وَالظَّلَامُ الَّذِي كَانَ يَوْلَدُ حَوْلَكَ يَنُمُو

وَنَجْهَلُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي

وَنَعَجْزُ عَنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَيْهِ

وَنَقُولُ : انْتظَرَتِ الطَّفُولَةَ فِي وَجْهِ غُولٍ

وَتَوَقَّعَتْ أَنْ يَنْزَلَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ مِنْ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٍ

فِي مَصَابِيحِكَ الخَامِدَةِ

اسْمَعِ الآنَ - تِلْكَ هِيَ الرِّيحُ تَهْذِي وَتَنْسُجُ ثَوْبَ الفَضَاءِ
خَيْمَةً لِلْبِكَاءِ .

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

مَا تَرَى فِي الصَّرَاطِ الَّذِي يَتَلَبَّسُ وَجْهَ الْجَحِيمِ وَوَجْهَ النُّعِيمِ وَيَبْدَأُ مِنْ
حُفْرَةٍ؟

فِي السُّحَابِ يَصِيرُ كِتَابًا

فِي الكِتَابِ يُمَوِّجُ أَلْفَاظَهُ

كَالسَّلَاسِلِ ، مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى

بَسْجَادِ هَذَا الخَضُوعِ ، لِمَنْ يَفْتَحُ الغَيْبُ أَبْوَابَ هَذَا الشَّقَاءِ؟

إِنهَا أَرْضُنَا -

سَيَجِيءُ الْغِنَاءُ

الْغِنَاءُ الَّذِي يَحْسَبُ النَّايَ رَمْحاً وَالْمَرَايَا حُصُوناً

سَيَجِيءُ وَيَصْنَعُ مِنْ وَجْهِهَا مِثْلَ

وَيُوَحِّدُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَأَشْلَانِهَا

سَيَجِيءُ وَيَشْرَبُ تَرْيَاقَهُ

حُكَمَاءَ الْمَذَاتِنِ وَالْأَتْقِيَاءَ رِعَاةَ الشُّوَارِعِ ، وَالرَّاسِخُونَ

يَدُورُونَ فِي شَكْلِ قَوْسٍ وَشَكْلِ هِلَالٍ

يَهْرُقُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ .

ضَجِرَ الْمَاءُ مِنَّا

ضَجِرَ الْمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالرِّيْحُ مِنَّا

وَأُدْخِرُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى قَاعِ حُزْنِي

لَيْسَ لِلْمَاءِ حَبْرٌ سِوَى نَفْسِهِ

لَيْسَ لِلشَّمْسِ ظِلٌّ سِوَى نَارِهَا

لَيْسَ لِلرِّيْحِ بَيْتٌ سِوَى صَوْتِهَا

هَلْ أَقُولُ إِذَنْ : هَا هِيَ النَّارُ تَبْدُ عَلَى الْمَاءِ وَالْمَاءُ رَمْلٌ

وَأَقُولُ الْمَلَايِكَةُ مِنْ كَهْرَبَاءِ

وَأَقُولُ الْقَمَرَ

عُصْبٌ كَانَ أَرْجُوْحَةً

لِتَبَارِيحِنَا

فَأُنْحِنِي تَحْتَهَا وَتَقْوَسَ مِنْ عِبْتِهَا وَأَنْكَسَرَ؟

أيها الموتُ - شيخاً على الريحِ
 طفلاً على الماءِ
 والنارُ أمواجهِ القائدةُ ،
 إننا لحظةً واحدهُ .

والحياةُ صحائفُ للشُّكرِ والحمدِ والبسملةِ
 مُنزلاتٌ كمثلِ الصُّحائفِ والكتبِ المنزلةِ
 فكرةٌ - دُميةٌ ، فكرةٌ - مقصلةُ

ونقولُ ليجلِّقِ أمِشِ :

أفتتح هذه اللغةَ المُقفلةَ
 أعطنا شاهداً لا رقيباً
 أعطنا ما تقولُ الحياةُ وما يتوهجُ في غُربةِ الأسئلةِ
 لا تزالُ جيوشُ الخُرافةِ تغزو بلادك ، آتيةً من سدومِ
 أعطنا ما تقولُ العناصرُ لا ما تقولُ الغيومُ .

هل نُطيعُ الدُّخانُ؟

هل نُصالحُ بينَ السرابِ وهذا المكانُ؟

ونقولُ ليجلِّقِ أمِشِ - للفراتِ :

لا نُريدُ الخلودَ نُريدُ الحياةَ .

هكذا نحن هذا المساء
 نلعب النرد مع نجمة
 تتشرد في عتمة السماء .

(ضع بلادك في زفرة وتضمد بجرحك) أسرى
 بهواه شمالاً فسار يميناً
 وتوجه شرقاً فغرب أخفى خطاه
 وتوقع أن يفتح الغيم كفيه في أرضه الظامئة
 فوض الأمر للكلمات - ثراه سيخرج من سجنها؟
 سجنها سرّة
 ولها فخذ دافئة .

وأقول لجلقاميش :

أنتمي لا لإسم ولا ملة
 لغتي ملتي
 كره الشعر أبناءه كل أحلامه تتساقط في صدره خطاماً
 والحقول التي عشقته تتمزق مكسوة
 بجراحاته

يده ورده

والمسافات في وجهه قيود

ونقول لجلقاميش :

كَيْفَ مِنْ أَيْنَ تَنْفِي رَايَةَ مِنْ خُزَامِي
رَايَةَ مِنْ حَدِيدٍ

إنها أرضنا

أمة الأنبياء وحمالة الحطب
ليس بيني وبين مداراتها غير نار الغضب .
أيها القصب المنحني
أيها القصب المتكسر يا صورتي
عجباً كيف تعرف أنك تفنى وتجهل أنك تحيا؟
عجباً أيها العابر
كيف لا تشهق الأرض فيك وينفجر الشاعر؟

وأقول لجلفامش :

أتعدُّ فيك وفي وحدتي -
وحدتي درج في الهواء
وحدتي كلُّ هذا الفضاء .

أمطرت فوق أنقاض أيلول أيلول جسر بين عيني وعيني
وأيلول بيت الخريف الذي أخذ الآن يهبط في ذرواتي فاجع أن أقول
على سلم الموت لاقيت حبي غير أنني على سلم الموت لاقيت
حبي وموتي صوت

يَتَغَنَّى بِظَلْمِي يُغْنِي لَهُ وَأَنَا مِثْلُهُ : مِهْنَتِي أَنْ أُعْنِي لَتَجَاعِيدِ قَيْسٍ
 لَمَرَاتِهِ الَّتِي تَتَنَاسَلُ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
 أَقْرَأُ السُّحْرَ وَالْكَيمِيَاءَ
 أَنْتَشِي فِي مَدَارِ الْبُكَاءِ عَلَى الطَّلَلِ الْعَرَبِيِّ وَأُجْرِي رِيَّاحَ الْحَنِينِ
 فِي الْهَبَاءِ وَتَارِيخِهِ الْأَمِينِ .

وأقول لِحُلُقَامِش :

أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَنْتَحَدَّتَ مَعَ كَبَدِ الْأَرْضِ مَعَ زَهْرَةٍ
 مَعَ بَقَايَا رَحِيلٍ لِأَبْقَى
 نَائِهًا بَيْنَ عَيْنِي غُزَالٍ
 لِأَخْوَضَ حُرُوبِي
 بَيْنَ وَجْهِ الْكَلَامِ وَوَجْهِ الطَّبِيعَةِ بَيْنَ الْأُرُومَةِ وَالْغُصْنِ بَيْنَ الصَّدَى وَالتُّدَاءِ
 أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَنْتَوَّرَ لَيْلَ الْخَفَاءِ ،
 وَكَيْ أَنْشُرَ الْعِطْرَ مِنْ وَرْدَةٍ فِي الْخَفَاءِ
 مِهْنَتِي أَنْ أَكُونَ عَلَى شَفَةِ الْهَائِبَةِ
 لُغَةً دَانِيَةً

وأقول لِحُلُقَامِش :

وَقُنْنَا لَنْ يَجِيءَ أَنْتَهَى وَقُنْنَا
 أَلْوَدَاعَ الْوَدَاعِ - قَرَأْتُ شُمُوسَكَ ، مَا كَتَبْتُهُ
 شُمُوسَكَ أَطَبَقْتُ هَذَا الْكِتَابُ
 لَنْ أَصَدِّقَ غَيْرَ السَّرَابِ .

إنَّهَا أَرْضُنَا

مُلكُ صَوْتِ وَحِيدٍ
وَالصِّدَى رَأْسُهَا وَيَدَاهَا
كَيْ تَرَاهَا
يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَوَّلَ فِيهَا إِلَى ...

هَلْ سَيَبْقَى لِحُزْنِي مَكَانٌ فِي تَقَاطِيعِهَا؟

وَنَقُولُ لِحَلْقَامِشٍ كَيْ يَقُولَ لآيَاتِهَا :
أَيُّهَا اللُّعَةُ - الطَّبِيبَةُ الهَارِبَةُ
لَمْ تَكُونِي سِوَى نَجْمَةٍ كَاذِبَةٍ .

هِيَ ذِي تَتَكَسَّرُ أَجْنِحَةُ المَعْصِيَةِ :
لَنْ يَتِمَّ العُبُورُ عَلَى الجِسرِ لَنْ تَكْمُلَ الأَغْنِيَةُ .

(باريس ، أوائل شباط 1991)

أفغنية إلى حروف الهجاء

هَبَطُوا مِنْ أَسَاطِيرِهِمْ
مِنْ كَوَاكِبَ كَانَتْ نِسَاءً
وَأَنَا كُنْتُ رَصْدًا يُوَاكِبُ تَرْحَالَهُمْ
كُنْتُ حَبِيرًا تَحَبَّبًا فِي لَيْلِهِمْ
كُنْتُ فِي النُّخُطَاتِ الشَّرِيدَةِ وَقَعَ الْهَبَاءُ
أَكْتُبُ الظَّنَّ وَالْمُسْتَحِيلَ وَيُمْلِي الْفَضَاءُ .

نَسَيْتَنِي خُطَايَ ، رَمْتَنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ
فِي خَلَاءٍ تَأَخَى مَعَ الْمَوْتِ ،
فِي الرَّبِيعِ - لَا مَنَ يَرُوحُ ، وَلَا مَنَ يَجِيءُ ،
رَمْتَنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ .

أَيْهَا الْيَأْسُ ، يَا نَارِي السَّاهِرَةَ
فَجَّرِ اللَّهَبَ الْمَيِّتَ فِي ، لِكَيْ أَتَفَجَّرَ فِي مَوْقِدِ الذَّاكِرَةِ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا ، -

إِبِلٌ مِنْ كَلَامٍ

وَهِيَ أَكْلٌ مَجْرُودَةٌ : قَافِلَةٌ

تَشْتَحِطُّ فِي اللَّفْظِ ، تَنْحَلُّ فِي الْحَبْرِ ، أَرْنُو

دَمْنَا حَوْلَهَا هَالَةً

وَسَمِعْتُ الصَّدَى يَتَمَوَّجُ فِيهَا

قُلْتُ : هَذَا صَدَانَا ، وَهَدِي

نَجْمَةٌ أَفَلَهُ .

وَالطَّرِيقُ حِصَارٌ ، -

مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْأَرْضَ إِنْ أَغْلَقْتَ فِي سَمَاءِ؟

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا

مَرٌّ وَقَدْ الرِّيحُ عَلَيْهِ - لَا صَدَى ، لَا أَحَدٌ

وَالنُّبُوءَاتُ مَطْرُوحَةٌ

فِي الشُّوَارِعِ - مَنْ ذَلِكَ الْمُتَنَبِّئُ

مِنْ ذُرُورِ الطَّيْنِ ،

مِنْ عَتَمَاتِ الْجَسَدِ؟

ضَرْبُ رَمَلٍ ، وَنَفْثُ جَامِحٍ فِي الْعُقَدِ ،

وَتَبَارِيحُنَا

كَالْفَرَاشَاتِ - سَوْدَاءَ بَيْضَاءَ ، تَقْرَأُ فَنَدِيلَهَا

فِي ظِلَامِ الْأَبْدِ .

هُودًا طَيِّفٌ تَرَحَّلْنَا
 تَذِي دِفْلَى ، عَجِيزَةٌ رُمَانَةٌ ، كَاجِلٌ مِّنْ عَرَّارٍ ،
 زَمَنٌ لَيْسَ إِلَّا قِيودًا ، وَأَغْلَاقٌ لَفْظٌ :
 مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْكَلِمَاتِ إِذَا أُغْلِقَتْ فِي كِتَابٍ؟

ذَكَرًا كُنْتَ ، أَمْ كُنْتَ أَنثَى
 أَيُّهَذَا الرَّجِيمُ ، التَّنْذِيرُ ، الْمَلَاكُ
 لَسْتَ إِلَّا ضَبِياعًا
 وَالْمَسَارُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ شِعَابٌ
 خَصَّصَتْهَا الرَّمَالُ ، وَزَيَّرَ قَامَاتِهَا
 شَجَرٌ عَاشِقٌ دَرَبَ لَيْلَى
 شَجَرٌ عَاشِقٌ تِيهَ قَيْسٍ ،
 لَا شَمِيمٍ ، وَلَا نَجْدٌ . جُرْحٌ
 سَابِغٌ فِي خُطَاكَ
 أَيُّهَذَا الرَّجِيمُ ، الْكَرِيمُ ، الْمَلَاكُ .

وَسِوَاءُ - حَلَمْتَ وَفَتَتْ إِلَى بَارِقِ
 أَوْ نَزَلْتَ عَلَى دَارِ لَيْلَى ،
 سَتَرَى أَنَّ مَنفَاكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، -
 خُطَوَاتُكَ مَنفَى ، وَجِبْكَ مَنفَى ، وَجَنُونَكَ مَنفَى

وَجَسْمِكَ ، فِي أَوْجِ أَفْرَاحِهِ وَأَغَانِيهِ ، مَنْفَى
 سَتَرِي النَّفِي يَنْبَعُ مِمَّا تَيَقَّنْتَهُ
 مَوْثِلًا وَمَلَاذًا ،
 سَتَرِي أَنْ مَنفَاكَ هَذَا التَّرَابُ وَهَذَا الْهَوَاءُ
 سَتَرِي أَنْ مَنفَاكَ أَبْعَدُ مِمَّا يَقُولُ الْفَضَاءُ .

لَنْ تَنَامَ قَرِيرَ الْوِسَادَةِ إِلَّا عَلَيَّ سَاعِدَيْكَ
 لَنْ تُسَافِرَ ، مَهْمَا تَوَعَّلْتَ ، إِلَّا
 فِي السَّرَابِ الَّذِي يَتْرَأَى
 أَسِيرًا ، خَاطِفًا مُقْلَتَيْكَ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا ، -
 جَسَدٌ يَتَلَكَّى
 فِي بِلَادٍ تَدَلَّتْ
 لَا قَرَارَ لِغَيْرِ الْجِبَالِ الَّتِي تُمَسَدُ
 لَا أَنْبِجَاسٌ لِغَيْرِ الدَّمَاءِ الَّتِي افْتَضَّهَا الْأَمْسُ
 وَالآنُ كَيْ يَتَمَرَّعُ فِيهَا الْغَدُّ .

وَأَنَا لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَكْتُبَ الرُّمْلَ ، أَنْ أَتَمْرَأَى
 فِي رَمَادِ الصُّورِ
 لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَتَدْتَّرَ هَذَا الشَّرْرَ

وَأَمُومِيَّ حَالِي
 وَأَقُولُ : الطَّرِيقُ بِلا مَنفَذِ طَرِيقِي
 والسُّؤالُ بِدونِ جَوابِ سؤالي .

يَتَمَرَّدُ تَحْتَ لِسَانِي ، يَجْمَعُ فِي شَفَتِي اسْمُهُ
 سأقولُ : اسْمُهُ
 لَوْنُ غَابَاتِهِ لَوْنُ شُطَائِنِهِ
 سأقولُ : اسْمُهُ
 حُطُواتُ الفُصُونِ
 والجِبَالِ اسْمُهُ والغُيُومِ وأمطارُها والحُقُوقِ ،
 وَطَنِي كُلُّ هَذَا الفِضَاءِ الَّذِي يَتَشَطَّى
 حَيَّرَهُ مَرَّةً تَتَشَطَّى
 لُغَةً مَرَّةً حائِرَهُ ،
 أَيُّهَا اليَأَسُ ، يا نارِي السَّاهِرَةَ
 ما الَّذِي قُلْتُ؟ ما قُلْتُ لَيْسَ اسْمُهُ
 اسْمُهُ كُلُّ ما لَمْ أَقُلْهُ ، وما لَنْ أَقُولُ .

كُلِّمًا ازْدَدْتُ بَعْدًا أَحْسُ كَأَنِّي أَزْدَادُ قُرْبًا
 كُلِّمًا جَرَفْتَنِي أَمْواجُ تَيْهِي عَميقًا إلى اللُّجِّ ،
 أشعُرُ أنَّ الشَّواطِئَ تَدُنُّو ،

ما الذي يَتَقَوَّضُ فِي خَطُّوَاتِي لِكَيْ يَتَمَاسِكَ فِي كَلِمَاتِي؟

يَتَقَوَّضُ مَاضِيٌّ ، لَكِنَّهُ صُورَتِي
أَتَقَوَّضُ فِيهَا ، وَلَكِنْ

ما الذي فِيَّ يَعْلُو؟
ما الذي فِيَّ يُمَسِّكُ بِالْأَرْضِ مِنْ مَنكَبَيْهَا
وَيُكَبِّبُ عَلَيَّهَا ، وَيَحْنُو
وَيَلْمُ بِأَهْدَابِهِ تَوْبَهَا ،
وَيُزْرِكِشُ أَطْرَافَهُ
بِتَخَارِيمِ أَحْلَامِهِ؟

أُتْرَى هَذِهِ الصَّحَارَى بَيْنَ نَفْسِي وَبَيْنِي خَلَاقَتِي؟
أُتْرَاهَا الرِّمَالُ الَّتِي غَمَرْتَنِي
تَتَحَوَّلُ غَمْرًا وَطُوفَانًا خَلْقًا؟
سَأُوسِسُ تِلْكَ الْجِبَالَ الَّتِي لَبِسْتَهَا خَطَايَ ،
لِكَيْ تَتَرَحَّلَ مِثْلِي ، لِكَيْ تَلْبَسَ الرِّحِيلَ
سَأُوشِشُ عُقْبَانَهَا وَيُنَابِعَهَا وَالتَّخِيلَ
أَنْنِي أَتْمَاهِي بِهَا ، -
لَسْتُ مَا شِئْتُهُ
لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ

فَلَقَى رَاكِبٌ مَوْجَهُ
أَتَنَقَّلُ فِي غَيْمَةٍ
وَأَنَا مُ عَلَى سَاعِدِ الْهَوَاءِ .

أَيْهَذَا الْأَنَا ، يَا أَنَايَ الَّذِي يَتَنَاءَى
عُدِّي إِلَيَّ ، أَعِدْنِي إِلَيَّ مَا أَنَا ،
نَهْرُ الْحُبِّ وَالشُّعْرِ مِنْ مَائِنَا يَجْفَلُ
وَالْحَيَاةُ عَلَى خَطُونَا
عَرَقٌ أَذْكَنٌ مِنْ تَجَاعِيدِنَا يَهْطِلُ
مَا نَقُولُ ، وَمَا نَعْمَلُ ؟
وَالكَلَامُ هُوَ الْقَيْدُ ، وَالْأَرْضُ قُفْلُ
وَالزَّمَانُ هُوَ الْمُقْفَلُ .

عُدِّي إِلَيَّ أَعِدْنِي

لِلْحَصَى فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِنَا
لِمَقَاعِدَ مِنْ حَجَرِ فَرْقَدِي
لِمَخَاوِرَ تُلْقِي مَنَادِيلَهَا
فَوْقَ أَكْتَافِنَا ،
لِلدُّرُوبِ قَرَأْنَا عَلَيْهَا تَعَازِيمَنَا
مَنْحَتْنَا التَّجْوِمَ وَأَسْرَارَهَا وَتَأْوِيلَهَا ،

لِلسَّمَاءِ تُضِيءُ قَنَادِيلَهَا
 فِي مِيَاهِ الطُّفُولَةِ ؛ قُلْ لِي
 مَا أَقُولُ ، وَمَا أَعْمَلُ ؟
 الصَّبَاحُ هَزِيلٌ وَأَعَشَى
 وَالْمَسَاءُ مَرِيضٌ ،
 وَالْجُدُورُ الَّتِي تَكْتِنُ الضُّوْءَ ، تُسْتَأْصَلُ .

يَمَلَأُ النَّاسُ سَاحَاتِهِمْ
 بِهَيَاكِلِ مَوْتَاهُمْ
 يَرُووسٍ مِنَ الشَّمْعِ تَطْفُو وَتَرَسُبُ فِي بُرْكَ مِنْ كَلَامٍ ،
 لَا تَزُورُ السَّمَاءَ بُيُوتَاتِهِمْ وَمَقَاصِيرَهُمْ وَالْمَنَابِرَ إِلَّا
 فِي رِءَاءِ حَدِيدٍ ، وَعَلَى وَجْهِهَا شِوَاظٌ ،
 يَعْجَبُ الزَّمَنُ الْأَوَّلُ
 يَعْجَبُ الكَاغِدُ - الحَبِيرُ ، وَالْحَرْفُ ، وَالْقَلَمُ الْأَوَّلُ
 يَعْجَبُ الحَقْلُ ، وَالقَمَحُ ، وَالْمَنْزِلُ الْأَوَّلُ .

لَمْ نَعُدْ غَيْرَ مَا يُشْبِهُ القَشَّ فِي مَوْقِدِ الْأَقُولِ ،
 دَلْنَا ، إِهْدِنَا الصِّرَاطَ إِلَى كَلِمَاتِ نُسَافِرُ فِيهَا
 سَفَرًا غَيْرَ مَا أَلْفَتَهُ ، وَنُوغِلُ فِيهَا -
 أَيُّهَا الشَّاعِرُ المَزْمَلُ بِالوَحْيِ ،

وَأَقْرَأُ لَتِلْكَ الْقَبَائِلِ مَرْتِبَةَ الطُّلُونِ .

أَتَغْرَبُ عَنِّي وَأَنَايُ
 وَأَعُودُ إِلَيَّ : مَنِ الْأَوَّلُ -
 مَا تَجَدَّدَ ، أَوْ مَا مَضَى ؟
 أَنَا كُلُّ مَا لَسْتُ أَجْهَلُ ، أَمْ كُلُّ مَا أَجْهَلُ ؟
 وَلِمَنْ سَافِيءٌ ؟ لِمَنْ كَانَ قَبِيلُ ؟
 لِمَنْ صَارَ بَعْدُ؟ التَّنَازُعُ فِي احْتِرَابِ ،
 وَكُلِّي مُسْتَبْسِلٌ .

صَانِعُ رَفْعَةٍ مِنْ تُرَابٍ
 خَيْمَةٌ وَنَوَافِذُ مِنْ شَطْحَاتِي
 خَالِقُ جَنَّةٍ مِنْ رَمَادٍ
 أَتَغْلَغَلُ فِي عَزِيهَا ، وَأُمَثِّلُ نَفْسِي
 طَائِرًا ، مَرَّةً ، حَجْرًا مَرَّةً
 وَأُمَثِّلُ نَفْسِي
 أَلْفًا ، مَرَّةً ، وَبَاءً
 مَرَّةً ،
 وَأَكْشِفُ هَذِي الصُّورَ :
 عَيْنُ صَقْرٍ تُبَارِكُ عَيْنِي بَيْنَ الْبَشَرِ ،
 وَلِيَّ الْأَبْجَدِيَّةُ بَيْتٌ وَلِيَّ حِكْمَةُ الْعَذَابِ .

أَيْهَذَا الْمَدَى الْعَرَبِيُّ ، الْمَدَى الْغَيْبِيُّ
كَيْفَ أُعْطِيَ لِوَجْهِي وَجْهَكَ مِنْ أَوَّلِ ،
وَلِسَانِي أَمْسَى غَرِيباً
وَعَصْرِي هِيَ بِنُ بِي .

لَسْتُ مَا شِئْتُهُ ، لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ
لَيْسَ لِي سِيرَةٌ ، لَيْسَ لِي مَوْطِنٌ
غَيْرُ هَذَا التَّشْرِدِ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ .

(باريس ، نوفمبر ، 1993)

القصيدة فير المکتمة

مَمْرُوجاً
بِالْأَنْقَاصِ ، بِكُلِّ غِبَارٍ مَنشُوراً
فِي كَوْنٍ يَتَفَتَّتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَعَانَتُ يَوْمِي
أَمْشِي وَأَرَى جَسَدِي
خَلْفِي وَأَرَى جَسَدِي قُدَّامِي أَنَا مَنْ يَتَكَلَّمُ هَذِي اللَّحْظَةَ؟ شَخْصٌ
آخَرَ يَسْكُنُ فِي؟ بَأَيِّ خُطَى اتَّقَدَّمُ نَعْوِي وَأَنَا الطَّالِعُ مِنْ إِشْرَاقِ الْمَعْنَى
أَجْهَلُ حَتَّى وَجْهِي؟

هَلْ فِي الْأَمْسِ صَلَاةٌ
تُرْوِي عَطَشَ الْيَوْمِ ، وَأَيْنَ سَيَجْلِسُ هَذَا الْفَجْرُ الْآتِي؟

وَالْوَقْتُ غُرُوبٌ وَالْأَشْجَارُ تُزَرِّدُ ثُوبَ الشَّمْسِ وَهَذَا حَرْفُ الْعَيْنِ
وَحَرْفُ اللَّامِ وَحَرْفُ الْيَاءِ وَلَكِنْ هُوَ فِي مُعْجَمِ هَذَا الْوَقْتِ حُرُوفٌ أُخْرَى
وَأَسْمٌ آخَرَ ، لَكِنْ هُوَ ذَا يَتَبَخَّرُ فِي أَنْفَاسِ الْوَقْتِ سَجِيناً
مَسْجُوناً بَيْنَ يَدَيْهِ

مَسْجُوناً فِي مَا يَلْفِظُهُ
وَالْيَوْمُ سَفَاهُ إِبْرِيْقُ يَهْدِي / يَهْدِي مَعَهُ ، -
أَلْيَوْمَ أَمُوتُ لِنَفْسِي دَاخِلَ نَفْسِي

وأجاهرُ أن الميِّتَ حيٌّ فيَّ وأنيَّ حيٌّ فيه
أليومَ أخطُ وصيَّةَ شعري في دَفْتِهَا (لا أعرفُها)
لن يفهمها غيرُ جنوني ،

أليومَ أطعتُ جنوني
مَنْ تأخذني
مَنْ منكنَّ تجيءُ نُضيءُ ، وأعني
شجراتٍ تنمو في دُرُواتي ومهبِّ رياحي
وُبُحيرات
رَسَمْتَهَا وأرْتَسَمْتُ فِيهَا شَطْآنُ جِرَاحِي .

ماذا يُجديني
أن أتألفَ معَ وقتي ، أو أن أغسلَ صدري منه؟
لُعْتِي تتوئبُ ضيدي تنأى عني ، ودروبي تنفرُ مني ، لكن
هل يُجدي صمْتُ في هذا الصَّخَبِ الرُّملي المزروعِ
في كلِّ مكانٍ؟ هل تُجدي سنبلَةٌ
يلتفُّ بها رأسٌ مقطوعٌ؟

لو كنتُ ملكتُ السُّحْرَ ، - خفاءَ السُّحْرِ وفِعْلَ السُّحْرِ ، وقلتُ : الصُّخْرَةُ
غَيْمَةٌ

والرَّغْبَةُ شمسٌ ، والفِكرَةُ حَيْمَةٌ
هل كنتُ سأقدرُ أن أبني

أسطورة حب؟ وأصيرَ رفيقاً

لأدونيس أو عشتار في ذلك الوطن الإنسي المنسي؟

هل كنت سأقدرُ أن أستأصلَ جذرَ الخنزيرِ الوحشي؟

ماذا يُجديني

أن أتألفَ معَ وقتي ، أو أن أغسلَ صدريَ منه؟ كلاً

لا يعنيني فيه إلا قرصُ الشمسِ وإلا قرصُ الشمسِ وقرصُ الشمسِ ،

ولكن

سأظلُّ أعاشيرُ موتي - أحيا غوصاً في أشلائي

هُوداً أخرجُ ، أغلقُ خلفي بابَ المعنى

أدعو الغيمَ وأدعو الرِّيحَ وأدعو

شجراً وحُقُولاً وخلائقَ أخرى ومعاً سنقولُ سلاماً

للأشياء تموت وتولدُ في الكَلِماتِ ، وللكَلِماتِ تموت وتولدُ في الأشياءِ .

أعرفُ ما سيقولُ الرَّمْلُ لشعري

وسأقبلُ ما سيقولُ وأبقى في صمتٍ .

لا أعرفُ كيفَ أحاورُ ، كيفَ أَرُدُّ ، - حوارِي

غوصٌ في ما أجهلهُ ، ورُدودي تشهدُ ضيدي

أحوالي صمتٌ يستنكرُني ، وأوافقهُ

ويوافقهُ شعري

عالجتُ أمورَ الشعرِ أمورَ النَّثرِ ، وأجهلُ كيفَ أعالجُ أمري .

— أنتَ اليومَ وَحيدٌ والوقتُ يَضيقُ تُفَيِّقُ فرائسُ تصرخُ فيكَ ، فرائسُ تهوي
 فيكَ فرائسُ
 تسألُ عنكَ ، —

الأرضُ أسيرةٌ فلكتها
 والمغزولُ كمثلِ الغازلِ ، طينٌ .

— جرحٌ يتأججُ فيه ، ويُحاصرهُ
 يَغرقُ فيه ، يطفو ، ويلايسهُ
 ويُنايله ، ويُؤلفهُ
 ويُهاجرُ منه ، يعودُ إليه
 جرحٌ يتفتقُ بينَ يديه
 في قدميه ، وفي شفثيه ، وفي عينيه
 يتموجُ بينَ ضفافِ
 لا تتأخى ، لا تلتئمُ
 والأيامُ حرابٌ تتكسرُ فيه ، والشمسُ دمٌ .

— أنتَ اليومَ ، وَحيدٌ في بُضيكِ في ما تأتي ما تحكي وعلى كتفك بيوتُ
 لعناكبٍ
 تخرجُ منها أشباحٌ تخرجُ منها
 آلاتٌ تخرجُ منها أرضٌ كبرى
 تتلججُ فيها تتزلزلُ فيها هدي الأرضِ الصغرى .
 — أعطيتُ ذراعي للمقهى ولكرسي

ذَبَلْتُ عَيْنَايَ عَلَى جُذْرَانِ الْمَقْهَى
 ذَبَلْتُ قَدَمَايَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَقْهَى
 نَامَ الْكَرْسِيُّ وَنَامَ الْمَقْهَى
 جَسَدِي حَشْدٌ مِنْ أَجْسَادٍ تَتَزَاحَمُ ، أَصْغِي
 هَذَا وَرَقٌ هَذَا أَرْقٌ هَذَا يَهَيْطُ ذَلِكَ يَعْلُو
 وَالْوَقْتُ خَيُوطٌ
 وَالغَزْلُ كَرِيمَةٌ تَرْدِي .

أَنْتَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ وَهُوَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ لَا تَبْحَثُ عَنْهُ لَنْ تَلْقَاهُ حَيْثُ تَظُنُّ
 وَلَنْ تَلْقَاهُ
 حَيْثُ يَظُنُّ ، رُوَاهُ
 عَمَلٌ يَبْحَثُ فِيهِ عَمَّا قَالَ وَعَمَّا سَبَقُولُ ، خُطَاهُ
 صُورٌ يَبْحَثُ فِيهَا عَمَّا يَعْمَلُ : لَيْلٌ
 يَتَنَوَّرُ لَيْلًا .
 حَقًّا ،

لَمْ أَتَعَلَّمْ شَيْئًا مِنْ هَاوِيَةِ أَتَقْرَأُهَا بَيْنَ عُرُوقِي فِي كَلِمَاتِي
 لَمْ أَتَعَلَّمْ إِلَّا وَرَقًا يَتَسَاقَطُ مِنْ أَشْجَارٍ لَا تَنْبِتُ إِلَّا فِي خُطَوَاتِي
 لَا شَيْءَ هُنَا لَا شَيْءَ هُنَاكَ إِلَّا لُغَةٌ / الْفَاطِئُ
 تَتَشَرَّدُ فِي الْفَاطِئِ ،

لَا سَبَبُ
 إِلَّا رِيحٌ تَأْتِي وَتَرُوحُ وَإِلَّا مَوْجٌ يَضْطَرِبُ

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ يُقِيمُ وَكَيْفَ يُسَافِرُ فَيْكَ اللَّهْبُ
كَيْفَ يَكُونُ الْأَحْمَرُ لَجَأً ، وَالْأَخْضَرُ مُوجَأً ؟
لَكَ وَجْهٌ اللَّيْلِ دَلِيلٌ
وَلَوْجْهَكَ هَذَا السَّرُّ ، وَهَذَا السَّيْرُ ، وَهَذَا التَّعَبُ .

لِمُصَادَفَةِ
تَسْقُطُ مِنْ أَحْضَانِ مَلَائِكَةٍ أَوْ تَصْعَدُ مِنْ أَغْوَارِ حَرِيقٍ أَسْلَمْتُ طَرِيقِي ،
وَسَأْتَرُكَ لِلْكَلِمَاتِ تَسِيلُ كَنَهْرٍ أَوْ تَتَبَجَّسُ مِنْ صَخْرٍ وَتُلَابِسُنِي ، وَتُلَابِسُ
أَشْيَائِي ،
وَلَيْتَن رَسَمْتَنِي بِخَطُوطٍ أَوْ أَلْوَانٍ أَوْ أَشْكَالٍ أَوْ أَفْكَارٍ تُخَطِّئُنِي
وَلَيْتَن أَخْطَأْتُ ،
فَلَسَوْفَ أَقُولُ : الْآنَ بَدَأْتُ .

هَلْ تَقْضِي الْحِكْمَةَ مِنِّي
أَنْ أَمْلِكُ رَأْسًا آخَرَ؟ لَكِنْ
لَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أُطِيعُ - وَهَذَا ،
هَذَا الْجَسَدُ اللَّمْفَاوِيُّ ، الْجَسَدُ الْمَاكِرُ يَسْخَرُ مِنِّي ، وَيُغَاوِينِي
مَاذَا لَوْ قُلْتُ : سَأَعْلِنُ حَقًّا آخَرَ لِلْإِنْسَانِ : أَذُوبُ عَقْلِي فِي وَسْوَاسِي وَأَذُوبُ
وَسْوَاسِي
فِي عَقْلِي - أَلَا عِلْمٌ

وَجَسُورَ وَصَالٍ

بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَبَيْنِي ، وَأَعِيشُ غَرِيبًا

كِدْيُوجِينِ فِي بَرْمِيلِ

أَوْ سَمْعَانَ فَوْقَ عَمُودٍ .

مَاذَا لَوْ قُلْتُ لَذَاكَ الطِّفْلِ النَّائِمِ فِي : اسْتَيْقِظْ وَالْبَسْنِي

وَاجْمَعْ كُتْبِي - لَا تَنْسَ الْأُورَاقَ الْأُخْرَى

وَمَحَابِرَهَا ، وَمَمَاحِيهَا ، وَالْأَقْلَامَ

ذَوَّبْ فِيهَا هَذَا الشَّيْخَ الْمَتَبَّرَمَ فِي الْعَائِمِ فِي زَيْدِ الْأَيَّامِ

وَلْتَضْحَكْ أَسْنَانُ الْمِشْطِ : النَّاسُ ، الْأَشْيَاءُ ، سِوَاءِ

فِي حَبِيرِ التَّكْوِينِ

قُدُّوسٌ هَذَا الْجَسَدُ الْمَتَكُونُ مِنْ صَلْصَالِ

قُدُّوسٌ هَذَا الطِّينِ .

أَضَعُ الْآنَ يَدِي عَلَى كَتِفَيْهَا (لَا أَعْرِفُهَا) وَأُنَادِي : يَا مَوْجُ! جَفَافٌ

وَالْأَحْلَامُ سُقُوفٌ تَهْوِي

وَالْبُلْدَانُ تَضِيقُ وَتَنْحَلُّ ، تَغْدُو - لَا أَعْرِفُ مَاذَا ،

وَأَقُولُ : الشَّرْقُ غِبَارٌ

وَالغَرْبُ هَوَاءٌ مَسْمُومٌ ،

أَيْنَ الْأَرْضِ؟ وَأَسْأَلُ : كَيْفَ تُغَيِّرُ تِلْكَ الصُّورَ؟

هَلْ كَتِفَاكَ نَبِوءَةٌ جِسْرٌ

أَهُمَا أَرْضٌ تَأْتِي؟

هَلْ أَنْتَظِرُ؟

كَلَّا ، لَا شَرْقَ ، وَلَكِنْ

لُغَةٌ فِي الشَّرْقِ ، رَأَيْتُ الدَّمَاعَ يَسِيلُ كَحَبِيرٍ فِيهَا ، وَالْحَبِيرَ يَسِيلُ كَدَمْعٍ حَيْثُ

الزيتونُ حِيَامٌ

يتنزّه فيها قمرٌ يَسْهَرُ فِيهِ عَشَاقُ اللَّيْلِ (قميصي)
ما زالَ كَمَا لَبِسْتَهُ أَيَّامُ شَبَابِي
مَقْدُوداً ، لَكِنَّ مِنْ قُبُلِ

ما أَبْعَدَ ذَاكَ الشَّرْقَ - الزَّيْتُونَ ، الحَبُّ ، الوَعْدُ ، البابُ ، العَتَبَةُ
شَرْقٌ لا يَمْلِكُ إِلَّا
وَعْدَ المَوْتِ ، وإِلَّا
تِلْكَ الخَشَبَةُ .

تَأْتِي طُرُقِي مِنْ غَيْرِ رَجَاءٍ تَمْضِي لا أَشْعُرُ أَتِي خَبْتُ ، وَأَعْرِفُ مَاذَا كَانَ
الرَّمْلُ وما
سَيَكُونُ / الحَبُّ يُؤَاخِي
بَيْنَ المَلْحِ وَرِغْوَةِ هَذَا الزَّيْدِ - الزَّيْدِ النَّافِرِ مِنْ أَمْوَاجِ خُطَايَ
الرَّاقِصِ حَوْلَ صِيفَاكِ الأَبَدِ - الأَبَدِ المَتَكَسِّرِ مَوْجاً
فِي لِحْظَاتِي فِي صَبَوَاتِي -

قُلْ شَيْئاً يا هَذَا الغَيْبُ الأَتِي
أَقُولُ النَّجْمُ هَدَانِي أَوْ يَهْدِينِي
هَلْ أترصّدُ ما يَقْتُلُنِي؟
هَلْ أَرصّدُ وَجْهاً يَنْفِينِي؟

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي -

أَدْخَلَ سَمَّ خِيَاطٍ
مِلءَ تَخْوَمِ الْعَزَلَةِ ، فِي مَنْدِيلٍ - آخِرِ مَا نَسَجْتُهُ
فِي قَوْلٍ - آخِرِ مَا قَالْتَهُ
حَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ كَمِثْلِ الْعِلْمِ ، وَحَيْثُ تَكُونُ الْحَيْرُ
وَأَخِيضُ فَتَوْقَ زَمَانِي
حُبًّا حِينًا ، شِعْرًا حِينًا .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي / خَيْطٌ

مِنْ أَشْجَارِ
تَتَدَلَّى فِي شُبَاكِي ،
وَالْأَغْصَانُ سَوَاعِدٌ ، لَا - أَغْنَاقُ تُوْغِلُ فِي أَغْنَاقٍ .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي

وَأَرَى كَيْفَ يَصْبِرُ الدَّاءُ دَوَاءً
وَالْوَجْهَ فُضَاءً
وَتَصْبِيرُ الْأُذُنَ مُحِيطًا وَالْعَيْنُ سَمَاءً
وَأَرَى كَيْفَ يُنْقَلُ ذَاكَ الْقَمَرُ الطِّفْلُ خُطَاهُ
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَكَيْفَ يُسَافِرُ حُزْنِي
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَفِي أَخْلَاطِ هَوَاهُ
وَيُعْبَى كُلَّ حَقَائِبِهِ الْوَانَا يَسْتَشْنِي مِنْهَا لَوْنِي
وَأَرَى كَيْفَ أَصْبِرُ الْآخِرَ حِينَ يَكُونُ الْأَوَّلُ بَعْدِي

وَيَصِيرُ الْعَالَمُ زِقَاً لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا بَحَارٌ لَمْ يَعْرِفْ بَحْرًا
 أَنْطَهَرُ فِي هَاوِيَةٍ ، أَعْنِي أَنْعَمُ فِي لَا شَيْءٍ - فِي كَلِمَاتٍ تَنْتَزِلُ مِنْ تِيهِ ، أَوْ
 مِمَّا يُشْبَهُ
 تِيهَا .

سَأْفِيءُ لَخَيْطِي ، فِي لُغْتِي
 أَحْنِي كَتْفِي عَلَيْهَا وَتُسَافِرُ فِي أُسَافِرُ فِيهَا وَتَحْفُ بِنَا أَضْغَاثُ
 تُخْوِمُ تَتَمَطَّى فِي شُرَفَاتِ الْمَوْتِ طَيُورٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يَقْرَأَهَا إِلَّا
 بَحَارٌ لَا أَرْضَى لَهُ لَا بَيْتَ لَهُ .

أَحْنِي كَتْفِي عَلَيْهَا - لُغَةٌ تَتَحَدَّرُ مِنْ أَعْلَى وَتَغُورُ وَتَعْلُو فِي التَّارِيخِ ، -
 أَسُومَرُ تَصْعَدُ فِيهَا؟ هَلْ لِبِنَانٍ ، أَمْ يُونَانٌ؟ لُغَةٌ لَا تُثْمِرُ إِلَّا لُغَةً
 تَتَقَرَّى الْوَجْهَ الْأَخْرَ مِنْ أَنْقَاضِ الْمَعْنَى
 لُغَةٌ تَسْكُرُ بِاللَّاشِيءِ وَبِاللَّامَعْنَى ، وَبِكُلِّ هَبَاءٍ تُفْتَتِنُ .

شَفِيءِ الْقَرْمِيدِ وَطَابَ الْأَصْفَرُ لَكِنْ
 مَا زَالَ الْأَزْرَقُ يَشْرُدُ بَيْنَ الْمَوْجِ وَبَيْنَ الشَّاطِئِ ، لَكِنْ
 لَمْ يَزَلِ الْأَسْوَدُ طِفْلاً ،
 أَخَذَ الْفِتْنَةَ ، وَاسْتَنْسَبَهَا ، وَتَغَرَّبَ فِيهَا .

هَلْ أَكْتَبْتُ تَارِيخاً لِلْأَسْوَدِ أَوْ لِلْأَحْمَرِ ، أَوْ تَارِيخاً لَا لَوْنٌ لَهُ؟
 هَلْ أَنْسَى نَفْسِي مِنْ أَجْلِ الشَّيْءِ؟ أَلْأَنْسَى الشَّيْءَ وَأَذْكَرُ نَفْسِي؟ هَلْ مَا

أَلْمَسُهُ

يُغْنِي عَمَّا لَا أَلْمَسُهُ؟

ولِمَاذَا أَخِيَا فِي هَذَا النُّقْصِ ، إِذْنِ؟
وَلِمَنْ ، وَلِمَاذَا أَكْسِرُ غُصْنَ الْأَرْضِ لِغَيْرِي ، أَوْ أَنْكَسِرُ؟
لَكِنْ ، آيْنَ الْكَامِلُ؟ كَلًّا
لَا كَامِلَ إِلَّا هَذَا الْحَجْرُ .

سَأَقْدَمُ أَرْضِي (مِنْ زَمَنِ قَدَمْتُ سَمَاثِي)

بِاقَةِ زَهْرٍ

لِقَصِيدَةِ حُبٍّ ، لِامْرَأَةٍ ، -

هِيَ ذِي آفَاقٍ لَمْ أَلْمَحْهَا قَبْلُ ، وَأَوْقِنُ هَذِي اللَّحْظَةَ أَنِّي طِفْلٌ
وَأُحْسِنُ كَأَنِّي

أَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا - تِلْكَ الْمَجْهُولَةِ - فِي حِضْنِ الْمَعْنَى فِي فَرْجِ أَحْصَنَتُهُ
الْمَعْنَى

جَسَدَانَا الْوَاحِدُ ، هَذِي اللَّحْظَةَ ، وَالتَّكْوِينُ يَجِيءُ وَيَمْضِي فِي هَذَا الْوَاحِدِ ،
مَثْنَى مَثْنَى .

- أَسْسُ غَدَاكَ الْآنَ ، تَكَلَّمْ .

لَمْ أَتَكَلَّمْ

فِي شَفْتِي خَنَادِقُ فِي شَفْتِي كُهُوفٌ لَمْ أَتَكَلَّمْ وَقَمِي قَبْرٌ .
مَكْسُورًا

فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَسَدِي
 فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ لُغَتِي
 شَيْءٌ يَدْخُلُ فِي كَلِمَاتِي يَخْنِقُهَا
 شَيْءٌ يَخْرُجُ مِنْ كَلِمَاتِي يَنْفِيهَا
 مَنْ أَوَاهَا يَتَشَرَّدُ فِيهَا
 مَنْ طَارَدَهَا تُؤْوِيهِ

وَالرَّيْحُ تَجِدُّ شَيْخُوحَتَهَا فِي مَوْتِ خُطَايَ / خُطَايَ تُجِدُّ شَيْخُوحَتَهَا فِي
 مَوْتِ الْمَعْنَى
 وَالسَّاحَةُ قَشٌّ وَقَتَاتُ قُشُورٍ
 وَأَكَادُ أَحْسُ الْجَذْرَ يَعْنُ ، وَمَاذَا؟
 أَسْلَامًا أَلْقِي ، أَمْ نَارًا؟
 وَأَقُولُ : سَأَطْبِقُ أَهْدَابِي ، وَأَحَاوِلُ أَنْ أَسْتَرْجِعَ مَا كُنْتُ رَأَيْتُ عَيَانًا ، -
 هُوَذَا - لَا الْمَحْ إِلَّا تُقْبَأُ إِلَّا
 قَنْدِيلًا يُشْبَهُ رَأْسِي
 وَلِحَافًا وَرَدِيًّا -
 كَلَّا ، خَمْرِيًّا . كَلَّا ، أَسْوَدًا؟ أَبْيَضًا؟ أَخْضَرَ؟ كَلَّا
 لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعْطِيَهُ
 لَوْنًا أَوْ شَكْلًا

وَأَرَى الْأَرْضَ تَصِيرُ سَمَاءً

وأوشوشُ نفسي داخلَ نفسي : آأرى حقاً ، أم أترأى؟

فَرغَ المسرحُ والأصواتُ بلا أجسامٍ والأجسامُ بلا أصواتٍ
سَقَطَ الجِسْمُ الصَّوتُ (المسموعُ هباءً والمرئيُّ خيالٌ والسماعُ ظلٌ) سَقَطَ
المسرحُ : كُلُّ

يَتَغَلَّغَلُ فِي وَحْدَتِهِ
كُلُّ يُوغِلُ فِي سَقَطَتِهِ

لُغَةٌ تَتَنَاسَلُ زَمَلٌ لُغَاتٍ
لا نَبَرَاتٌ ، لا أَسْمَاءُ
ما أغربَ هذا الإعصارَ الجارفَ أشْرَعَةَ الأشياءِ .

قولوا للمنبوذِ : استخْلِصنِ
رُكْنًا ، أَوْ زاوِيَةً
قولوا للتاريخِ : استسَلِمِ
للرَّيحِ ، وقولوا
للصَّحراءِ : المُفْرَدُ أَنْتِ وَأَنْتِ الجَمْعُ ، وقولوا :
هُوَذَا الوَطَنُ

مَخْلُوقٌ مِنْ عَرَبَاتٍ مِنْ أَشْلَاءِ
لا الشَّمْسُ تَراهُ ، ولا يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِيهِ الزَّمَنُ .
عَفْوًا - لا أعرفُ مِنْ أَيِّ لُغَاتٍ جِئْتُ ، لأَيِّ لُغَاتٍ
سَوَفَ أَجِيءُ ، نَسِيتُ حَيَاتِي

وَإِكَادُ أَقُولُ لِهَذِي اللَّحْظَةِ : لَمْ أَبْدَأْ

وَطَرِيقِي نَثْرٌ

يَذْرُوهُ الْعَصْفُ ، سِهَامٌ - وَالْقَوْسُ انْكَسَرَتْ
وَمَجَازٌ ، لَكِنْ لَا أَلْمَحُ جَسْرًا .

شُكْرًا - لِلرِّيحِ ثَلَامِسٌ وَجْهِي وَتُعَلِّلَنِي

وَأَمَدٌ إِلَيْهَا كَفِيٌّ ، وَشُكْرًا

لِلرَّمْلِ يَنَامُ عَلَى كَتِفَيْهَا مِثْلِي

شُكْرًا - لِلرَّبِيعِ خَلَاءٌ

وَلِرَّبِيعٍ يَخْلُو

شُكْرًا - لِلصَّخْرَاءِ

مِرَاةً أَقْرَأُ فِيهَا وَجْهِي أَقْرَأُ فِيهَا
وَوَهْمَ خُطَايَ وَوَهْمَ الْمَاءِ .

أَتَكَلَّمُ - هَلْ يَسْمَعُنِي

إِلَّا نَسَمٌ يَتَحَرَّكُ فِي أَشْجَارِ فِضَائِي

أَكْتُبُ - هَلْ يَقْرَأُونِي

إِلَّا هَذَا اللَّهَبُ الْقَاتِلُ أَرْضِي اللَّابَسُ أَرْضِي

بِاسْمِ سَمَائِي؟

أَلْحَقُّ أَقُولُ : اللَّيْلُ صَبَاحِي وَالْفَجْرُ مَسَائِي
وَسَأَخْرُجُ مِنْ نَفْسِي

لأَرَى نَفْسِي -
تَخْرُجُ مِنْهَا أَرْضٌ كُبْرَى
تَجْهَلُ كَيْفَ تَسِيرُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَسْكُنُ فِيهَا
هَذِي الْأَرْضُ الصَّغْرَى .

(باريس ، أواخر أيار 1993)

الفهرست

13	الفراغ
22	العمل
27	الثائر (مقاطع)
35	مجنون بين الموتى
49	السديم
61	سمعته وفمه حجارة
65	البعث والرماد
85	الصقر
87	– أيام الصقر
95	– تحولات الصقر
133	جنازة امرأة
143	الرأس والنهر
167	السماء الثامنة (رحيل في مدائن الغزالي)
197	تعويذات لمدائن الغزالي
203	مرآة الطريق وتاريخ الغصون
221	هذا هو اسمي
241	مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف
257	قصيدة ثمود
283	قصيدة البهلؤل
295	قصيدة بابل

315	الوقت
329	اسماعيل
355	قبل أن ينتهي الغناء
367	البرزخ
387	وردة الأسئلة
397	أغنية إلى حروف الهجاء
411	القصيدة غير المكتملة

تصميم وطباعة: محمد عبد الحكيم



عِشْ أَلْقَاً وَابْتِكِرْ قَصِيْدَةً وَامْضِ

زِدْ سَلْمَةَ الْأَرْضِ

ISBN => 2-84305-004-9
RAN => 0789843050049